التقية في المجتمع الإسلامي
أدلة وآثار

كتاب يستفيد منه من أراد ولوج مجال المناظرات في
مسائل الخلاف و خاصة في مبحث التقية



محمد جواد فاضل الموسوي

التقیه فی المجتمع الاسلامی: ادله و آثار

اشاره

فاضل موسوی، محمدجواد

التقیه فی المجتمع الاسلامی: ادله و آثار/ محمدجواد فاضل الموسوی؛ [ل]جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه التحقیق. - - قم: جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، 1430 ق. 1388.

248 ص. - - (جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، معاونیه التحقیق؛ 148)

ISBN : 978-964 -195 -044 - 8 ریال 13000

عربی

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

1. تقیه. 2. تقیه - - احادیث. 3. تقیه - - جنبه های قرآنی. الف. جامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. معاونت پژوهش. ب. عنوان.

BP 297/468 226 / 5 / 2ت7 ف

التقیه فی المجتمع الإسلامی، أدله وآثار

المؤلف: محمدجواد فاضل الموسوی

الطبعه اولی: 1430 ق / 1388 ش

النّاشر: دار المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه

الإخراج الفنی: هادی عبدالمالکی

المطبعه: توحید السّعر: 31000 ریال عدد النسخ: 2000

حقوق الطبع محفوظه للناشر.

التوزيع:

قم، استداره الشهداء، شارع الحجتيه، مقابل مدرسه الحجتيه، محل بيع دار المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه.

هاتف - فكس: 02517730517

قم، شارع محمد الامين، تقاطع سالاريه، قرب جامعه العلوم، محل بيع دار المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه. هاتف - فكس: 02512133146 - 02512133106

www.miup.ir , www.eshop.miup.ir

E-mail: admin@miup.ir, Root@miup.ir

ص :1

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص :2

التقیه فی المجتمع الاسلامی: ادله و آثار

محمدجواد فاضل الموسوی

ص :3

ص:4

كلمه الناشر

إنّ العلم والدين والثقافه هى القواعد الأساسيه للحياه الإنسانيه، وإنّ الحوار العلمى يقوم بتنميه ونشر المعارف وترويج التديّن.

ونتيجه لامتلاک المجتمع الإسلامى للغات وثقافات مختلفه، فقد تمكن من الإتيان بمذاهب فكريّه ومناهج عمليّه متنوعه، عبر التفكّر والتبادل الفكرى والثقافى على مرّ التاريخ.

إنّ النظره الثاقبه إلى المسائل والاهتمام بالاختلافات الدقيقه، تعتبر من لوازم التفكّر والتربيه والتعمّق فى المعرفه، وعند ضمّ هذه الميزه إلى الميزات الأخلاقيه المكمله الأخرى، مثل الصبر والتواضع، سوف نتمكن من الحصول على ثقافه علميّه سليمه، وتتوفر لدينا إمكانيه التعايش العلمى السلمى.

ومن الجدير بالعلماء وخبراء المسلمين، أن يعتبروا أنفسهم رواداً لهذه الحركه، ويتجنبوا الانقياد للمتحجّرين وأهل الجهل والهوى، على أمل أن تكون نظرتنا إلى العلوم الدينيّه نظره عميقه؛ من خلال الاعتماد على نشر ثقافه الحوار السليم، علماً أنّ دار النشر التابعه للجامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه بصدد تحقيق هذا الهدف، من خلال اهتمامها بنشر الآثار العلميّه.

إنّ هذا الأثر الذى يحمل عنوان: «التقيه فى المجتمع الإسلامى، أدله وآثار» تعرّض لدراسه جوانب وأبعاد هذا الموضوع، حيث سعى المؤلف المحترم أن يقدّم أثراً مناسباً للقرّاء

فی هذا المجال؛ وذلک من خلال عرضه لمختلف المصادر وتقدیمه الکثیر من الأدله، ونتمنی أن یؤدی ما بذله من جهد الغرض المنشود.

کما أنّ إداره البحوث فی الجامعه المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه، تقدّم الشکر والتقدیر الخالص لما بذله المؤلف المحترم، وبقیه العاملین الذین قاموا بإعداد ونشر هذا الأثر.

دار المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه

معاونیه التحقیق

الفهرس

كلمه الناشر 5

الإهداء 13

مقدمه 15

الباب الأول: فى تصوير البحث

1. تعريفات 21

التقيه لغه 21

التقيه شرعاً 22

تعريفها عند الإماميه 22

وأما عند أتباع المذاهب 24

عنوان الظالم عنوان عام 24

خلاصه ما تقدم 26

كلام فى الضد 26

الإذاعه 27

المداراه لغه 27

المداهنه والموالسه والمصانعه 27

النفاق 29

الإيمان 31

تدقيق 32

2. تصوير البرهان 35

الباب الثانى: بحث أدله التقيه عند المسلمين

ص:7

1. فی بیان حرمه الدم 39
الحدیث القدسی 39
أقوال النبی صلوات الله تعالی علیه وآله 41
أقوال الصحابه والعلماء 42
المستفاد 44
حرمه الدم من ضرورات الدین 45
2. استخدامها مع الکفار 47
اولاً: الدلیل العقلی 47
ثانیاً: الأدله الشرعیه 48
حدیث الإکراه 51
3. استخدامها مع المسلمین 55
مقدمه 55
أولا: النبی صلی الله علیه و آله 55
ثانیاً: استخدام الصحابه وعامه أتباع المذاهب 56
لفتات 67
رجوع سریع 68
أصل حدیثین 73
من یداری ممن 93
للصحابه جمیعاً تقیه مع عمر 94

موقف لعمرو بن العاص 95
من موارد التقيه 99
محاكاه وحوار مع الأدله 99
تحليل حال 100
4. الإجازه بالكذب 103
مخالفه روايتى البخارى ومسلم للقرآن 105
الواقع 106
5. التقيه عندنا 107
باب التقيه 108
6. مغالطتان وجوابهما 111
المغالطه الأولى 111
المغالطه الثانيه 112
حديث الغريب 113
مصادر الحديث 114

حديث القابض على دينه 115
أحاديث أيام الفتن 117
حديث دعاه الضلاله 117
كما تدين تدان 119
تعقيباً على ما تقدم 122
رجوع إشكال الكتمان على ملقيه 122
7. نتيجه الأدله من الناحيه الشرعيه 123
الباب الثالث: آثار التقيه
مقدمه مهمه 127
1. آثارها الاجتماعيه 131
التعايش السلمى من قبل آل البيت عليهم الصلاه والسلام 133
كراهه إضمار نيه الشر 134
2. آثارها الاقتصاديه والسياسيه 137
الباب الرابع: تحليل
1. موقف وتحليل 145
المحاوره 145
خلاصه المحاوره 146
خلاصه هذه الحادثه 147
تحليل لما ورد 147

الباب الخامس: جذور المواجهه
مقدمه 151
1. من تأريخ التشّيع 153
المقابر الجماعيه للشيعه حصه الأسد منها 157
هل من معتبر 158
2. التعامل مع الأحداث 159
الجهاد مره ابتداءً وأخرى دفاعاً 161
3. فلسفه التقيه والكتمان 163
دوافع التأكيد على التقيه بهذا النحو 164
4. البناء العظيم 167
تصحيح 167
تمييز المنشقين عن الإماميه 168

5. بعد التغيير فى إيران 169
الباب السادس: النتائج
1. نتائج البحث 173
النتيجه الأولى: أن الله تعالى لا يعبث 173
النتيجه الثانيه: العامل بها ليس بمنافق 174
النتيجه الثالثه: حمل النفاق على التقيه خطأ علمى 174
بيان الخطأ الذى وقع فيه القوم 176
الأمر الثانى: كونها كل الدين أو تسعه أعشار الدين 179
الخلط فى استخدام المصطلح 179
رفع الحصانه الإسلاميه 180
من الكافر ومن المسلم ومن المنافق؟ 181
2. التقيه مشروع تكاملى لا يعطل 183
التقيه والكتمان خفاء وتخلص من الرياء 183
أقسام السر 186
القسم الأول: السر من جهه العلم أو المعرفه 186
القسم الثانى: من جهه العمل 190
القسم الثالث: ما يشمل شؤون الحياه الأخرى 190
خُلُقُ المتقين 191
عِلْمُ المتقين 202

صَبْرُ المتقين 203
أين أنت من القرآن الكريم 203
تذكر عنوان رفع الحصانه الإسلاميه 204
المرء مع من يحب 206
مقام المتقين بين الآيات الكريمه 212
مستويات التقيه 213
الكتمان والتقيه ليسا تغطيه الرأس فى التراب 215
حكم من لا يعمل بهما 216
ملحق المصادر 217
مصادر الحديث القدسى من الفريقين 217
مصادر حديث من قتل مسلماً أو مؤمناً 219
مصادر حادثه قتل مالک بن نويره رضوان الله تعالى عليه 220
مصادر معركه الجمل 221
مصادر معركه صفين 223

من شهد حرب صفين 224
مصادر قتل عمار رضوان الله تعالى عليه 226
مصادر قتل حجر بن عدى رضوان الله تعالى عليه 227
مصادر الحمل على التأويل 228
مصادر مقتل محمد بن أبى بكر رضوان الله تعالى عليه 229
فى مالک الأشتر رضوان الله تعالى عليه 230
مصادر مقتل عمرو بن الحمق رضوان الله تعالى عليه 231
مصادر حادثه سم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد 232
مصادر حديث يكون عليكم أئمه 233
مصادر تتحدث عن بسر بن أرطاه 233
مصادر تتحدث عن سمره بن جندب 234
المنع من تدوين السنه تحليل ومصادر 236
مصادر الوصيه فى آل البيت 238
مصادر نفى أبى ذر رضوان الله تعالى عليه 241
مصادر سب أمير المؤمنين على عليه السلام 241
مصادر تتبع الشيعه 243
مصادر حديث البيعه لإمام 243
مصادر حديث افتراق الأمه 244
ملاحظه مهمه 248

ص:11

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على أشرف الخلائق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم الأبدى على أعدائهم من الأولين والآخرين إلي رسول الله وآله صلوات ربّى عليهم أجمعين وإلى المصطفين الأخيار جميعاً. إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (الأحزاب:56)

قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَهً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (الشورى: من الآيه23)

نعم إلى النور الأول الذى إذا شاهدته بصيره الإنسان وجدته فى الحقيقه أربعه عشر كنزاً... هم أنوار الهدايه والواسطه فى الفيض على جميع عالم الإمكان، فقال الله فيه وفيهم: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاَّ رَحْمَهً لِلْعالَمِينَ (الأنبياء:107) وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (الرعد:من الآيه7)

قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى (النمل: من الآيه 59)

إلى الوالدين اللذين تعبا وأماتا جسديهما من أجل أن أحيا أنا

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِى عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَ لِوالِدَيْکَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ (لقمان:14).

إلى أولى الأرحام من المؤمنين

وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَىْ ءٍ عَلِيمٌ (الأنفال: من الآيه75).

وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ (الأحزاب: من الآيه6).

الأقرب فالأقرب. إلى آدم على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاه والسلام.

إلى المؤمنين العاملين الصالحات من أساتذتى وعلى رأسهم سيدنا الأستاذ وفقه الله تعالى

نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ (يوسف:من الآيه76)

يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (المجادله: من الآيه11)

إلى العلماء والشهداء الأبرار الذين يفخر كل من انتسب إليهم ولا يفخرون بكل من انتسب إليهم:

وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِيقاً (النساء:69) وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَ وُضِعَ الْكِتابُ وَ جِىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَداءِ وَ قُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (الزمر:69)

الشهيدين محمد باقر الصدر ومحمد محمد صادق الصدر الشيخين المجاهدين الشهيدين خزعل السودانى وعبد الجبار البصرى وجميع شهداء مدرسه آل محمد - صلوات الله تعالى عليهم - الذين ضحوا بدمائهم الزكيه، وكذلک من العلماء الشيخ حسين الحلى، وجميع العلماء فى كل مكان وزمان.

إلى من أسدى إلى معروفاً

مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها (القصص: من الآيه84)

هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ (الرحمن:60)

إلى من نسيه أهله ومن ليس له وارث يذكره من الأولين إلى الآخرين من المؤمنين الذين يفرحون إذا ذُكِروا ولو بشىء قليل

هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (الأحزاب:43)

اَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْ ءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَکَ وَ قِهِمْ عَذابَ الْجَحِيم (غافر:7)

بسم الله ما شاَء الله

وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً (الاسراء:80) (اللهم صل على محمد وآل محمد الطيبين الأطهار واجعلنا من أتباعهم)

ص:14

مقدمه

بسم الله والحمد لله، اللهم إنى أفتتح الثناء بحمدک وأنت مسدد للصواب بمنک وأيقنت أنک أنت أرحم الراحمين فى موضع العفو والرحمه وأشد المعاقبين فى موضع النكال والنقمه وأعظم المتجبرين فى موضع الكبرياء والعظمه، اللهم إن أخذتنى بعدلک أخذتک برأفتک وعفوک ورحمتک، اللهم أنت الملک الجبار الفرد القهار، فَخَرَ من تذلل مخلصاً بين يديک الكريمتين ترفعه وتلبسه رداء الكرامه والعزه، فعز من وقف على باب العزيز المُعِزِّ، وذل من وقف على أبواب الذليل المذل.

ثم الصلاه والسلام على أشرف الخلق وأكرمهم النور الحقّ والطريق الصدق صفاء المنهل والصراط الأمثل والأتقى الأكمل المحمود المبجل العقل الأول، الذى وصفته بأنّه أحبّ الخلق إليک، النبى المرسل الذى قلت له: أقبل فأقبل، وأدبر فأدبر، محمد العطر الطهر المطهر وآله النجباء الأطهار الأخيار الأبرار، والسلام على من والاهم وعرف حقّهم. جعلتهم رحمه للعالمين من الأولين والآخرين، ونحمدک كما أنعمت علينا بهم، فهم أهل طريق الاستقامه والتوفيق والسلامه وآباء العصمه والإمامه.

وأَذْكُرُ نفسه وابن عمه صاحب اللواء المنادى ليوم الحشر وبدء عالم الخلود والبقاء، وعلى الطيبه الزكيه الزهراء الطاهره التقيه النقيه، وباقى أهل الكساء الشاكرين الحامدين الله تعالى أهل مقام الرضا منبع الوفاء وأهل العلى، وكذا التسعه الخلصاء النجباء، ومنهم إمام عصرنا القائم يوم الوقت المعلوم (عجل الله تعالى له الفرج) مقيم دوله العدل، ومن على يديه يأتى الحل، أمل المحرومين وقره عين المظلومين المغصوب حقّهم على يد السلاطين الجائرين فى دول السابقين.

ص:15

وبعد: فهذه هى الطبعه الأولى من أول كتاب يصدر لى بعد التوكل على الله تعالى، واتوسل إليه أن يسددنى والمؤمنين لخدمه هذا الدين، ولا يجعل علمنا وعملنا وبالاً علينا إنّه أرحم الراحمين، ذلک بتوفيق من الله العلى القدير إنه خير ناصر ومعين ومنقذ للمؤمنين، وهو كتاب (التقيه فى المجتمع الإسلامى أدله وآثار) تطرقت فيه إلى شبهات المنكرين والمتسائلين، ورتبته على شكل يستفيد منه المناظرون أو من يحب أن يكون، لكثره المصادر التى ذكرتها عند كل حادثه حادثه - وهو مهم جداً لكل مناظر، فإنّ كثره مصادر الاستدلال على الخصم توقعه فى حيره لا يخرج منها - ، وكذلک للتحول من موضوع إلى آخر والعوده إلى صلب البحث، وهذا ما اعتمدته من طريقه بما يتناسب مع هذا الكتاب، وإلا فهناک بعض اللفتات لم أتطرق إليها حفاظاً على مسير البحث. كل ذلک لكى يأنس ذهن القارئ هذا الأسلوب، ولكى يتقن هذا الفن الذى نحن بأمس الحاجه إليه فى هذا الوقت.

وقرنت بين التقيه والكتمان فى بعض المواضع لإشكال تناوله الفصل الذى تحدث عن مغالطتين ألقاهما من ادعى العلم فى إحدى الفضائيات عن طريق مناظره جرت، هناک فوجدتنى مضطراً لذلک وذكرته هنا لئلا يعتبر ذلک من المآخذ على هذا الكتاب، وإن كانا يلتقيان بعض الشىء كما ستعلم.

وقد احتوى هذا الكتاب أموراً من مصادرها ليس لها علاقه أصلا بالكتاب، أو البحث لا من قريب ولا من بعيد - وإن كانت قليله - لأننى استخرجتها من تلک الكتب ووجدت فيها بعض الفائده فرأيت الإبقاء عليها لكى لا يضيع الجهد هباءً حيث كنت مضطراً لاستخراجها؛ لأنّها كانت بين الأسطر التى هى محل البحث، و الله تعالى هو المعين.

نسأل الله عز اسمه وعلا مجده أن يتقبل منا اليسير ويعفو عن الكثير إنه خير مجيب، والشكر كله له تبارک وتعالى ولرسوله الأمين ولآله الغر الميامين الذين أنقذونا من الظلمات إلى النور بإذن الله العزيز الحميد.

وأخيراً أود أن أبدى ملاحظه أراها مهمه ولعلّها تنقل إلى غير القارئ لما رأيت من أن إبلاغها فيه إبراء للذمه، فأرجو أن تقبل بقبول حسن ومن الله العون والسداد لتخليصنا من الفتن وسوء الخلق... وهى:

إقبل الرأى الآخر، فمهما فعلت يبقى واقعاً مفروضاً لا يمكنک تغييره بالعنف، واعلم أنّه

سيتسلط عليک من هو أعنف منک فهل ترضى ذلک لنفسک؟ وإن رضيت أنت فمن قال بأنّه يجب أن يرضى غيرک بما رضيت؟ فلا يكونن الوزغ قدوتنا فإنّه يدافع عن نفسه بقطع ذنبه الذى يبقى متحركاً إن دهمه خطر ليشغل المداهم بالذنب ويتركه يهرب ظناً منه أن ليس هناک من أفهم منه فيبقى ملاحقاً له ويترک الذنب حتى لو بقى متحركاً، فيقيس كل مخلوق على عقله هو، ولا يكونن حيوان الضربان قدوتنا يخرج رائحه نتنه من جوفه إذا لحق به مخلوق، وهى وسيله دنيئه، فأيضاً هناک من سيضع على أنفه غطاء يقيه الرائحه فيبقى ملاحقاً له، فصاحب المبدأ يدافع عن مبدأه بالحجه لا بوسيله دنيئه، فلنكن أسمى منه ولننظر فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً (الإسراء:70)، هذا إن كان محسوباً منهم، وإلا فهناک من هو منهم جسداً وليس كذلک فى غيره، قال الله تعالى: وَ لَقَدْ ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِکَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ (الأعراف:179)، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (الفرقان:44)، فإنسانيه الإنسان فى الجوهره التى يحملها، وهى عقله وليس كونه يمشى على اثنتين، وإلا لكان قطيع الرجلين ليس من البشر، وكانت الدجاجه منهم، فهل رأيت دجاجه تذهب إلى السوق وتساوم وتخرج النقود وتتبضع إلى مالكها؟ تصور أنت... فإن تعجب وتضحک فالعجب ممن يريد أن يهبط إلى مستوًى أقل من مستوى الدجاجه.

محمد جواد الموسوى

ص:18

الباب الأول: فی تصویر البحث

اشاره

ص:19

ص:20

1. تعريفات

اشاره

لغرض تحرير لب البحث وقبل الولوج فى أبواب الكتاب وفصوله لابد للمؤمن الكريم من التعرف على ما تعنيه كلمه التقيه، وكذلک أضدادها وما يدور حوله هذا البحث من مفاهيم.

وأوردت التعريفات بتفاصيل لزياده الفائده فى الموارد التى ليس لها علاقه بالموضوع وهو واضح عند المطالعه لغرض زياده المعلومات لحاجه فى نفسى.

فأرجو من الله تعالى العون والسداد.

التقيه لغه

ورد تعريفها فى كتاب العين للفراهيدى: (1) (والتقوى فى الأصل: وقوى، فعلى، من وقيت، فلما فتحت أبدلت تاء فتركت فى تصريف الفعل، فى التقى والتقوى، والتقاه والتقيه، وإنما التقاه على فعله، مثل تهمه وتكأه، ولكن خففت فلين ألفها...). وقال الجوهرى فى صحاحه: (2) (والتقاه: التقيه. يقال: اتقى تقيه وتقاه، مثل اتخم تخمه... وتوقى واتقى بمعنى. ووقاه الله وقايه بالكسر، أى حفظه. والوقايه والوقاء والوقاء: ما وقيت به شيئاً). وأمّا فى لسان العرب لابن منظور (3) ذكر ذلک تحت نفس الماده قال: (ووقاه: صانه. ووقاه ما يكره ووقاه: حماه منه، والتخفيف أعلى. وفى التنزيل العزيز: فَوَقاهُمُ اللّهُ شَرَّ ذلِکَ الْيَوْمِ (الانسان: من الآيه11). والوقاء والوقاء والوقايه والوقايه والوقايه والواقيه: كل ما وقيت به شيئاً...).

1- (1) . العين، 239/5.
2- (2) . الصحاح 2527/6.
3- (3) . لسان العرب، 401/15.

وعرفت فى القاموس المحيط للفيروز آبادى: (1) (وقاه وقيا ووقايه وواقيه: صانه كوقاه. والوقاء ويكسر والوقايه مثلثه: ما وقيت به. والتوقيه: الكلاءه والحفظ. واتقيت الشىء وتقيته أتقيه وأتقيه تقًى وتقيه وتقاء ككساء: حذرته، والاسم: التقوى أصله: تقيا قلبوه للفرق بين الاسم والصفه كخزيا وصديا). وأما فى تاج العروس للزبيدى: (2) (زياد بن نعيم (وقاه) يقيه (وقيا) بالفتح (ووقايه) بالكسر (وواقيه) على فاعله (صانه) وستره عن الأذى وحماه وحفظه فهو واق، ومنه قوله تعالى: وَ ما لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ واقٍ (الرعد: من الآيه34) أى من دافع، وشاهد الوقايه قول البوصيرى: وقايه الله أغنت عن مضاعفه... وكذلك الواقيه كل (ما وقيت به) شيئاً وقال اللحيانى: كل ذلك مصدر وقيته الشىء (والتوقيه الكلاءه والحفظ) والصيانه والحفظ (واتقيت الشىء وتقيته اتقيه واتقيه تقى) كهدى... قال الجوهرى: اتقى يتقى أصله اوتقى يوتقى على افتعل قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء وأدغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء من نفس الحرف فجعلوه اتقى يتقى بفتح التاء فيهما ثم لم يجدوا له مثالاً فى كلامهم يلحقونه به فقالوا تقى يتقى مثل قضى يقضى...).

وممّا تقدم فى هذا الاستعراض يتبين معنى هذه الكلمه عند أهل اللغه الذى يمكن إجماله فى أن التقيه وقايه للنفس من الأذى.

التقيه شرعاً

وأما عند المشترعه (3) فقد اتفقت كلمات فقهاء أتباع مدرسه أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين مع كلمات غيرهم من فقهاء أتباع المذاهب، والأقوال فيها كما يلى:

تعريفها عند الإماميه

عرفها الشيخ المفيد فى تصحيح الإعتقاد: (4) (أنها كتمان الحق، وستر الاعتقاد، ومكاتمه المخالفين، وترک مظاهرتهم بما يعقب ضرراً فى الدين أو الدنيا). والشهيد الأول فى القواعد

1- (1) . 401/4.
2- (2) . 396/10.

3- (3) . لأن أصل الفعل شرع فالآخذ منه يقال له مشترع ولا يقال له متشرع، هذا عن أستاذ اللغه العربيه فى النجف الأشرف الشيخ الكرباسى وفقه الله تعالى.
4- (4) . ص66

والفوائد: (1) (التقيه مجامله الناس بما يعرفون، وترک ما ينكرون، حذراً من غوائلهم). والشيخ الأنصارى فى رساله التقيه: (2)

«هى التحفظ عن ضرر الغير بموافقته، فى قول أو فعل مخالف الحق» ، أعلى الله تعالى مقامهم أجمعين.

وقد جاء عن صاحب مجمع البحرين الشيخ الطريحى: (3) (وقد قسم أصحابنا التقيه إلى ثلاثه أقسام: الأول حرام، وهو فى الدماء فإنه لا تقيه فيها لأنها إنما وجبت حقنا للدم فلا تكون سببا فى إباحته. والثانى مباح، وهو فى إظهار كلمه الكفر فإنه يباح الأمران، استدلالا بقصه عمار وأبويه، فإن النبى صلى الله عليه وآله صوب الفعلين معا على ما نقل. الثالث واجب، وهو فيما عدا هذين القسمين، للدلاله على ذلک مع إجماع الطائفه هذا مع تحقق الضرر...). وأيضاَ فيه: (4) (والتقوى فعلى كنجوى، والاصل فيه (وقوى) من وقيته: منعته، قلبت الواو تاء وكذلک تقاه والأصل وقاه، قال تعالى: إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً [28/3] أى اتقاء مخافه القتل... والتقيه والتقاه اسمان موضوعان موضع الاتقاء... والتوقى: التجنب).

تعليقاً على ما أفاده (أعلى الله تعالى مقامه) عندما نقل قول علمائنا بتقسيمها إلى أقسام منها الحرام، ولعل المراد منه - و الله تعالى العالم - أن التقيه فى حد ذاتها لا تقبل حكم الحرمه، بل يتغير الموضوع فتكون حينئذ مداهنه أو غيرها، فالكلام فى مشروعيه التقيه، وبتعبير آخر متى ما شرع استخدامها أطلق عليها ذلک العنوان، وإن لم تشرع فيكون الموضوع قد تغير حينئذ، وهذا هو الصحيح، فبارتفاع الموضوع ينتهى كل شىء، وكلامنا فى التقيه الاصطلاحيه - أى عند المشترعه- .

وعند مراجعه الروايات وفتاوى الفقهاء (أعزهم الله) تعالى بناءً على ما جاء فى النصوص وكما ورد فى البحار: (5) عن أبى جعفر عليه السلام قال

«إنما جعلت التقيه ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقيه» أه-... فمعناه ان التقيه فى مثل هذه المقامات منتفيه من رأس، وليس معنى ذلک أنها باقيه ولكنها محرمه. نعم قد يقال إنه يصح ذلک عند أهل اللغه ولكن قبوله وسريانه عند المشترعه يكون على تكلف ولا يخلو من شىء من التأمل.

1- (1) . 155/2.
2- (2) . نفس المصدر، ص37.
3- (3) . مجمع البحرين، 37/4.
4- (4) . نفس المصدر، 541/4.
5- (5) . بحارالأنوار،399/72.

وأما عند أتباع المذاهب

قال: السرخسى فى المبسوط (1) (والتقيه أن يقى نفسه من العقوبه، بما يظهره وإن كان يضمر خلافه). وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى الشافعى: (هى الحذر من إظهار ما فى النفس من معتقد وغيره للغير) وذلک فى فتح البارى. (2) وفى تفسير المنار (3) قال رشيد رضا المصرى الشامى السلفى: (ما يقال أو يفعل مخالفاً للحق، لأجل توقى الضرر).

وقرأ كثير من القراء: إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً راجع النشر فى القراءات العشر (4) وتفسير القرطبى: الجامع لأحكام القرآن. (5) منه يظهر أن كلمه (تُقاةً) هى بمعنى (التَقِيّه).

فمن يعتقد بأنّه على الحقّ ويخشى مكر وغائله مخالفيه ما عليه حرج أن يستخدمها لغرض حفظ نفسه وعرضه وماله من الهتک.

فظهر ممّا تقدم الاتفاق على المصطلح الشرعى بين الشيعه وأتباع المذاهب الأخرى.

عنوان الظالم عنوان عام

قد يتصور فى شخص أو حاكم اشتهر بأنّه من المنتمين إلى التشيع (6) بشكل عام، كما هو حال قسم من المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام ديناً ولكنهم - واقعاً - لم يتركوا موبقه لم يفعلوها، وهذا أمر لا يناقش فيه. عند ذاک يمكن تصور التقيه بشكل طبيعى، فالظالم ظالم من أى مله تسمى بها، والظلم قبيح أينما صدر ومن أى بدر. والظالم بالنسبه لأى طائفه قبيح، بل على أهل طائفته أشد؛ لأنّه سيشكل عبئاً عليها قبل الإضرار بأتباع غيرها.

وقد ورد عنهم عليهم أفضل الصلاه والسلام: فى الوسائل للحر العاملى، (7) عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث قال: (أما إنّه ما ظفر بخير من ظفر بالظلم، أما إنّ المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا

1- (1) . المبسوط،45/24.
2- (2) . فتح البارى،214/12.
3- (3) . تفسير المنار،280/3.

4- (4) . القراءات العشر،5/3.
5- (5) . الجامع لاحكام القرآن، 57/4.
6- (6) . من أعظم مشاكل المجتمع مشكله صاحب الجهل المركب التى تجر المتصف به إلي أن ينسب سوء خلق المعتقِد إلى العقيده، وأعظم من ذلک أن يكون جاهلاً حاقداً والأعظم منهما العالم الحاقد. ثم إنه ثمت فرق بين من عقيدته القتل والاعتداء فيقتل ويعتدى بموجب عقيدته وبين من عقيدته ليست كذلک وإنما هو منحرف عن عقيدته السمحه، فإذا رأينا مسلماً يقتل فالعيب فيه وليس فى الإسلام.
7- (7) . وسائل الشيعه، 49/16.

يأخذ الظالم من مال المظلوم، ثم قال: من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فُعِلَ به...) الحديث... وكما هو واضح من الحديث فالظالم هنا لم يخصص بفئه معينه. وعن أبى جعفر عليه السلام قال: (الظلم فى الدنيا هو الظلمات فى الآخره). وعن على بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إن الله تعالى يقول: وعزتى وجلالى لا أجيب دعوه مظلوم دعانى فى مظلمه ظلمها ولأحد عنده مثل تلك المظلمه» . وعن زيد بن على بن الحسين عن آبائه عليهم السلام قال:

«يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم» وعن جعفر بن محمد صلى الله عليه و آله قال:

«من ارتكب أحدا بظلم بعث الله من ظلمه مثله أو على ولده أو على عقبه من بعده» . و نقل أيضاً (1) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلم بغير حق» ... [وهنا أيضا يتضح أن مجرد الدخول تحت عنوان المسلم كاف فى عدم جواز هتک حرمه ماله فكيف بدمه وعرضه]. وعن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله تعالى:

«اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد ناصرا غيرى» . وعن أبى جعفر عليه السلام قال: (2)

«الظلم ثلاثه ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما الظلم الذى لا يغفره فالشرک، وأما الظلم الذى يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذى لا يدعه فالمداينه بين العباد» . وفى الكافى للكلينى: (3) عن يونس بن ظبيان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

إن الله تعالى يقول: ويل للذين يختلون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيه، أبىَ يغترون أم علىَّ يجترؤون، فبى حلفت لأتيحن لهم فتنه تترک الحليم منهم حيران.

وفی وسائل الشیعه للحر العاملی: (4) عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبدالله علیه السلام یقول:

«من أکل من مال أخیه ظلما ولم یرده إلیه، أکل جذوه من النار یوم القیامه» . وعن أبی عبد الله علیه السلام قال: (5)

«العامل بالظلم والمعین له والراضی به شرکاء ثلاثتهم» . وعن أبی عبد الله علیه السلام قال: (6)

«من عذر ظالما بظلمه سلط الله علیه من یظلمه، فإن دعا لم یستجب له، ولم یأجره الله علی

1- (1) . نفس المصدر، ص50.
2- (2) . النفس المصدر، ص52.
3- (3) . الکافی، 299/2.
4- (4) . وسائل الشیعه، 53/16.
5- (5) . نفس المصدر، ص55
6- (6) . نفس المصدر، ص56.

ظلامته» . وعن عبدالله بن سنان قال: (1) سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«من أعان ظالما على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطا حتى ينزع من معونته» . وفى نهج البلاغه عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال:

«للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصيه، ومن دونه بالغلبه ويظاهر للقوم الظلمه» . (2)

خلاصه ما تقدم

وعلى كل حال ولغرض بيان كلمات علمائنا (رحمهم الله تعالى) وعلمائهم وتوضيح ما جاء فى تعريف التقيه من قيود، أقول:

1. هناک مخالِفٌ ومخالَفٌ - كما مر آنفاً ظالِمٌ ومَظلوم - أعم من أن يكونا على دين واحد، بل وأعم من أن يكونا على مذهب واحد. وتوضيحاً أن المخالف - على وزن اسم الفاعل أم المفعول - نسبى لأن كل يدعى أحقيته نعم الحق الحقيق، ومعرفته فذلک عند الله تعالى ورسوله، ومن كان علامه على الحق من بعده صلوات الله تعالى عليه وعليهم، وأكرر القول من يكون فهذا بحث مسكوت عنه هنا.

2. ضرر مترقب حصوله للمخالِف، من المخالَف، وفيه تعريض بعض حرماته للهتک، كالتسبب فى قتله أو إهانته كما لو كان التعرض للعرض أو المال، وقد يكون الضرر اجتماعياً كما لو تسبب الخلاف فى هتک حرمات المجتمع والعلاقات الاجتماعيه.

3. توقى الضرر ودفعه أعم من أن يكون بالقول أو الفعل.

كلام فى الضد

لصاحب مجمع البحرين قول سديد فى ضد التقيه وهو (الإذاعه)، مستفيدا من الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم (كما فى الكافى للكلينى (3) فأحببت أن أفرد لهذا الضد عنواناً، وسيرد ذكر تلک الروايات فى محله إن شاء الله تعالى.

1- (1) . نفس المصدر، ص57.
2- (2) . 266/19 الأصل(356).
3- (3) . الكافى، 21/1 كتاب العقل والجهل، ح14.

الإذاعه

قال فى مجمع البحرين: (1) قوله تعالى: أَذاعُوا بِهِ (83/4) أى أفشوه، من قولهم ذاع الحديث ذيعا إذا انتشر وظهر. وأذاعه غيره: أفشاه وأظهره. ومنه الحديث

«من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان» أى من أفشاه وأظهره للعدو... والإذاعه ضدها: التقيه. وأما صاحب القاموس المحيط الفيروز آبادى (2) قال فيها: (ذاع الخبر يذيع، ذيعا وذيوعا وذيعوعه وذيعانا... والمذياع، بالكسر: من لا يكتم السر. وأذاع سره، وبه: أفشاه وأظهره، أو نادى به فى الناس، والإبل، أو القوم بما فى الحوض: شربوا ما فيه...). وكذا فى تاج العروس للزبيدى. (3)

المداراه لغه

وردت المداراه فى كتب اللغه بمعنى أعم من التقيه، ففى صحاح الجوهرى (4) تحت م- (درى)-اده: (ومداراه الناس تهمز ولا تهمز، وهى المداجاه والملاينه). وفى النهايه فى غريب الحديث لابن الاثير (5) تحت الماده نفسها: (المداراه غير مهموز: ملاينه الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك). وفى تاج العروس للزبيدى (6) قال: ((ودارأته) مدارأه وكذا (داريته) مداراه إذا اتقيته، ... وقال الأحمر: المدارأه فى حسن الخلق والمعاشره تهمز ولا تهمز. يقال: دارأته وداريته إذا اتقيته ولاينته)، وضدها المكاشفه (كما فى الكافى للكلينى (7) كتاب العقل والجهل ح14).

وقد تأتى تحت عناوين أخرى مثل المداجاه والمدالاه والملاينه، فيكون هذا المفهوم عند أتباع المذاهب أوسع بكثير مما هو عندنا، إلا أن إطلاق الملاينه عليها لا يخلو من منع لما قد يحصل من التداخل بينها وبين المداهنه كما سيأتى فأرجو التأمل.

1- (1) . مجمع البحرين، 111/2.
2- (2) . القاموس المحيط، 24/3.
3- (3) . تاج العروس، 337/5، 405 -280/10.
4- (4) . الصحاح، 2335/6.
5- (5) . النهايه فى غريب الحديث، 115/2.

6- (6) . تاج العروس، 65/1.
7- (7) . الكافى، 21/1.

جاء فی کتاب العین للخلیل الفراهیدی: (1) (الإدهان: اللین والمصانعه، قال تعالی: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9)، أی: تلین لهم فیلینون. والمداهن: المصانع الموارب). کما جاء بعض ما تقدم فی صحاح الجوهری (2) بإضافه: (والإدهان مثله، وقال قوم: داهنت بمعنی واریت، وأدهنت بمعنی غششت). وفی القاموس المحیط للفیروز آبادی: (3) (دهن: نافق). وفی مجمع البحرین الشیخ الطریحی (4) کذلک حیث قال: (ومنه حدیث الحق لعیسی علیه السلام : قل لمن تمرد علیَّ بالعصیان، وعمل بالادهان لیتوقع عقوبتی). ومثله فی حدیث الباقر علیه السلام حیث قال:

أوحی الله تعالی إلی شعیب النبی علیه السلام : إنِّی معذب من قومک مائه ألف، أربعین ألفا من شرارهم، وستین ألفا من خیارهم، فقال: یا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخیار؟ فأوحی الله إلیه داهنوا أهل المعاصی، ولم یغضبوا لغضبی.

والادهان: النفاق وترک المناصحه والصدق. والمداهنه: المساهله). وفی تاج العروس: (5) ((و) الموالسه شبه (المداهنه) فی الامر...). وفی کتاب العین للخلیل الفراهیدی: (6) (والموالسه: شبه المداهنه فی الأمر). وقال صاحب مختار الصحاح محمد بن عبد القادر: (7) (والدجنه بالضم الظلمه و المداجنه کالمداهنه)، وقال أیضاً: (8) والمداهنه کالمصانعه والادهان مثله کقوله تعالی: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9)، (وقال قوم داهن أی وارب وأدهن أی غش). وقد جاء فی الفروق اللغویه للعسکری: (9) (الفرق بین التقیه والمداهنه: قال الشهید الثانی - طاب ثراه - فی قواعد المداهنه فی قوله تعالی: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9). [المداهنه] معصیه، والتقیه غیر معصیه، والفرق بینهما أن الأول تعظیم غیر المستحق... أو

1- (1) . العین، 27/4.
2- (2) . الصحاح، 2116/5.
3- (3) . القاموس المحیط، 224/4.
4- (4) . الطریحی مجمع البحرین، 65/2، 66.
5- (5) . تاج العروس، 270/4.
6- (6) . العین، 299/7.

7- (7) . مختار الصحاح، ص111.
8- (8) . نفس المصدر، 118.
9- (9) . معجم الفروق اللغويه، ص489، 490 الف-(1971)-رق.

لتحصيل صداقته، كمن يثنى على ظالم بسبب ظلمه، يصوره بصوره العدل، أو مبتدع على بدعته ويصورها بصوره الحق. والتقيه مخالطه الناس فيما يعرفون، وترک ما ينكرون حذرا من غوائلهم...). وفى النهايه فى غريب الحديث لابن الاثير (1) (ليخرجن ناس من قبورهم على صوره القرده، بما داهنوا أهل المعاصى، ثم وكفوا عن علمهم وهم يستطيعون) أى قصروا ونقصوا... وعن لسان العرب لابن منظور: (2) (وفى الحديث: أن بنى إسرائيل كانوا إذا عمل فيهم بالمعاصى نهاهم أحبارهم تعذيرا فعمهم الله بالعقاب، وذلک إذا لم يبالغوا فى نهيهم عن المعاصى، وداهنوهم ولم ينكروا أعمالهم بالمعاصى حق الإنكار، أى نهوهم نهيا قصروا فيه ولم يبالغوا... وقال أيضاً: (3) (والموالسه: الخداع... والموالسه: شبه المداهنه فى الأمر)، وقال كذلک: (4) (والمداجنه: كالمداهنه). وقال: (5) (والمداهنه والإدهان: المصانعه واللين، وقيل: المداهنه إظهار خلاف ما يضمر. والإدهان: الغش. ودهن الرجل إذا نافق قال الجوهرى: والمداهنه والإدهان كالمصانعه. وفى التنزيل العزيز: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9). وقال قوم: داهنت بمعنى واريت، وأدهنت بمعنى غششت. وقال الفراء: معنى قوله عز وجل: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9)، ودوا لو تكفر فيكفرون، وقال فى قوله: أَ فَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (الواقعه:81)، أى مكذبون، ويقال: كافرون. وقوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9)، ودوا لو تلين فى دينک فيلينون. وقال أبو الهيثم: الإدهان المقاربه فى الكلام والتليين فى القول، من ذلک قوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9)، أى ودوا لو تصانعهم فى الدين فيصانعوک. الليث: الإدهان اللين. والمداهن: المصانع... وقال بعض أهل اللغه: معنى داهن وأدهن أى أظهر خلاف ما أضمر، فكأنه بين الكذب على نفسه). وعن القاموس المحيط للفيروز آبادى: (6) (دهن: نافق، والمداهنه: إظهار خلاف ما يضمر كالإدهان والغش).

1- (1) . النهايه فى التخريب الحديث، 220/5.
2- (2) . لسان العرب، 547/4.
3- (3) . نفس المصدر، 258/6.
4- (4) . نفس المصدر،148/13.
5- (5) . نفس المصدر، ص162.
6- (6) . القاموس المحيط، 224/4.

ورد معنى النفاق فى العين الخليل الفراهيدى: (1) (والنفاق: الخلاف والكفر، والفعل: نافق نفاقا... وللمنافق سر دونه نفق، أى سر يخرج منه إلى غير الاسلام...). وفى غريب الحديث عن ابن سلام: (2) (نفق كفر وقال أبو عبيد: فى حديث النبى عليه السلام فى ذكر المنافقين وما فى التنزيل من ذكرهم و[من] ذكر الكفار. فيقال: إنما سمى المنافق منافقا لأنه نافق كاليربوع، وإنما هو دخوله نافقاءه، يقال منه: قد نفق فيه ونافق وهو جحره، وله جحر آخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء، وهو يدخل فى النافقاء ويخرج من القاصعاء، أو يدخل فى القاصعاء ويخرج من النافقاء، فيقال: هكذا يفعل المنافق يدخل فى الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذى دخل فيه. وقد يقال فى المنافق: إنما سمى منافقا للنفق وهو السرب فى الأرض، والتفسير الأول أعجب إلىَّ).

وقال صاحب النهايه فى غريب الحديث ابن الاثير: (3) (نفق) قد تكرر فى الحديث ذكر (النفاق) وما تصرف منه اسما وفعلا، وهو اسم إسلامى، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله فى اللغه معروفا. يقال: نافق ينافق منافقه ونفاقا، وهو مأخوذ من النافقاء... وقيل: هو من النفق: وهو السرب الذى يستتر فيه، لستره كفره. وفى حديث حنظله (نافق حنظله) أراد أنه إذا كان عند النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم أخلص وزهد فى الدنيا، وإذا خرج عنه ترک ما كان عليه ورغب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن، ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وفيه (أكثر منافقى هذه الامه قراؤها)، أراد بالنفاق هاهنا الرياء لان كليهما إظهار غير ما فى الباطن).

وفى لسان العرب لابن منظور (4) ما يقرب منه: (والنافقاء إحدى جحره اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه، فإذا أُتىَ من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج، والجمع النوافق. قال ابن برى: جحره اليربوع سبعه: القاصعاء والنافقاء والداماء

1- (1) . العين، 178/5.
2- (2) . النهايه فى غريب الحديث13/3، 14.
3- (3) . النهايت فى غريب الحديث، 98/5.

4- (4) . لسان العرب،359/10.

والراهطاء والعانقاء والحاثياء واللغز، وهى اللغيزى أيضا. قال أبو زيد: هى النافقاء والنفقاء والنفقه والرهطاء والرهطه والقصعاء والقصعه... والنفاق، بالكسر، فعل المنافق. والنفاق: الدخول فى الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء... وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه... يقال: نافق ينافق منافقه ونفاقا، وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق وهو السرب الذى يستتر فيه لستره كفره... وكذا فى تاج العروس للزبيدى. (1)

الإيمان

جاء تعريف الإيمان فى كتب اللغه، فقد ذكر صاحب العين الخليل الفراهيدى: (2) (والايمان: التصديق نفسه، وقوله تعالى: وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا (يوسف: من الآيه17)، أى: بمصدق). وكذا فى مختار الصحاح محمد بن عبد القادر: (3) (والايمان التصديق)، والقاموس المحيط الفيروز آبادى (4) وفى الصحاح للجوهرى: (5) (والايمان: التصديق...). وفى النهايه فى غريب الحديث لابن الاثير: (6) أمن فى أسماء الله تعالى (المؤمن) هو الذى يصدق عباده وعده: فهو من الإيمان: التصديق، أو يؤمنهم فى يوم القيامه من عذابه، فهو من الأمان، والأمن ضد الخوف). وفى اللسان لابن منظور: (7) والإيمان: ضد الكفر. والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يقال: آمن به قوم وكذب به قوم... (وفى التنزيل العزيز: وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنّا صادِقِينَ (يوسف: من الآيه17)، أى بمصدق. والإيمان: التصديق. التهذيب: وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيمانا، فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق. قال الله تعالى: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا ، (الحجرات: من الآيه14) قال: وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهيمه وأين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان، والإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبى صلى الله عليه و آله ، وبه يحقن الدم،

1- (1) . تاج العروس، 79/7، 80.
2- (2) . العين، 389/8.
3- (3) . مختار الصحاح، ص21.
4- (4) . القاموس المحيط، 197/4.
5- (5) . الصحاح، 2071/5.
6- (6) . النهايه فى غريب الحديث، 70/1.

7- (7) . لسان العرب، 21/13، 23، 24.

فإن كان مع ذلک الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلک الإيمان الذى يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم، وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاک، وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله فى ذلک ريب فهو المؤمن وهو المسلم حقا، كما قال الله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ (الحجرات:15)، أى أولئک الذين قالوا إنا مؤمنون فهم الصادقون، فأما من أظهر قبول الشريعه واستسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق، فذلک الذى يقول أسلمت لأن الإيمان لا بد من أن يكون صاحبه صديقا، لأن قولک آمنت بالله، أو قال قائل آمنت بكذا وكذا فمعناه صدقت، فأخرج الله هؤلاء من الإيمان فقال: وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ (الحجرات: من الآيه14)، أى لم تصدقوا إنما أسلمتم تعوذا من القتل، فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام مظهر للطاعه مؤمن بها، والمسلم الذى أظهر الإسلام تعوذا غير مؤمن فى الحقيقه، إلا أن حكمه فى الظاهر حكم المسلمين. وقال الله تعالى حكايه عن إخوه يوسف لابيهم: وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنّا صادِقِينَ (يوسف: من الآيه17)، لم يختلف أهل التفسير أن معناه ما أنت بمصدق لنا، والأصل فى الإيمان الدخول فى صدق الأمانه التى ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانه وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانه التى ائتمنه الله عليها، وهو منافق، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب فإنه لا يخلو من وجهين أحدهما أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم، أو يكون جاهلا لا يعلم ما يقول وما يقال له، أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق وترک قبول الصواب، أعاذنا الله من هذه الصفه وجعلنا ممن علم فاستعمل ما علم، أو جهل فتعلم ممن علم، وسلمنا من آفات أهل الزيغ والبدع بمنّه وكرمه... وقريب من ذلک فى تاج العروس للزبيدى. (1)

تدقيق

مما تقدم من عرض للتعريفات تبين ما يلى:

1- (1) . تاج العروس، 125/9.

1. أن بين التقيه والمداراه موافقه ولو من جهه.

2. أن التقيه فعل - أعم من القول أو الفعل بالمعنى الأخص - .

3. أنها استبطان الإيمان وأن النفاق هو استبطان الكفر.

4. عقيده المتقى يتشرف بها ويخفيها خوفا فيظهر خلافها ولكنه مكره على ذلک بشكل مباشر أو غير مباشر، وعقيده المنافق يخجل من إظهارها ويتشرف بإظهار خلافها.

5. التشابه بين التقيه والنفاق من حيث الإخفاء والإظهار فقط وفقط. وليس من اشتراک آخر بينهما، فالتقيه جميله حسنه على كل حال، دنياً وآخره، والنفاق قبيح على كل حال وفيهما، كما أن الإيمان حسن فى كليهما، ولا يمكن لعاقل أن يقول: إن أحد معانى الحسن هو القبح ولا العكس.

6. التقيه وما يقرب منها - كماده - ممتدحه سواء أكانت مضافه كما فى قوله تعالى: لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ (آل عمران:من الآيه198)، وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ زُمَراً حَتّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ (الزمر:73)، أم مطلقه كقوله تعالى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياهُ الدُّنْيا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ (البقره:من الآيه212)، بل محبب إليها كقوله تعالى: قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ (آل عمران:من الآيه15)، بل مأمور بها كقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آل عمران:102)، أما فى غيرها كالسبيل فمطلقها منهى عنه ومضافها إليه ممدوح كقوله تعالى: وَ أَنَّ هذا صِراطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الأنعام:153)، بخلافه فى النفاق وما يقرب منه، هذا مضافاً إلى ما جاء فى كتب اللغه.

فيسهل لنا الخوض فى المبادى البرهانيه كما فى الفصل التالى.

ص:34

2. تصوير البرهان

المشنعون علينا فى هذا الحكم الشرعى، كان همهم الوحيد حمل النفاق والمداهنه والكذب على التقيه، فقالوا (التقيه نفاق) و (التقيه مداهنه) و (التقيه خداع وكذب)، كل ذلک لتشويه صوره حَمَلَهِ هذا الفكر القويم فكر آل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين لأسباب سنذكرها فى باب من أبواب هذا الكتاب ليُعلم أن هناک قصدا من وراء هذا الفعل الخاطئ.

والصحيح أن التقيه حتى ليست ضداً لما ذكر، ولو تنزلنا وقبلنا ضديه التقيه للنفاق والمداهنه وغيرهما دون الإذاعه فهل يصح حمل الضد على الضد؟ أفيكون هذا الكلام صادرا من عالم يؤخذ منه الدين؟ هذا ما سيتضح لنا من البحث إن شاء الله تعالى.

وكذلک ستجد أن استخدامهم للتقيه إن لم يكن مساوٍ لما عندنا فهو أكبر من ذلک بكثير.

وسيتضح كذلک بالحجه أنک لو اقتطعت التقيه من إطار الأحكام الشرعيه ستجدها مساويه للنفاق، والاختلاف حينه يكون لفظياً فقط، أما لو نظرت إليها كمفرده من مفردات باقى الأحكام الشرعيه، ستجدها خلقاً رفيعاً لا يمكن أن يتجاوزه ذو لب.

الباب الثانی: بحث أدله التقیه عند المسلمین

اشاره

ص:37

1. فى بيان حرمه الدم

اشاره

لغرض الدخول فى بحث الأدله علينا أن نتعرف على واحده من أهم ركائز هذا المبدأ القرآنى - التقيه - ، وهذه الركيزه تعتمد على أصل مهم وهو حرمه الدم بشكل عام، ودم المسلم والمؤمن خاصه عند الله تعالى، ولذلک بدأت بها، وإلا فإن عنوان الباب يقتضى الدخول فى بحث الأدله مباشره، فكان هذا الفصل بحث مقدمى للفصول اللاحقه. وأتعرض فى هذا الفصل إلى أدله حرمه المسلم من طريق العامه لا الخاصه، فإنها عندنا معلومه لا تحتاج ثمه إلى التطرق إلى أدلتها من كتبنا.

الحديث القدسى

جاء فى الحديث القدسى - وبألفاظ متعدده - من طرق العامه والخاصه: (1)

«أن من عادى ولياً أو أهانه أوأخافه فقد بارز أو آذن الله تعالى بالمحاربه» . وقد جاء فيها أن الله تعالى يكره مساءه المؤمن، والمؤمن يكره الموت فيتردد الله تعالى فى قبض روحه. (2) وألفاظ الحديث كما سأوردها وحذفت الأسناد اختصاراً وإلا فالمضمون واحد فلا يشكل علينا بضعف قسم منها، وهى كالآتى:-

1. من أهان لى وليا فقد بارزنى بالعداوه، ابن آدم لن تدرک ما عندى إلا بإداء ما افترضت عليک، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فأكون أنا سمعه

1- (1) راجع ملحق المصادر إن شاء الله جل جلاله به عنوان (مصادر الحديث القدسى)، مع تعليق على بعض النكات الوارده فيه والتعليق عليها هنا يبعد عن لب البحث، ص217.
2- (2) . وهذا من البداء الذى نؤمن به وإلا فما معنى التردد إلا أن يؤخر أجل المؤمن - فى بعض الأحيان - ثم يقبض روحه، ومن لم يسم هذا بذلک فليجد له اسما فالاختلاف ليس لفظيا.

الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، وقلبه الذى يعقل به، فإذا دعانى أجبته، وإذا سألنى أعطيته، وإذا استنصرنى نصرته، وأحب ما تعبد لى عبدى به النصح لى.

2. من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربه، إن سألنى أعطيته، وإن دعانى أجبته، وما ترددت فى شىء أنا فاعله ما ترددت فى قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه، وإن من عبادى المؤمنين لمن يشتهى الباب من العباده فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ذلک، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو بسطت له لأفسده ذلک، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحه ولو أسقمته لأفسده ذلک، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا السقم ولو صححته لأفسده، إنى أدبر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير.

3. من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى، وما تقرب إلىَّ عبدى بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها، وأذنه التى يسمع بها، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وفؤاده الذى يعقل بهف ولسانه الذى يتكلم به، إن دعانى أجبته، وإن سألنى أعطيته، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن وفاته، وذاک لأنه يكره الموت وأنا أكره مساءته.

4. ما تقرب إلى عبدى بمثل اداء فرائضى، وإنه ليتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت رجله التى يمشى بها، ويده التى يبطش بها، ولسانه الذى ينطق به، وقلبه الذى يعقل به، إن سألنى أعطيته، وإن دعانى أجبته.

5. من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربه، وإنى أسرع شىء إلى نصره أوليائى، إنى أغضب لهم كما يغضب الليث الحرب، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض روح عبدى المؤمن وهو يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه، وما تعبدنى عبدى المؤمن بمثل الزهد فى الدنيا، وما تقرب إلىَّ عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، إن سألنى أعطيته، وإن دعانى استجبت له، وإن من عبادى المؤمنين لمن سألنى من العباده فأكفه عنه ولو أعطيته إياه لدخله العجب وأفسده ذلک، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلک، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلک، وإن من

عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحه ولو أسقمته لأفسده ذلک، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلک، وإنى أدبر لعبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير.

6. من عادى لى وليا فقد ناصبنى بالمحاربه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله كترددى عن موت المؤمن يكرهه وأكره مساءته، وربما سألنى وليى المؤمن الغنى

فاصرفه إلى الفقر ولو صرفته إلى الغنى لكان شرا له، وربما سألنى وليى المؤمن الفقر فاصرفه إلى الغنى ولو صرفته إلى الفقر لكان شرا له.

7. وعزتى وجلالى وعلوى وبهائى وجمالى وارتفاع مكانى لا يؤثر عبد هواى على هوى نفسه، إلا أثبت أجله عند بصره وضمنت السماء والأرض رزقه وكنت له من وراء تجاره كل تاجر.

ومما تقدم عُلم أن الله تعالى يتردد فى قبض روح المؤمن فكيف يرضى بقتله؟ عندها يتضح أنه لا بد من مخرج للمؤمن إذا تعرض للضغوط.

أقوال النبى صلوات الله تعالى عليه وآله

وردت روايات بألسن متعدده تشير إلى حرمه المؤمن بشكل خاص والمسلم. فمنها ما جاء فى البخارى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه و آله قَالَ:

«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». (1)وجاء فى التشديد على حرمه دم المسلم والمؤمن وفى التحذير من قتلهما بل حتى الاشتراک فى دمهما ولو بكلمه، وفى عظم حرمه المؤمن، وذلک بحسب ألسنه الروايات، من المصادر ما يقطع بأن هذا الأمر من ضرورات الدين، حتى أنه صلوات الله تعالى عليه وآله قد وصف التقاتل بين المسلمين بالكفر كما جاء فى خطبه الوداع. (2) وألسنه الأدله كانت بهذه الألفاظ: «لو أن آدم ومن دونه من الناس اشتركوا فى دم مؤمن أكبهم الله فى النار»، «لزوال الدنيا أهون على الله تعالى من سفک دم مسلم بغير حق»، «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمه, لقى الله يوم القيامه...»، «لا يحل قتل مسلم إلا فى ثلاث خصال زان محصن...»، وقال صلوات الله تعالى عليه وآله مخاطباً الكعبه المشرفه:

«ما أعظمک وأعظم حرمتک. والذى نفس محمد بيده لحرمه المؤمن أعظم عند الله حرمه منک» ، وأما فيما يخص الجنه: «حتى اذا عاينها ودنت حيل بينه وبينها بملء كف من دم رجل مسلم اهراقها ظلما سمعت هذا من نبى الله صلى الله عليه [وآله] وسلم». بل حتى أنه قد ورد فى البخارى أن: «من قتل معاهداً لم يرح رائحه الجنه»، (البخارى كتاب الجزيه والموادعه ح/2930) فكيف بالمسلم والمؤمن؟

وما ذكره روحى فداه فى حج الوداع ونقله العامه والخاصه بشأن حرمه دم وعرض ومال المسلم - وهو من تشهد الشهادتين - كاف حيث قال صلوات

الله تعالى عليه وآله:

«لا ترجعوا بعدى كفارا...» ، إلا من استثنى، وكذلک.

ص:41

1- (1) . كتاب الإيمان ح46، كتاب الأدب ح5584، كتاب الفتن ح6549راجع غيره من المصادر.
2- (2) . ملحق المصادر تحت عنوان من قتل مسلماً أو مؤمناً، ص219.

وأما قاله الصحابه ونقله علماؤهم ونادوا به فكثير، أوردت منه ما يؤدى الغرض. فقد جاء فى الأمثال من الكتاب والسنه للحكيم الترمذى: (1)

فقلب المؤمن أعظم شأنا من الحرم وما فيه أعظم من الكعبه فإن كانت الكعبه بيته فهذا نوره فى خزانته وإن كانت الكعبه لا يملكها غيره فهذا القلب أيضا... .

وعن عون المعبود لمحمد آبادى: (2) «حل لک دفعه عن نفسک ولا أحد من خلق الله أعظم حرمه من المؤمن...»، وفى التمهيد لابن عبد البر (3) تكلم هناک فى حرمه دم المؤمن ونقل كلمات لابن عمر الذى ردد كلمات النبى صلى الله عليه و آله - حسب الظاهر - فى تعظيم حرمه المؤمن على حرمه الكعبه المشرفه زادها الله تعالى فخراً، وفى تفسير ابن كثير: (4) «وقال سعيد بن جبير من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعا ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعا هذا قول وهو الأظهر... .» وعن تفسير البيضاوى: (5) «فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم...» (6) وفى المستصفى للغزالى: (7) «ولذلک يجب عليه ترک ما أكره عليه إذا أكره على قتل مسلم...» وسيأتى الكلام حول هذه النقطه بالذات فلا تقيه فيما يسبب هتک حرمه مؤمن آخر ويجوز ذلک فى غيره. وعن المنثور للزركشى: (8) «ترک ألف كافر فى الحياه أهون من الخطأ فى سفک دم مسلم قال وقد وقع التكفير لطوائف من المسلمين يكفر بعضها بعضا، فالأشعرى يكفر المعتزلى زاعما أنه كذب...». وكذلک قالوا: (9) «فإن من استحل قتل مسلم فهو كافر».

والعجب من قول ابن الهمام: «لا بد من تقييده بأن لا يكون القتل بغير حق أو عن تأويل واجتهاد يؤديه إلى الحكم بحله»، وقول ابن تيميه: «أما إذا كان الباغى مجتهدا ومتأولا ولم

1- (1) . الأمثال من الكتاب و السنه،201.
2- (2) . عون المعبود،118/14.
3- (3) . التمهيد، 64/2\- 51/13- 319/23.

4- (4) . تفسير ابن الكثير،48/2.
5- (5) . تفسير البيضاوى، 237/2.
6- (6) . وجاء كذلک فى تفسير أبى السعود287/3- تفسير البغوى32/2- إيثار الحق على الخلق ابن الوزير224- قواعد الأحكام أبى محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام79/1، 80 ما يقرب من ذلک.
7- (7) . نفس المصدر، ص177.
8- (8) . المنثور،88/3.
9- (9) . التقرير والتحبير لابن أمير الحاج127/1- المنخول للغزالى377- جواهر العقود الأسيوطى43/1.

يتبين له أنه باغ بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئا فى اعتقاده: لم تكن تسميته باغيا موجبه لأثمه»، وقال فى محل آخر: «ومنهم من قال هذا دليل على أن معاويه وأصحابه بغاه وأن قتال على لهم قتال أهل العدل لأهل البغى لكنهم بغاه متأولون لا يكفرون ولا يفسقون»، (1) واعتقد أن كل ذلک لغرض تبرير فعله خالد بن الوليد مع الصحابى الجليل مالک بن نويره رضوان الله تعالى عليه الذى قتله ثم نزا على زوجه لجمالها، فقال: أبو بكر (تأول فأخطأ)، علماً أن عدداً من الصحابه شهدوا على إسلام الرجل، وقد ترضى عليه الاسفراييني فى مسنده (2) عند ذكره توليه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله صدقات قومه فكيف يترضى عالم مسلم على رجل مرتد، والظاهر - و الله تعالى العالم - أن الذى قتله اثنان: جمال زوجته التى لطالما أعجبت خالداً، والثانى امتناعه عن دفع الصدقه لا مطلقاً بل لغير من ولاه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله على الأقل برأيه كما عمل غيره برأيه، فاستحل دمه الشريف تحت عنوان الرده. وللمزيد لک مصادر الحادثه فى الهامش لتطلع. (3) هذا أولاً. وثانياً: (تأول!) قسم من الصحابه فى قتال سيد الموحدين بعد الرسول الكريم صلوات الله تعالى عليهم وأصحابه وأتباعه من قبل أهل الجمل فى الواقعتين الصغرى التى قاتلوا فيها عامل أمير المؤمنين الصحابى عثمان بن حنيف الأنصارى، والكبرى فى قتال أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه، (4) وقتال معاويه علياً صلوات الله تعالى عليه فى صفين (5) التى استشهد فيها عمار بن ياسر وغيره من الصحابه وخيره التابعين، وكذا قتله حجر بن عدى (6) وأصحابه وغيرهم من المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم.

فما فائده النصوص المتقدمه وما قيمتها إلا للمنع من التأول الذى يتبعه ارتكاب الهتک. وقد حمل ابن قيم الجوزيه على التأويل أى حمله فراجع ملحق المصادر (7)... فيتضح بطلان التقييد المذكور.

1- (1) . شرح فتح القدير ابن الهمام100/6- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى الفقه76/17- الخلافه والملک لابن تيميه/76- مجموع الفتاوى لابن تيميه76/53- الفتاوى الكبرى ابن تيميه266/4- منهاج السنه419/4.
2- (2) .264/4.. راجع تأريخ الرجل واحكم بنفسک ولا تكن إمعه تصدق كل ما يقال اتباعاً للهوى فإن المسأله مسأله آخره. وإلا فسيأتى أن عمر لم يرض بذلک وأراد أن يقيم عليه الحد.

3- (3) . راجع ملحق المصادر تحت عنوان مصادر قتل مالک بن نويره ص220.
4- (4) . راجع ملحق المصادر تحت عنوان معركه الجمل ص221.
5- (5) . نفس الهامش السابق تحت عنوان معركه صفين ص223.
6- (6) . نفس الهامش السابق تحت عنوان قتل عمار ص226 وقتل حجر بن عدى ص227.
7- (7) . تحت عنوان الحمل على التأويل ص228، وإن كان النقض على التأويل مطلقاً مردود.

المستفاد

مما تقدم أن للمؤمن بشكل خاص والمسلم بشكل عام حرمه عظيمه بعظم ما جاء فى الأثر من تأكيد على ذلک، وكما ذكرت لكى لا يتخذ قتله وانتهاک حرمته محلاً للتأول والتأويل فيكون لقتله والاعتداء على حرمته غطاء يتخذه الجبابره ويتبعهم بذلک الرعاع والمصفقين.

ومن الجدير بالذكر أن تعظيم حرمه المؤمن على الكعبه ناشىء من أهميته فى إعمار هذا البيت المعظم، وإلا فما فائده بيت أعده الله تعالى قبله للمؤمنين والمسلمين ومحل يقبل فيه استغفارهم إن لم يوجد المستغفر والمستقبل والمعظم له، فتعظيم هذه البنيه الطاهره المشرفه وإظهار هذا التعظيم أساسه هذا الوجود المبارک وهو المؤمن.

ومن خلال ما تقدم يتم تصور وتصوير التقيه من كونها سلاحاً يتسلح به المؤمن ليحفظ نفسه من الظالمين والمنحرفين الذين لا يرون أى حرمه لأى مخلوق، بل حتى الخالق عز اسمه، ولا يبيح لنفسه استخدام بعض الأساليب حتى فى الرد على العدوان الحاصل كقطع الماء عن الطرف المقاتل وتسميم الطعام والماء، (1) كما فعل بعض بعد سقوط البعث البائد من قتل النساء والأطفال والشيوخ والشباب وتهجير الناس من دورهم وسرقه أموالهم، بل وتم ضرب زائرى مرقد الكاظمين الشريفين من آل محمد صلوات الله تعال عليه وآله فى ذكرى استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، بالأسلحه الكيماويه حقداً وبثوا السم للمشاه فى الطعام كل ذلک تحت عنوان المقاومه الشريفه، كما وباعوا النساء إلى الدول العربيه ليشفوا غليلهم فهنيئاً للأمه العربيه على ما حاربت محمداً وآله عليهم الصلاه والسلام.

1- (1) . منع معاويه فى صفين أصحاب على عليه السلام الماء، ولما دفعوهم أباحوه لهم، وقتلوا محمد بن أبى بكر ومثلوا بجثته وقدموا السم إلى مالک الأشتر وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وما فعله أتباع يزيد فى كربلاء كاف..وما يفعله النواصب الآن فى العراق نفس ما ارتضعوه من التاريخ... وأما طم آبار بدر من قبل جيش النبى صلوات الله تعالى عليه وآله فى فلم الرساله فليس بصحيح، فإن من يأمر بعدم الإجهاز على المدبر والمانع من قطع الشجره والتعرض للنساء فى الحرب لا يطم بئراً.. فتأمل

ولا ترض هذا الفعل الدنىء إلى نبيک فهو المبعوث رحمه للعالمين، أما هم فسيقولون لک: لا عليک بكلام هذا الرافضى فهم صحابه وكلهم عدول.. وأقول لک: لا عليک بهؤلاء فآخرتک أهم فلا يستحق أحد أن تبيع آخرتک بدنياه. وسيأتى إن شاء الله تعالى الإشاره إلى حوادث إباحه الماء من قبل أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه بعد طرد أصحاب معاويه عنه تحت عنوان خلق المتقين ص191، وتجد مصادر قتل محمد بن أبى بكر وسم مالک الأشتر وقتل عمر بن الحمق رضوان الله تعالى عليهم وسم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى ملحق المصادر فتابع هناک كل تحت عنوانه من ص229-232.

دليل ذلک ما جاء فی النهی الشديد فی القرآن الكريم عن قتل النفس من غير عذر فقال تعالى: أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً (المائده:من الآيه32)، فالآيه الكريمه لم تقيد قتل النفس المسلمه فقط بل بينت سبب حل الدم فتأمل. وكذلک حديثه صلوات الله تعالى عليه وآله:

«لا ترجعوا بعدی ضلالاً» أو «كفارا» على أیّ لفظ كان.

وقد أوردت كماً كبيراً - كما سترى فی الملحق - من المصادر التی نقلت الحديث القدسی الشريف وأقوال النبی صلوات الله تعالى عليه وآله وأقوال الفقهاء ليعلم أن حرمه دم المؤمن بل مطلق الدم من غير حق من ضرورات الدين، وهو أمر مسلم به عند المسلمين كالصوم والصلاه، فلا يجوز ارتكاب هذه الخطيئه بأی شكل من الأشكال. وقد بينت ألفاظ الروايات حالات جواز ارتكاب القتل كالقصاص، وهی موارد معينه ولا تشمل الشبهه مطلقاً، حيث يعلم أن التأول والاجتهاد فی قتل المسلم مرفوض قطعاً، وإلا لما نزلت هذه الآيه الشريفه: إِذا ضَرَبْتُمْ فِی سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً (النساء:من الآيه94)، فإما أن يكون ذلک الشخص مستحقاً أو لا، ولا توجد حاله وسط ألا وهی حاله الشبهه. فمن قاتل مسلماً أو مؤمناً مستحلاً دمه من غير سبب حق فهو عامد، وإلا فبإمكان أی شخص يدعی عدم حرمه دم فلان وينتهی الأمر.

ثم نأتی إلى أمر آخر، حيث قال تبارک وتعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ أُولئِکَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (آل عمران:22، 21)، فيطرح هذا التساؤل هل كان على بن أبی طالب صلوات الله تعالى عليه من الذين يأمرون بالقسط أم لا؟ وعليه هل يجوز قتاله وقتال أصحابه وشيعته أم أن من يقاتله من: الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ كائناً من كان، فالآيه صريحه ولا يوجد مخصص يستثنی خال المؤمنين ولا غيره؟ الجواب عند من لا يخاف إلا الله تعالى.

وعلى كل حال فإنهم حاولوا تبرير عمليات القتل بالتأويل، لكی يكون معذوراً وكأن الله تعالى يعمل بهذه التبريرات، ولكن يبقى أمر تجدر الإشاره إليه من قوله تعالى: مُحَمَّدٌ

ص:45

رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْراهِ وَ مَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً (الفتح:29)، فمن خلال رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تعلم الفرق بين عمار وأبى ذر، وعمار ومعاويه، وعمار والذين طالب بدمهم معاويه، فافهم أنت، لا تتشبث بفعل أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يتعامل مع أسراهم كمماليک وأموالهم كغنائم، لأن المقام هنا مقام تشبيه حذف منه أداه التشبيه ووجه الشبه، لأن المسلم إذا قاتله المسلم انحلت ولايه الإسلام بينهما فيكون كالكفر، نعم قد يقال بالجمع مع قوله صلوات الله تعالى عليه وآله:

«لا ترجعوا بعدى ضلالاً- أو - كفارا» ، يحمل الكفر على معناه حقيقه لا مجازاً، ولكن يكون من قبيل الكفر الذى لا يخرج من الملهِ ولكنه فى الآخره حسابه حسابه، إلا أنه يمكن حمل الثانى على التشبيه أيضاً.

2. استخدامها مع الكفار

اولاً: الدليل العقلى

لو خُلِّىَ كل عاقل ونفسه، وقيل له إن هناك ضرراً يحيط بك، لَتَصَرَّفَ - جزماً - تصرفاً يدفع الضرر - وإن كان محتملاً - عن نفسه على أنه لا يعقل أن يدفع هذا الضرر بضرر أشد منه لقيد العاقليه المتقدم، وإلا فإن ما قام به عمار رضوان الله تعالى عليه من تصرف لم يكن عن دليل نقلى اعتمد عليه فى ذلک، بل كان راجعاً إلى العقل ليس غير، حيث وجد بأن كلمه يريدها هؤلاء يقولها باللسان وقلبه مطئن بالإيمان فى قبال نجاته من القتل أمراً ليس بشىء، وعليه فقد تلفظ بما يريدون وحصل على ما يريد وانتهى الأمر إلى ما أحب هو لا إلى ما أحب الكفار، لأنه ادّخر نفسه لما هو أهم فبدلاً من أن يستشهد فى ذلک الوقت أصبح دليلاً على الفئه التى على الحق فى نزاع يحصل بين المسلمين فئه يقودها أمير المؤمنين على صلوات الله تعالى عليه وأخرى يقودها معاويه بن أبى سفيان، (1) ثم استشهد أيضاً فنال المرتبتين رضوان الله تعالى عليه.

وعلى ما تقدم يكون ذلک دليلا برأسه عند من يقبل حجيه فعل الصحابى، أو اقتداءً به لأنه رجع إلى عقله فى هذا الفعل فيكون ما ذكر كمثال.

وأما عند من لا يرى ذلک ويعتمد سنه المعصوم فقط فإن إقرار النبى صلوات الله تعالى

1- (1) . سيأتى الحديث عن ذلک إن شاء الله تعالى فتابع، ص223.

علیه وآله له حیث قال:

«فإن عادوا فعد...» کما جاء ذکره فی محله، (1) فإنه بضم إقرار النبی صلوات الله تعالی علیه وآله إلی ما قام به هذا الصحابی الجلیل یکفی فی المقام. نعم یبقی أمر واحد حری أن یشار إلیه وهو أنه قد یُشْکَلُ علی موقف عمار من خلال اعتذاره وإبداء ندمه إلی النبی صلوات الله تعالی علیه وآله وهذا - کما قد یشکل به - إنما ناتج عن تأنیب الضمیر. والجواب أن هذا أمر طبیعی یحصل لکل إنسان یقوم بعمل فی حال الاضطرار فیتأثم منه فیکون مجرد أمر تابع إلی الحاله النفسیه لذلک الشخص لیس غیر، فإن هناک من لا یتأثم من إرتکاب الضرورات فیراها أمرا لیس بذی أهمیه وهناک من هو بخلافه. وسیأتی فی البحث التالی عرض الجنبه الشرعیه لهذه الواقعه التی أُقِرت کتاباً وسنه إن شاء الله تعالی.

ثانیاً: الأدله الشرعیه

اشاره

مما تجدر الإشاره إلیه أولاً وقبل الخوض فی الأدله، أن الله تعالی أمر بها فقال: وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَیَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ (الأنعام: من الآیه108)، ولا أتصور هناک عاقلاً یقول: إنما أمر بذلک حباً بهم، بل إنه معلل بقوله تعالی: فَیَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ ، وإن کان ذلک غیر مُعتَرض علیه من قبل أتباع المذاهب باعتبار أنها مع الکفار کما سیتضح، والخلاف وقع فی استخدامها مع المسلم وسیتضح مشروعیتها والأمر بها. ولو اتخذنا هذه الآیه الشریفه کمثال (2) یترشح ذلک علی النبی والأئمه الأطهار لئلا یسبهم الکفار والنواصب عدواً بغیر علم.

ثم إنه قد اتفقت کلمه المسلمین علی مشروعیه استخدامها عند الإکراه أو خوف الضرر مع الکفار علی تفصیل فی محله. وقد جاء فی ذلک قرآن کریم عندما أظهر بعضٌ من أوائل المسلمین - الصحابه - موافقه الکفار الذین فتنوهم تخلصا من التعذیب أو القتل، مما جعلهم یشعرون بالحرج من هذا الفعل الذی قاموا به. ولو رجعنا إلی تفاسیر المسلمین لوجدنا ذلک واضحا عند تعرضهم لتبیین قوله تعالی: لا یَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ فَلَیْسَ مِنَ اللَّهِ فِی شَیْ ءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً (آل عمران:من الآیه28)،

1- (1) . (حليه الأولياء الأصبهانى140/1- صفه الصفوه ابن الجوزى443/1- الدرايه فى تخريج أحاديث الهدايه ابن حجر197/2- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم2252/5- روح المعانى الألوسى237/14- كتاب التقرير والتحبير ابن أمير الحاج 196/2- صحيح شرح العقيده الطحاويه حسن بن على السقاف/81، 695).
2- (2) . قال جل جلاله: وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنّاسِ فِى هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النّاسِ إِلاّ كُفُوراً (الاسراء:89).

وكذلک عند تفسير قوله تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (النحل:106). ومن خلال ما عرضوا له هناک يثبت المطلوب.

ويتضح مما تقدم الإقرار من لدن الله تعالى على ما فعلوا والترخيص لهم فى ذلک، ولم يؤنب الذين قاموا بهذه الفعله كما أنب أحد رجال بنى أميه - مثلا - عندما عبس بسبب وصول الأعمى إليه. (1)

وعلى كل حال فإن هؤلاء الصحابه المتقين هم عمار بن ياسر وصهيب الرومى وجبر مولى الحضرمى. علماً أنه قد وقع فعلا ما يخشونه على أنفسهم من هؤلاء، فكان نصيب بعض آخر القتل ک- (ياسر وسميه) والدى عمار رضوان الله تعالى عليهم. ولو تأملنا الآيتين الشريفتين السابقتين لوجدنا فيهما تهديداً ووعيداً لمن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلا فى حال معين هذا فى الأولى وفى الثانيه اللجوء إلى التلفظ بكلمه الكفر ظاهراً لا إيماناً من المتلفظ بها، والاستثناء فيهما منصب على هذين الصنفين من، ولما كان حفظ نفس المؤمن وحرمته عنده تعالى أهم من الظاهر الذى يريده هؤلاء جعل للمؤمنين مخرجا ألا وهو «التقيه». عندها لا يعد من استخدمها كافراً، بل محكوم بإيمانه وذلک بما اطمأن به قلبه. ومن خلال الظروف التى نستقرؤها والمحيطه بمن استخدمها، نجد أنها مشروطه بموارد دون أخرى فقد تشرع وقد لا تشرع فيرتفع الموضوع من رأس، وكل ذلک إنما هو بحسب الموارد التى لا يحفظ فيها المسلم نفسه من الكافر، وسيتضح كل مطلب فى محله إن شاء الله تعالى.

وبناء على ما تقدم فإنها مسأله سياله تشمل جميع نواحى حياه المؤمن بقيود وشرائط معينه تدخل فيها، فلذلک لم نجد لها باباً معيناً تبحث فيه، ولكنها تعتبر من القواعد الفقهيه العامه التى لها ظروفها وشرائطها المعينه فيعمل بها عند تحققها، كقاعده لا ضرر ولا ضرار، وقاعده ارتكاب أقل الضررين، والضرورات تبيح المحظورات (2).إلخ. على أن هناک من

1- (1) . هذه الواقعه نسبت إلى النبى الأكرم صلوات الله تعالى عليه وآله ظلماً، وكان على من نسبها أن ينفى ذلک بأدنى تأمل، فبدلاله الروايه يفترض أن يوبخ عبد الله بن مكتوم رحمه الله لأنه هو الذى قاطع النبى

صلوات الله تعالى عليه وآله إثناء كلامه والآيه لا تذكر للمقاطعه أى أثر، بل كان مجرد الوصول هو سبب العبوس، فيتعارض نص الآيه الشريفه مع الروايه فتسقط الأخيره عن الحجيه، هذا مع التسليم بوجود روايه صحيحه بهذا الخصوص وإلا فالأمر منتفٍ من رأس ولِىَ فى ذلک بحث فى التفسير ابسط الكلام هناک ان شاء الله.
2- (2) . لو تمعنت فى القاعده الأخيره لشممت منها رائحه الأمر بالتقيه، مع الحاجه إلى التقييد المذكور فى الروايه المشار إليها

الآيات الكريمه ما يساعد على اقتناص هذا المعنى منها، كقول الله تعالى: لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ (البقره: من الآيه256)، و ما يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ (المائده: من الآيه6)، و يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (البقره: من الآيه185)، و لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها (البقره: من الآيه286)، و وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَهِ (البقره: من الآيه195)، و فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ (البقره:من الآيه173)، و فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَهٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ (المائده:من الآيه3) مع ضميمه قياس الأولويه أو كبرى آيات الأمثال، و فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ (الأنعام: من الآيه145)، و فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (النحل:من الآيه 115). وللمزيد راجع مصادر المسلمين تحت العناوين المذكوره وننقل من مصادر أتباع المذاهب ما يتيسر هنا.

وقال البخارى (1) فى كتاب الإكراه: وَقَوْلِ الله تَعَالَى: إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ وَقَالَ: إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاهً وَهِىَ تَقِيَّهٌ وَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِى أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ: عَفُوًّا غَفُوراً وَقَالَ: وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَهِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً فَعَذَرَ الله الْمُسْتَضْعَفِينَ (2) الَّذِينَ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْ تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَالْمُكْرَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مُسْتَضْعَفًا غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْ فِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ (3) التَّقِيَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَهِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَنْ يُكْرِهُهُ اللُّصُوصُ فَيُطَلِّقُ لَيْسَ بِشَىْ ءٍ وَبِهِ قَالَ ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَالشَّعْبِىُّ وَالْحَسَنُ... وكذلک قال (4) فى كتاب تفسير القرآن: (تقاه وتقيه واحده...) انتهى... وأما النووى فإنه قال: (5) «إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر.» هذا قول مالک والشافعى والكوفيين غير محمد بن الحسن فإنه قال: «إذا أظهر الشرک

1- (1) . الإكراه، 55/8.
2- (2) . والمستعضف لم يقيد بالذى فى دوله الكفر بل مطلقاً.
3- (3) . البصرى. كما سيرد عنه ذلک فى الصفحات 63 و77.
4- (4) . تفسير القرآن، 165/5.
5- (5) . المجموع 8/18.

كان مرتدا فى الظاهر، وفى ما بينه وبين الله تعالى على الإسلام، وتبين منه امرأته ولا يصلى عليه إن مات ولا يرث أباه إن مات مسلما.» قال القرطبى: «وهذا قول يردِه الكتاب والسنه قال تعالى: إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ (النحل: من الآيه106). وقال: إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً (آل عمران:من الآيه28) ». ثم نقل كلام البخارى وقال:

«فلما سمح الله تعالى بالكفر به لمن أكره وهو أصل الشريعه ولم يؤاخذ به، حمل عليه أهل العلم» .

حديث الإكراه

نقل عنه صلوات الله تعالى عليه وآله:

«رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه...» ، وهو بالمعنى يساوق التقيه فالمكره - بالفتح - يأتى بما يريده المكرِه - بالكسر - فتكون روايات التقيه مفسره - على الأقل - لحديث الإكراه وينتهى الأمر إلى جوازها عند تحقق موجبها. وأما المصادر التى ورد فيها هذا الحديث ففى الهامش. (1)

1- (1) . زاد المعاد ابن قيم الجوزيه201/5- هدايه الحيارى ابن قيم الجوزيه/77- إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه106/3، 51/4- الفتاوى الكبرى ابن تيميه148/3- مجموع الفتاوى ابن تيميه 202/11، 379/35- شرح العمده ابن تيميه 252/3- الزهد والورع والعباده ابن تيميه /190- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى الفقه ابن تيميه 379/17- شرح الأزهار الامام أحمد المرتضى 305/14- كتاب الأم للشافعى347/7- فتح العزيز عبد الكريم الرافعى112/4- المجموع محيى الدين النووى 520/6، 524 و 450/8 و 65/17، 66، 67 و 9/18، 102، 106، 347، 350، 394 و 348/19 و 18/20، 76، 290- روضه الطالبين محيى الدين النووى 168/6- تلخيص الحبير ابن حجر 112/4، 113، 114 و 400/6 و 497/7- الاقناع موسى الحجاوى 108/2، 187- مغنى المحتاج محمد بن الشربينى 289/3و9/4، 145، 355- إعانه الطالبين البكرى الدمياطى 255/2، 260و9/4، 129- مواهب الجليل الحطاب الرعينى 424/5- المبسوط السرخسى 170/1 و 66/3 و 177/6 و 49/11 و 57/24 و 67/26 و

126/27 و 280/30- بدائع الصنائع أبو بكر الكاشانى 233/1، 234 و 188/2 و 3/3 و 110/5و148/7، 252- البحر الرائق ابن نجيم المصرى 428/3 و 547/4 و 308/8 و 8/9- حاشيه رد المحتار ابن عابدين 562/1، 662 و 441/2 و 200/3 و 477/6- المغنى عبد الله بن قدامه 273/5 و 339/9- الشرح الكبير عبد الرحمن بن قدامه 273/5 و 333/9- كشاف القناع البهوتى 124/6، 291- المحلى ابن حزم 207/3، 209 و 158/4 و 193/5 و 165/6، 215، 220 و 189/7، 214، 308، 413 و 158/9، 206 و 507/10- فتح البارى ابن حجر 116/5- إصلاح غلط المحدثين الخطابى البستى /77- نظم درر السمطين الزرندى الحنفى/27- نصب الرايه الزيعلى 75/2، 76و429/3- موارد الظمآن الهيثمى/360- الجامع الصغير جلال الدين السيوطى 16/2- كنز العمال المتقى الهندى 233/4- تذكره الموضوعات الفتنى إما (ص72) ذكر أن هناک من ضعفه ولكن له شاهد) أو (ص91) بحسب الطبعات - فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوى 46/4- كشف الخفاء العجلونى 522/1، 433، 455/2- إرواء الغليل محمد ناصر الألبانى 154/7، 340 و 315/8 ,194- طلاق الغضبان ابن قيم الجوزيه /27- جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلى /371، 373، 374- - تفسير البغوى 274/1- أحكام القرآن الجصاص 6/1 و 14/5- روح المعانى الألوسى 70/3- السيره الحلبيه الحلبى 388/3- فى ظلال القرآن سيد قطب /345- مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابونى /649، 765، 1372، 1552- الفقه على المذاهب الأربعه الجزيرى /176، 445، 1940، 2105، 2108- مفردات الأصفهانى /228- زياده الجامع الصغير للسيوطى /518 - (ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عباس بلفظ [إن الله]) - حليه الأولياء الأصبهانى 352/6- شرح معانى الآثار الطحاوى 95/3- مصباح الزجاجه البوصيرى 125/2، 126- تحفه المحتاج ابن الملقن 400/2، 443- الدرايه فى تخريج أحاديث الهدايه ابن حجر 176/1- خلاصه البدر المنير ابن الملقن 154/1، 322، 37/2- تحفه الطالب ابن

وهذا الدليل يصلح أيضاً لاستخدامها بين المسلمين أنفسهم، ولكن قد يقال: إن المراد بالأول - أى المكرِه - غير المسلم فقط بدليل لفظ (أمتى) وجوابه: نعم ينحصر الثانى فى المسلم لأنه صلوات الله تعالى عليه وآله خص المرفوع عنه به، ولكن الأول - المكرِه - هنا لا يساوى الكافر وإلا لكان كل مسلم غير معصوم كافراً لأنه قد يرتكب الإكراه ضد غيره. وهذا ما سيتضح من خلال استعراض أدله التقيه فى محله من الفصل التالى، كما يمكن متابعه ذلک عند مراجعه باب الإكراه فى الموسوعات الفقهيه عند باقى الفرق، وكمثال على ذلک إكراه عثمان بن عفان على نفى أبى ذر رحمه الله إلى الربذه كما سترى فى ملحق المصادر ص241، وإكراه عمر بن الخطاب على تشكيل الشورى وقتل من لا يرضى بالمعين هذا أولاً، وثانياً اتفاق فقهاء المسلمين على عدم الانحصار بالكافر - وهذا الاستدلال مبنى على من يقبل الاتفاق أو الإجماع كدليل -. ثم إن الإكراه المراد هنا هو غير المشروع حتماً، وهو ما يقع من ظلم على الثانى - المُكْرَه -..

والنتيجه أن نفس حديث الإكراه الذى قد يطلق عليه حديث الرفع يصلح للاستدلال من خلاله على استخدام التقيه مع الكفار ومع المسلمين على حد سواء، فكلما تحقق إكراهٌ أمكنت التقيه فراراً من الأذى المحتمل، واما تقدير حجم الضرر والأذى فهذا أمر آخر لا علاقه له بالموضوع بعد ثبوت أصل إمكان العمل بعنوان ثانوى غير الأول. فهو إذن دليل صريح نص فى

إمكان وقوع التقيه عند صدور الإكراه من ظالم، نعم لا يمكن التمسک بإطلاقه من حيث الإتيان بها فی کل واقعه بل يکون مقيداً بما إذا لم يکن الإکراه يوقع فی محذور يمنع منها کارتکاب قتل نفس محترمه لحفظ نفس المکرَه. کما سيأتی إن شاء الله تعالی.

ثم إن الحديث ورد بلفظ

«وما استکرهوا عليه» ، ولم يأت بلفظ وما أکرهوا عليه، والفرق بين اللفظين من جهتين:

الأولی: أن الإکراه فيه مباشره من المکرِه - بالکسر - بخلافه فی الاستکراه ففيه المباشره وغير المباشره.

الثانيه: أن الإستکراه فيه شده وأذی لأن الأول يطلب من الثانی إيقاع أمر مکروه له.

(و الله تعالی أعلم ورسوله وآله صلوات الله تعالی عليه وعليهم)

ص:53

ص:54

3. استخدامها مع المسلمين

مقدمه

من خلال تتبعى للمصادر التى تحدثت عن استخدام التقيه والحث عليها مطلقاً مع المسلمين ومع غيرهم عند أتباع المذاهب، فقد جمعت منها ما يشكل عند المطلع قطعاً بأنها إن لم تكن مستخدمه على نطاق أوسع مما هى عليه عند شيعه أهل البيت عليهم السلام، فهى لا أقل على غرار ما نقلته كتبنا الغراء بهذا الشأن، ابتداءً من تعامل النبى صلوات الله تعالى عليه وآله بها مع الصحابه أنفسهم، ثم الصحابه بينهم ومع الأمراء وانتهاءً بعامتهم عملاً بفتاوى وأقوال علمائهم فى هذا الباب.

ومن الجدير بالذكر أنک ستجد فى بعض الأحيان أن نفس مفرده التقيه لم تسخدم بذاتها إنما عبروا عنها بالمعنى وذلک إما بلفظ «خشيه على نفسه» أو بلفظ «الإكراه» وما إلى ذلک... ولو أردت المزيد فراجع باب الاضطرار والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وباب الإكراه فى كل باب من أبواب الفقه والعقائد فى مؤلفاتهم.

وسوف يتضح للقارئ ذلک من خلال متابعه ما سيأتى تباعاً خلال البحث.

أولا: النبى صلى الله عليه و آله

وكان ذلک مع أحد الصحابه عندما استأذن عليه ويظهر من الروايه أن هذا الرجل لا يسلم من لسانه أحد، فما كان منه إلا أن يتقىَ شره، وقد ذكروا فى التعليق على هذه الروايه أن الرجل كان منافقاً، ولكن هناک من ذكر اسم الرجل المقصود وهناک من لم يورده، وليس ذلک مهما

بقدر ما للموقف الذى سجله النبى صلوات الله تعالى عليه وآله من أهميه. ففى البخارى (1) هناک باب خاص بالمداراه فى كتاب الأدب قال:

أن عائشه اخبرته أنه استأذن على النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم رجل فقال: ائذنوا له فبئس ابن العشيره أو بئس أخو العشيره... فلما دخل ألان له الكلام فقلت: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له فى القول، فقال: أى عائشه إن شر الناس منزله عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه.

ومن يتأمل فيه يجد أن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله استخدم نفس المفرده حيث قال: (اتقاء) وحيث أن الروايه جاءت فى البخارى فإنه لا مجال لإنكارها أو الرد عليها. ومن باب ذكر المصادر الأخرى لتوثيق الحاله أكثر أورِد هذا الحديث أيضا نقلا عن سنن الترمذى، (2) وبعد ما أورده قال: (هذا حديث حسن صحيح)، و فى سنن ابن حبان. (3) وجاء بعد ذلک فى البخارى أيضا نفس الباب:

عن عبد الله بن أبى مليكه أن النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم أهديت له اقبيه من ديباج مزرره بالذهب فقسمها فى أناس من أصحابه وعزل منها واحدا لمخرمه فلما جاء قال خبأت هذا لک، قال أيوب بثوبه إنه يريه إياه وكان فى خلقه شىء (ورواه حماد بن زيد عن أيوب)، وهذان الدليلان كافيان على جواز استخدمها مع المسلم.

ثانياً: استخدام الصحابه وعامه أتباع المذاهب

أما الصحابه وغيرهم فقد استخدموها عندما كانوا يخافون بطش السلطان فهذا عبد الله بن عمر كان يستعمل التقيه مع أمراء بنى أميه فقد روى عبد الرزاق فى المصنف (4) قال:

عن ميمون بن مهران قال دخلت على ابن عمر أنا وشيخ أكبر منى، قال: حسبت أنه قال: ابن المسيب، فسألته عن الصدقه أدفعها إلى الأمراء؟ فقال: نعم، قلت وإن اشتروا به الفهود والبيزان (الصقور)؟ قال: نعم...

وعن محمد بن راشد قال:

أخبرنى أبان قال: دخلت على الحسن وهو متوارٍ زمان الحجاج فى بيت أبى خليفه فقال له رجل: سألت ابن عمر هل أدفع الزكاه إلى الأمراء؟ فقال ابن

عمر: ضعها فی

ص:56

1- (1) . البخاری، 102/7و103- علی أنه هناک کلام فی مسأله استخدامها من قبل النبی صلوات الله تعالی علیه وآله، ویمکن أن نضع ذلک فی باب المداراه عندنا.
2- (2) . سنن الترمذی، 242/3 برقم2064.
3- (3) . سنن ابن حبان، 400/10.
4- (4) . المصنف،47/4.

الفقراء والمساكين. قال: فقال لى الحسن: ألم أقل لک إن ابن عمر كان إذا أمن الرجل قال: ضعها فى الفقراء والمساكين.

وقال الطحاوى فى مختصر اختلاف العلماء: (1) وقد روى عن ابن عمر أنه قال أدفعها إلى من غلب.

فما تقولونه فى ابن عمر نقبله فينا، فإن كانت التقيه تهمه نُفاقٍ فلتكن كذلک مع غيرنا وإلا فالحمد لله رب العالمين.

وكذلک روى صاحب المدونه الكبرى (2) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «ما من كلام كان يدرأ عنى سوطين من سلطان إلا كنت متكلما به». فما هو شأن ذلک السلطان؟ أكان عبد الله بن مسعود تكلم ذلک الكلام فى ظل الحاكم المسلم أم الكافر؟ أم كان منافقاً؟

وروى البيهقى فى سننه (3) تفسير ابن عباس لآيه مَنْ أُكْرِهَ (النحل:من الآيه106) وفيه:

فأما من أكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلک من عدوه - (مطلقاً مسلماً كان أم كافراً ولم يقيد) - فلا حرج عليه، إن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم.

ورواه السيوطى فى الدر المنثور (4) وذكر هناک أيضا ما نذهب إليه - نحن الإماميه - من عدم التقيه فى الدماء فقال: «ولا يبسط يده فيقتل ولا إلى إثم فإنه لا عذر له».

ونقل روايات فى هذا الباب وفصل الكلام هناک فليراجع المصدر.

وجاء فى مقدمه كتاب الموطأ للإمام مالک، (5) التى كانت بقلم محمد كامل حسين ما نصه:

وفى حياه الامام مالک شاهد العالم الإسلامى تطورات خطيره كان لها أثرها القوى فى الحياه السياسيه والاجتماعيه والعقليه، ففى هذه السنوات نشطت دعوه العباسيين وتطورت هذه الدعوه إلى انقلاب الحكومه، فسقطت دوله بنى أميه، وتولى العباسيون الأمر، وتتبعوا الأمويين ومن لاذ بهم قتلا وتعذيبا، وسقوط دوله وقيام أخرى يؤدى دائما إلى لون من الاضطراب بين الناس، ويوجد فيهم شيئا من عدم الطمأنينه ومن تبلبل

الافكار، فمنهم من يتخذ التقيه فيضمر غير ما يظهر، ومنهم من يستسلم للأمر الواقع ولا يأبه بمجرى الحوادث حوله، ومنهم من يقوم مع الحكومه

1- (1) . المختصر، 427/1.
2- (2) . المدونه الكبرى، 29/3، الروض الأنف لأأبى محمد المعارفى85/2.
3- (3) . سنن البيهقى، 209/8.
4- (4) . الدّرالمنثور، 16/2.
5- (5) . الموطأ22/1، 23.

الجديده ابتغاء التقرب والزلفى لدى أولى الأمر، ومنهم من يؤازر الحركات التى ترمى إلى عوده الحكومه القديمه، هذا ما نراه فى التاريخ فى كل العصور وفى كل انقلاب يحدث...) أه- ... .

ومن باب التعليق على هذا المقطع من المقدمه أقول: أعتقد جازما بأن هذا التقسيم الذى قام به محمد كامل حسين - المقدم للموطأ - كان سارياً بين أتباع المذاهب الأخرى ولم يكن من الشيعه من بينهم والحمد لله فإن أهل التشيع كانوا يعملون بالتقيه من الأساس وهذا التقسيم الذى كان فيه المدارى والمداهن - الذى يبيع دينه بمرضاه أمراء الجور - والقسم الرابع الذى كان منتفعا من حكام بنى أميه فيقوم بمحاربه العباسيين للرجوع إلى ذلك الحكم والسؤال المطروح أن مالكاً من أى قسم كان؟ الإجابه فى هذا المقطع من مقدمته حيث جاء دور إمامه - أعنى مالكاً - فأكمل المقدِّم قائلاً:

أما مالك نفسه فكان مضطرا إلى أن لا يسهم فى هذه الثوره مساهمه إيجابيه، ذلك أن المنصور العباسى أرسله مع من أرسل إلى بنى الحسن ليدفعوا إليه محمدا وإبراهيم ابنى عبد الله، فلما قام محمد وإبراهيم بالثوره لم يسع مالك أن يشترك فيها وهو الذى كان رسولا لتسلمهما بالأمس، وفى الوقت نفسه كان ينقم على المنصور جبروته وطغيانه ولهذا كان يأتيه أهل المدينه يستفتونه فى الخروج مع محمد ويقولون: إن فى أعناقهم بيعه لأبى جعفر فيقول: إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين. وهذه التيارات السياسيه اضطرت الامام إلى أن يتحفظ، ولهذا وصف مالك بأنه كان أعظم الخلق مروءه وأكثرهم صمتا قليل الكلام متحفظا بلسانه من أشد الناس مداراه للناس....

و الله لا أعلم إن كان هذا الكلام صحيحاً أم هو تلاعب بالألفاظ فإما أن يكون قد عمل بالمداراه وهى حسن خلق ومن المروءه أم كان يدعو إلى بنى أميه عندما كان يشير على الناس بما أشار!! ثم ماذا كان يفعل عندما كان يرسل فى طلبه المنصور الدوانيقى وقد كان يقول للناس إن بيعتهم كانت عن إكراه أليست هذه هى التقيه؟ وإلا فما جعل مالكاً أن يليِّن جانبه عندما يحضر عند المنصور؟

ونسير قدماً على كل حال لنكمل استعراض أدله الأخوه فى استخدام التقيه التى أخذت منهم مأخذاً عظيماً.

وأما فى تقيه أحمد بن حنبل فننقل منها ما يتيسر، حيث جاء عن الطبرى فى تاريخه: (1)

«ان المأمون كتب إلى إسحاق بن ابراهيم أن يمتحن القضاه والفقهاء والمُحدثين فى

ص:58

1- (1) . تاريخ الطبرى، 190/5.

هذه المسأله - التى هى مسأله خلق القرآن - فدعا اسحاق بن ابراهيم جمله منهم وفيهم أحمد بن حنبل، فقال له: ما تقول فى القرآن؟ قال هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، لا أزيد عليها»، وهو المعروف عنه القول بعدم خلق القرآن.

وقد نبأنا كل من اليعقوبى والجاحظ بأمره من خلال ما نقلاه من هاتين الروايتين: أما الأولى: فقد قال اليعقوبى فى تاريخه (1) عندما روى مناظره إسحاق بن ابراهيم له فى مجلس المعتصم، وهى روايه طويله نذكر منها محل البحث:

فقال إسحاق: هذا العلم الذى علمته نزل به عليک ملک، أو علمته من الرجال؟ قال: بل علمته من الرجال. قال: شيئاً بعد شىء أو جمله؟ قال: علمته شيئاً بعد شىء، قال: فبقى عليک شىء لم تعلمه؟ قال: بقى على. قال: فهذا مما لم تعلمه، وقد علمكه أمير المؤمنين. قال: فأنى أقول بقول أمير المؤمنين. قال: فى خلق القرآن؟ قال: فى خلق القرآن. فأشهِدَ عليه، وخلع عليه، وأطلقهُ.

وأما الثانيه: فقد قال الجاحظ رداً على الحنابله فى مقدمه كتاب أحمد بن حنبل والمحنه (2) نقلا عن هامش الكامل: (3)

قد كان صاحبكم هذا - أى أحمد بن حنبل - يقول: لا تقيه إلا فى دار الشرک. فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه تقيه، فقد عملها فى دار الأسلام. وقد أكذب نفسهُ، وإن كان ما أقر به على نحو الصحه والحقيقه فلستم منه وليس منكم، على إنه لم يرَ سيفاً مشهوراً، ولا ضُرب ضرباً كثيراً، ولا ضُرب الا ثلاثين سوطاً مقطوعه الثمار، مُشبعه الأطراف، حتى أفصح بالأقرار مراراً، ولا كان فى مجلس ضيق، ولا كانت حالته مؤيسه، ولا كان مُثقلاً بالحديد، ولا خُلعَ قلبه بشده الوعيد... .

ولكننا نجد أحمد على عهد المتوكل وعند ارتفاع محنته كان يقول: (ومن زعم ان القرآن كلام الله، ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول). (4) وقد نقل عنه فى كتاب الرد على الجهميه فى كتاب الدارمى (5) ولعن من يقول القرآن كلام الله ويسكت، فقال: «وقالت طائفه: القرآن كلام الله وسكتت، وهى الواقفه الملعونه».

وفى تاريخ اليعقوبى قال: (6) وكان عيسى بن موسى يقول إن له ولايه العهد بعد أبى جعفر

1- (1) . تاريخ اليعقوبى، 472/2.
2- (2) . نفس المصدر، ص14.
3- (3) . هامش الكامل،131/3-139.
4- (4) . طبقات الحنابله 69/1.
5- (5) . سنن الدارمى، ص28.
6- (6) . تاريخ اليعقوبى،379/2.

فلما ورد عليه كتاب أبى جعفر بما اجتمع عليه القواد وأهل خراسان من تصيير ولايه العهد من بعده للمهدى وأشار عليه بأن يسبق إلى ذلک كتب إليه عيسى يعظم عليه هذا الأمر ويذكر له ما فى نكث العهود ونقض الأيمان وأنه لا يأمن أن يفعل الناس هذا فى بيعته وبيعه ابنه وجرت بينهما مراسلات وقدم عيسى بغداد فوثب به الجند يوما بعد يوم وصاروا إلى بابه حتى خاف على نفسه فلما رأى ذلک رضى وسلم فبايع المنصور بولايه العهد.

وجاءت التقيه فى المبسوط للسرخسى: (1)

فيما ذكر عن إبراهيم رحمه الله قال لى رجل: إنى أنال من رجل شيئا فيبلغه عنى فكيف أعتذر منه؟ فقال له إبراهيم: و الله ان الله ليعلم ما قلت لک من ذلک من شىء - أى أضمر فى قلبک الذى معناه أن الله ليعلم الذى قلت لک من حقک من شىء. وعن عقبه بن غرار رحمه الله قال: كنا نأتى إبراهيم رحمه الله وهو خائف من الحجاج فكنا إذا خرجنا من عنده يقول لنا ان سُئلتم عنى وحلفتم فاحلفوا بالله ما تدرون أين أنا ولا لكم علم بمكانى ولا فى أى موضع أنا واعنوا أنكم لا تدرون فى أى موضع أنا فيه قاعد أو قائم فتكونون قد صدقتم،

وذكر أيضاً:

وأتاه رجل فى الديوان فقال: إنى اعترضت على دابه وقد نفقت وهم يريدون يحلفوننى أنها الدابه التى اعترضت عليها فكيف أحلف فقال: اركب دابه واعترض عليها على بطنک راكبا ثم احلف لهم أنها الدابه التى اعترضت عليها فيفهمون الغرض وأنت تعنى اعترضت عليها على بطنک. ويحكى عن إبراهيم رحمه الله أنه كان استأذن عليه رجل وهو لا يريد أن يأذن له ركب رشادا وأراد فرس البخت وقال لجاريته: قولى: إن الشيخ قد ركب وربما يقول لها: اضربى قدمک على الارض وقولى ليس الشيخ هنا أى تحت قدمى.

ولا أعلم لماذا لم يتهم هؤلاء بالكذب والنفاق، واللطيف أنه علم أناساً هذا السلوک وهؤلاء أيضا علموه غيرهم تأسياً به ولم نجد أحدا يرمى هؤلاء بالنفاق والكذب والخداع.

وأنقل لكم مما جاء فى فتح البارى لابن حجر (2) أنه قال:

المداراه المحموده والمداهنه المذمومه وضابط المداراه أن لا يكون فيها قدح فى الدين، والمداهنه المذمومه أن يكون فيها تزيين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلک. وقال الطبرى اختلف السلف فى الأمر بالمعروف فقالت طائفه يجب مطلقا واحتجوا

ص:60

1- (1) . المبسوط،214/30و215.
2- (2) . فتح البارى، 44/13و45.

بحديث طارق بن شهاب رفعه أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر وبعموم قوله من رأى منكم منكرا فليغيره بيده الحديث... .

هنا تكلم عن شرائط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتعليقاً على ما ذكره أقول: وكيف يمكن ترک ذلک والاكتفاء بالاستنكار فى القلب فهل هذا تعطيل لهذا الفرع أم أن التقيه توجب أمراً آخر وتلغى موضوع الحكم الأولى؟ وأنصحک أن تقرأ الموسوعات الفقهيه التى تتحدث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لتعلم كيف أن التقيه أمر متأصل عند الفقهاء.

وفى عون المعبود للعظيم آبادى: (1) نقل فى جواز المداراه مع المعلن بالفسق والجائر: وعن القرطبى:

والفرق بين المداراه والمداهنه أن المداراه بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو هما معا وهى مباحه وربما استحبت والمداهنه ترک الدين لصلاح الدنيا والنبى صلى الله عليه [وآله] وسلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته... الذين يكرمون) بصيغه المجهول من الإكرام أى يكرمهم الناس ويوقرونهم وسلم (اتقاء ألسنتهم) بالنصب مفعول له ليكرمون عنه أى لأجل اتقاء ألسنتهم... .

أه... واتصور أن المعلن بالفسق هنا من المسلمين ليس غير فافهم.

وجاء فى سنن ابن حبان: (2)

قال أبو حاتم رضى الله عنه المداراه التى تكون صدقه للمدارى هى تخلق الإنسان الأشياء المستحسنه مع من يدفع إلى عشرته ما لم يشبها بمعصيه الله والمداهنه هى استعمال المرء الخصال التى تستحسن منه فى العشره وقد يشوبها ما يكره... .

وهذا ما نقوله نحن أيضاً فهل تكون مداراه القوم إيمان ومداراتنا نفاق؟

وقال (3) أيضا: «ذكر الإباحه للإمام لزوم المداراه مع رعيته وإن علم من بعضهم ضد ما يوجب الحق من ذلک أخبرنا الفضل بن الحباب ثم ساق الحديث بكامله...» .

وأكثر من هذا وذاک أنقل لكم قولا لطيفاً ذكره محمد بن الحسين الآجرى فى كتابه الغرباء (4) حيث قال:

وداری أهل زمانه ولم يداهنهم وصبر على ذلک، فهذا غريب من يأنس إليه من العشيره والإخوان قليل ولا يضره ذلک فإن قال قائل: افرق لنا بين المداراه

1- (1) . عون المعبود، 103/13، 104.
2- (2) . سنن ابن حبان، 218/2.
3- (3) . نفس المصدر،401/10.
4- (4) . الغرباء، ص79-81.

والمداهنه؟ قيل له: المداراه يثاب عليها العاقل، ويكون محموداً بها عند الله تعالى، وعند من عقل عن الله تعالى، هو الذى يدارى جميع الناس الذين لا بد له منهم ومن معاشرتهم، لا يبالى ما نقص من دنياه، وما انتهک به من عرضه، بعد أن يسلم دينه، فهذا رجل كريم غريب فى زمانه. والمداهن فهو الذى لا يبالى ما نقص من دينه إذا سلمت له دنياه، قد هان عليه ذهاب دينه وانتهاک عرضه، بعد أن تسلم له دنياه، فهذا فعل مغرور فإذا عارضه العاقل فقال: هذا لا يجوز لک فعله قال: ندارى فيكسبوا المداهنه المحرمه اسم المداراه، وهذا غلط كبير من قائله، فاعلم ذلک؟ قال النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم:

«مداراه الناس صدقه» وقال الحسن عليه السلام :

«المؤمن يدارى ولا يمارى ينشر حكمه الله فإن قبل حمد الله وإن ردت حمد الله تعالى» . وقال محمد بن الحنفيه رحمه الله: «ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف لمن لا من معاشرته بدا حتى يجعل الله تعالى له منه فرجا» ومخرجا قال محمد بن الحسين: «فمن كان هكذا فهو غريب».

فانظروا كيف يمتدح الرجل المدارى غير المداهن، ولكن مع ذلک عبر عنه بالغريب وهذا واقع عجيب، وهو الحق وإن أكثرهم للحق لكارهون، فهل من مخرج للمكفرين وأتباعهم من هذا الكلام؟

وقال الشعرانى فى العهود المحمديه: (1)

قلت: والمداراه تكون بإسقاط جزء من الدنيا والمداهنه تكون بإسقاط شطر من الدين فالمداراه مستحبه، والمداهنه حرام فى حرام ومكروه فى مكروه. و الله أعلم....

وأنا اقول: بل حرام فى حرام وليس «حرام فى حرام ومكروه فى مكروهٍ» أولاً لعدم اجتماع الحرمه والكراهه، وثانياً لإنها إن كانت تسقط شطراً من الدين فلا خير فيها.

ونقل المتقى الهندى فى كنز العمال (2) عن النزال بن سبره قال:

كنا مع حذيفه فى البيت، فقال له عثمان: ما هذا الذى يبلغنى عنک؟ فقال: ما قلته، فقال عثمان: أنت أصدقهم وأبرهم، فلما خرج قلت له ألم تقل ما قلته؟ قال: بلى ولكنى أشترى دينى ببعضه مخافه أن يذهب كله.

أما قول حذيفه رضوان الله تعالى عليه:

«ولكنى أشترى دينى ببعضه» ليس معناه أنه يسقط قسما من دينه على نحو المبادله، وإلا فما الفائده من ذلک وهو صاحب سر رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله، بل كلامه هذا يعنى أنه يشترى دينه بواسطه بعض آخر منه لما جعل به مخرجا ومتنفساً

ص:62

1- (1) . العهود المحمديه، ص334.
2- (2) . كنزالعمال،3/786ح8753.

للمؤمن من بعض ما قد يحتاج إليه وإلا فمع إنكاره التقيه يذهب دينه كله. وهذه الحادثه نقلها السرخسى كما سيأتى مرتين فى كتابه المبسوط ولكن أحداهما تلميحاً وأخرى تصريحاً ونقلتها أيضا باقى كتب أتباع المذاهب الإسلاميه وسيأتى ذلک ان شاء الله تعالى.

وذكر صاحب مواهب الجليل للرعينى: (1)

وأما لو لم يقر بقبض الثمن، وقال إنما أشهدت له على نفسى بقبضه تقيه على نفسى لا شبه أن يصدَّق فى ذلک مع يمينه فى المعروف بالغصب... .

وفى المبسوط للسرخسى: (2)

وعن الحسن البصرى رحمه الله التقيه جائزه للمؤمن إلى يوم القيامه إلا أنه كان لا يجعل فى القتل تقيه وبه نأخذ، والتقيه أن يقى نفسه من العقوبه بما أظهره وإن كان يضمر خلافه. وقد كان بعض الناس يأبى ذلک ويقول: إنه من النفاق، والصحيح أن ذلک جائز لقوله تعالى: إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً واجراء كلمه الشرک على اللسان مكرها مع طمأنينه القلب بالايمان من باب التقيه وقد بينا أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم رخص فيه لعمار بن ياسر رضى الله عنه الا أن هذا النوع من التقيه يجوز لغير الانبياء والرسل عليهم الصلاه والسلام فأما فى حق المرسلين صلوات الله عليهم أجميعن فما كان يجوز ذلک فيما يرجع إلى أصل الدعوه إلى الدين الحق وقد جوزه بعض الروافض لعنهم الله.

أقول إلى هذا الرجل لن أرد عليک ترفعاً، ولكن ماذا تقول فى حديث عائشه المذكور عندما استخدمها النبى صلوات الله تعالى عليه وآله وكذلک ماذا يقول عندما أمره ربه ألا يجهر بالدعوه إلى الدين الجديد عندما كانت سريه أليست هذه تقيه؟ الجواب! ثم من قال بأننا نجوزها للأنبياء فى تبليغ الأحكام؟ نعم نفس التقيه حكم من الأحكام فإما أن يعمل بها فى موضع لا ضرر منه أو يبلغها.

وعلى كل حال نسأله سؤالا واحداً وهو كيف يجوز وقوع السهو والنسيان للأنبياء عليهم السلام ولا تقبل وقوع التقيه منهم؟ على أن كلاهما يوقع فى محاذير نعرض لها فى محلها إن شاء الله تعالى فى أن أيهما يصح أن يقع، فأكمل قائلا: (ولكن تجويز ذلک محال لأنه يؤدى إلى أن لا يقطع القول بما هو شريعه لاحتمال أن يكون قال ذلک أو فعله تقيه والقول بهذا

1- (1) . مواهب الجليل، 311/7.. الحادثه فيها إطلاق من حيث حصولها بين مسلمين أو مسلم وكافر.
2- (2) . المبسوط، 45/24، 46، 47.. وقد مر فى ص50 ما قاله الحسن البصرى، وسيأتى كذلک فى ص77.

محال وقوله: إلا أنه كان لا يجعل فى القتل تقيه يعنى إذا أكره على قتل مسلم ليس له أن يقتله لما فيه من طاعه المخلوق فى معصيه الخالق وايثار روحه على روح من هو مثله فى الحرمه وذلک لا يجوز وبهذا يتبين عظم حرمه المؤمن لان الشرک بالله أعظم الاشياء وزرا وأشدها تحريما قال الله تعالى: تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ إلى قوله تعالى: أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً ، ثم يباح له اجراء كلمه الكفر فى حاله الاكراه ولا يباح الاقدام على القتل فى حاله الاكراه فيه يتبين عظم حرمه المؤمن عند الله تعالى)
أقول: لا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم لا يجوز سفک دم المؤمن تقيه فهل يجوز ذلک لأصحاب الجمل وصفين؟

ولنكمل مع هذا العالم الفقيه: (وهو مراد ابن عباس رضى الله عنه إنما التقيه باللسان ليس باليد يعنى القتل والتقيه باللسان هو إجراء كلمه الكفر مكرها وعن حذيفه رضى الله عنه قال: فتنه السوط أشد من فتنه السيف قالوا له: وكيف ذلک قال: إن الرجل ليضرب بالسوط حتى يركب الخشب يعنى الذى يراد صلبه يضرب بالسوط حتى يصعد السلم وإن كان يعلم ما يراد به إذا صعد وفيه دليل أن الإكراه كما يتحقق بالتهديد بالقتل يتحقق بالتهديد بالضرب الذى يخاف منه التلف والمراد بالفتنه العذاب قال الله تعالى: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ (الذاريات: من الآيه14)، وقال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ (البروج:من الآيه10) - أى عذبوهم - فمعناه عذاب السوط أشد من عذاب السيف لأن الالم فى القتل بالسيف يكون فى ساعته وتوالى الألم فى الضرب بالسوط إلى أن يكون آخر الموت وقد كان حذيفه رضى الله عنه ممن يستعمل التقيه على ما روى أنه يدارى رجلا [يعنى عثمان بن عفان فقد ذكر نفس الحادثه مصرحاً باسمه كما سيأتى فى محل آخر] فقيل له: إنک منافق فقال: لا ولكنّى أشترى دينى بعضه ببعض مخافه أن يذهب كله وقد ابتلى ببعض ذلک فى زمن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم على ما روى: أن المشركين أخذوه واستحلفوه على أن لا ينصر رسول الله فى غزوه فلما تخلص منهم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وأخبره بذلک فقال عليه [وعلى آله] الصلاه والسلام:

«أوف لهم بعهدهم ونحن نستعين بالله عليهم».

أقول: انظروا إلى تهمه المنكرين كيف تطابقت مع تهمه الآخرين لحذيفه رضوان الله تعالى عليه حيث قيل له: (فقيل له: إنک منافق)، (فقال: لا).

إلى هنا تمّ بعض المطلوب والآن ينقل لكم قصّه مسروق مع معاويه:

ص:64

وذكر عن مسروق رحمه الله قال: بعث معاويه... بتماثيل من صفر تباع بأرض الهند فمر بها على مسروق رحمه الله قال: و الله لو أنّى أعلم أنّه يقتلنى لغرقتها ولكنى أخاف أن يعذّبنى فيفتننى و الله لا أدرى أىّ الرجلين معاويه رجل قد زين له سوء عمله أو رجل قد يئس من الآخره فهو يتمتع فى الدنيا. وقيل: هذه تماثيل كانت أصيبت فى الغنيمه فأمر معاويه... ببيعها بأرض الهند ليتخذ بها الأسلحه والكراع للغزاه فيكون دليلا لأبى حنفيه رحمه الله فى جواز بيع الصنم والصليب ممن يعبده كما هو طريقه القياس وقد استعظم ذلک مسروق رحمه الله كما هو طريق الاستحسان الذى ذهب إليه أبو يوسف ومحمد رحمهما الله فى كراهه ذلک ومسروق من... ولكن مع هذا قول معاويه... مقدم على قوله وقد كانوا فى المجتهدات يلحق بعضهم الوعيد بالبعض كما قال على رضى الله عنه من أراد ان يتقحم جراثيم جهنّم فليقل فى الحدّ - يعنى بقول زيد رضى الله عنه - وإنما قلنا هذا لأنه لا يظن بمسروق رحمه الله أنه قال فى معاويه ما قال عن اعتقاد وقد كان هو من كبار الصحابه رضى الله عنهم وكان كاتب الوحى وكان أمير المؤمنين وقد أخبره رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بالملک بعده فقال له عليه السلام يوما:

«إذا ملكت أمر أمتى فأحسن إليهم (1)...» إلا أن نوبته كانت بعد انتهاء نوبه (2) على رضى الله عنه ومضى مده الخلافه فكان هو مخطئاً فى مزاحمه على رضى الله عنه تاركا لما هو واجب عليه من الانقياد له لا يجوز أن يقال فيه أكثر من هذا ويحكى أن أبا بكر محمد بن الفضل رحمه الله كان ينال منه فى الابتداء فرأى فى منامه كان شعره تدلت من لسانه إلى موضع قدمه فهو يطؤها ويتألم من ذلک ويقطر الدم من لسانه فسأل المعبر عن ذلک فقال إنک تنال من واحد من كبار الصحابه... فإياک ثم إياک.

أقول: على هذا فيكون من قاتل الصحابه أنه يرى فى المنام وقد تدلت من أياديه أذناب

1- (1) . وقد أحسن إليهم ونفذ تلک الوصيه ولم يخالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وأول ذلک محاربته على بن أبى طالب ثم الحسن السبط صلوات الله تعالى عليهما ثم الصحابه... .
2- (2) . و الله لا أعلم إن كانت الخلافه فى الإسلام طابور الجمعيه أم فلته أم استخلاف من سابق إلى لاحق أم ملک أم اجتماع أهل الحل والعقد؟

ولكن لماذا تكون إحدى زوجات النبى صلوات الله تعالى عليه وآله من أهل الحل والعقد ولماذا فاطمه عليها السلام ليست من أهله؟ ثم وكما يدعى أحد مشايخ الوهابيه فى الكويت عدم بيعه فاطمه لأبى بكر سبه عليها و الله إما يعذبها وإما يتوب عليها وزوجته مع أمير المؤمنين على عليه السلام ليست كذلک؟ أنجدونا يا مسلمين.. علماً أنهم نقلوا عن البخارى فى كتابى الفتن والأحكام وعن مسلم فى كتاب الإماره وغيرهما ما مضمونه: من أراد أن يفرق أمر هذه الأمه وهو جميع فاضربوا عنقه بالسيف، ومن مات وليس فى عنقه بيعه لإمام لقى الله يوم القيامه لا حجه له، ومن مات وليس فى عنقه بيعه مات ميته جاهليه، فهل يتوقف تنفيذ هذه الأحاديث عند الصحابه فلا يشملهم القانون فهم فوقه؟ أم لا؟ لأن الله تعالى ليس عنده أقرباء؟ لماذا ينجو مما تقدم أهل الجمل وصفين وتكون عدم بيعه فاطمه الزهراء سلام الله عليها سبه عليها كما مر؟ ثم هب أنها وزوجها عليهما السلام ليسا من أهل البيت أفلم يكونوا من الصحابه؟ ويظهر أن جميعهم يعلم بها فلا يحتاج أحد لتبرير ما وقع بالفتنه وعبد الله بن سبأ وما إلى ذلک من تبريرات لأن الفتنه أشد من القتل والحق واضح جداً ولكن الصنميه مشكله جداً.

خنازير مثلا بعدد من قتلهم وتقطر دما وقيحاً... ونكمل معه حيث قال: (وقد قيل فى تأويل الحديث أيضا ان تلك التماثيل كانت صغارا لا تبدو للناظر من بعد ولا بأس باتخاذ... ولكن مسروقا (1) رحمه الله كان يبالغ فى الاحتياط فلا يجوز اتخاذ شىء من ذلک ولا بيعه ثم كان تغريق ذلک من الأمر بالمعروف عنده وقد ترک ذلک مخافه على نفسه وفيه تبيين أنه لا بأس باستعمال التقيه وأنه يرخص له فى ترک بعض ما هو فرض عند خوف التلف على نفسه ومقصوده من إيراد الحديث أن يبين أن التعذيب بالسوط يتحقق فيه الإكراه كما يتحقق فى القتل لأنه قال: «لو علمت انه يقتلنى لأغرقتها ولكن أخاف أن يعذبنى فيفتننى»، فتبين بهذا أن فتنه السوط أشد من فتنه السيف. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: لا جناح علىّ فى طاعه الظالم إذا أكرهنى عليها وإنما أراد بيان جواز التقيه فى إجراء كلمه الكفر إذا أكرهه المشرک عليها فالظالم هو الكافر قال الله تعالى: وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ (البقره: من الآيه254) ولم يرد به طاعه الظالم فى القتل لأن الاثم على المكره فى القتل لا يندفع بعذر الإكراه بل إذا قدم على القتل كان آثما إثم القتل على ما بينه و الله أعلم).

وجاء فى قصه حذيفه رضوان الله تعالى عليه مع عثمان ذكر فى مبسوطه: (2)

وذكر عن النزال بن سيده قال جعل حذيفه يحلف لعثمان... على أشياء بالله ما قالها وقد سمعناه يقولها فقلنا له يا أبا عبد الله سمعناک تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها وقد سمعناک قلتها فقال: ولكنى أشترى دينى بعضه ببعض مخافه أن يذهب كله، وان حذيفه رضى الله عنه من كبار الصحابه وكان بينه وبين عثمان... بعض المداراه فكان يستعمل معاريض الكلام فيما يخبره به ويحلف له عليه فلما أشكل على السامع سأله عن ذلک فقال: ولكنّى أشترى دينى بعضه ببعض، يعنى أستعمل معاريض الكلام على سبيل المداراه أو كأنّه كان يحلف ما قالها ويعنى ما قالها فى هذا المكان أو فى شهر كذا أو... .

أقول فإمّا أن يقبل ابن تيميه أن التقيه مع المسلمين نفاق وأنها لا تجوز إلا مع الكفار فهذا حذيفه عليه الرحمه والرضوان استخدمها مع عثمان أو أنّها تستخدم مع المسلمين وغيرهم فهو بين خيارين لا ثالث لهما أن يحكم بالنفاق على حذيفه أو بالكفر على عثمان وإن لم يرض لا هذا ولا ذاک فهى من الإيمان.

ونقلت لنا أيضاً مصادر أتباع المذاهب الإسلاميّه أنّ أبا الدرداء قال: «إنا لنكشّر فى وجوه

1- (1) . لماذا لم ير مسروق فى منامه أنه ينال من أحد كبار الصحابه مع إنه أيضاً منه نال منه؟
2- (2) . المبسوط،214/30.. ولكن كيف يقال لحذيفه منافق كما مر وهو صاحب السر؟

قوم وإن قلوبنا لتلعنهم». وهذا أمر يدعو إلى التوقف للتأمل فى واقع مجتمع ما بعد النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، كيف وصل به الأمر الذى دعا أبا الدرداء أن يتكلم بمثل هذه الطريقه العجيبه، وإلا فما الداعى لمثل هذه النفره التى بينهم؟ ولماذا يتصرّف الصحابه بمثل هذا التصرف مع أقرانهم، ألم يعلموا بأن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله قد استوصى بالصحابه خيراً، وأنهّم خير من كان ومن سيكون من المسلمين؟ إلا أن يقال بأنهم قد خالفوا وصيه رسولهم فكفَّر بعضهم بعضا، كما نقل الذهبى فى كتابه الرواه الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم! (1). وعلى كل حال فإن المصادر التى تحدثت عن هذا الموقف لأبى الدرداء أكثر من أن ترد. فمنها ما جاء فى طبقات المحدثين بأصبهان لعبد الله بن حبان: (2) «عن أبى الدرداء قال: إنا لنكشّر فى وجوه أقوام ونضحک إليهم وإن قلوبنا تلعنهم...». وقد ورد ذكر ما يقرب من ذلک فى مصادر غيرها. (3)

لفتات

أولاً: ما هو حرى أن يُلتفت إليه أنَّ لَعْنَ الظالمين والفاسقين مسلمين أو غيرهم جائز - كما يظهر من الأدله السابقه وعلى ما قرر فى محله من أن سُنَّةَ الصحابى أحد منابع استنباط الأحكام عند من يرى ذلک، فكذلک فعل حذيفه رضوان الله تعالى عليه -. وقد مر ذكر ذلک عندما استدل أبو حنيفه على جواز بيع لحم الخنزير ممن يستحل أكله - كأهل الكتاب - وبيع الأصنام ممن يستحل عبادتها - كالكفار - عملا بسنه الصحابى معاويه حينما بعث من يبيعها كما مر سابقاً عند ذكر كلام السرخسى فى المبسوط (4) وهو عجيب.

ثانياً: العمل بالتقيه من قبل أحد التابعين خوفاً من تعذيب وقتل الصحابى معاويه.

1- (1) . الرواه الثقات، ص23.. حيث صرح الذهبى هناک بتكفير الصحابه بعضهم بعضاً، وطلب السكوت عن ذلک بحجه أنهم لا يمكن التعرض لهم ونقاشهم أما السبب فهو الصحبه فقط وهو عجيب.
2- (2) . نفس المصدر، ج4، ص47.
3- (3) . (مداراه الناس ابن أبى الدنيا36 - الحلم ابن أبى الدنيا69- الزهد هناد بن السرى590/2 - شعب الإيمان البيهقى 266/6- حليه الأولياء

للأصبهانى222/1- الإحياء الغزالى159/3- مجمع الأمثال أبو الفضل النيسابورى 59/1- تغليق التعليق ابن حجر102/4، 103 - مقدمه فتح البارى ابن حجر ص179 - تفسير ابن كثير358/1- الناسخ والمنسوخ مرعى الكرمى ص216 - روح المعانى الألوسى122/3 - مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابونِى ص295- كنز العمال للمتقى الهندى439/3- فلک النجاه على محمد فتح الدين الحنفى250- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهران216/3، 217- إمتاع الأسماع المقريزى214/10، 217- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل الزمخشرى177/4).
4- (4) . المبسوط، 45/24، 46، 47.

ثالثاً: إذا خالف مسلمٌ الصحابى معاويةَ فى أمر ما فإنّه سوف يقتله أو يعذبه، من أتباع على صلوات الله تعالى عليه كان أم من أتباع غيره.

رابعاً: على ما جاء فى كتب القوم فى عدم عصمه أولى الأمر - هذا على قبول قولهم (1) هذا وقبول ولايه أمر معاويه - حيث قال تعالى: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِى شَىْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِکَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً (النساء:من الآيه59) تذييلا لما جاء فى أول هذه الآيه الشريفه عندما قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (النساء:من الآيه59)، فلننظر سنه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله هل جاء فيها شىء من هذا أم لا؟ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ (يونس:59)، هذا ما نسأل به السرخسى.

خامساً: وصف مسروقٌ معاويةَ بوصفين حيث قال: «و الله لا أدرى أىُّ الرجلين معاويه رجل قد زُيِّن له سوء عمله أو رجل قد يئس من الآخره فهو يتمتع فى الدنيا»، طيب فما هو حكم مسروق عندما ذكر هذا الصحابى بهذين الوصفين؟ هل يكفره المكفرون كما يكفرون الشيعه لأنهم يتعرضون لمعاويه أم لا؟ وعلى الثانى لماذا الكيل بمكيالين؟

سادساً: الحمد لله على حب وموده محمد وآل محمد صلوات الله تعالى عليهم.

رجوع سريع

وأمّا على ما نقله الماردينى فى جوهره النقى (2) فإليک هذه المقوله فتدبر:

قال: (باب رفع اليدين فى تكبير العيد) ذكر فيه حديث ابن عمر فى الرفع عند القيام والركوع والرفع منه ولفظه «ويرفعهما فى كل تكبيره يكبرها قبل الركوع» (قلت): فى سنده بقيّه وكان مدلِّسا وقال ابن حبان: لا يُحتّج به وقال أبو مسهر أحاديث بقيه غير نقيه فكن منها على تقيه، (3) وقال ابن عيينه: لا تسمعوا من بقيه ما كان فى سنه

1- (1) . سوف أتطرق إن شاء الله تعالى فى بحث التفسير إلى ذلک، وإجمالاً فالرد فى الآيه الشريفه لا علاقه له بالعصمه بل لبيان المرجع حال التنازع فإذا رجعنا اليهما وتمعنا لوجد الإشاره إلى أولى الأمر من جديد. فقد اختلفنا والنصارى فى النبى صلوات الله تعالى عليه وآله فالمرجع عند هذه المرتبه هو الله تعالى ولا يعقل أن يكون النبى صلى الله تعالى عليه وآله فهم لم يؤمنوا به بعد. ولو كان يعنى عدمها لكان صلوات الله تعالى عليه وآله غير معصوم بموجب قوله تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَىْ ءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّه)(الشورى: من الآيه10).
2- (2) . الجوهر النقى، 292/3، 293- الديباج المذهب ابن فرحون/172، معجم المحدثين الذهبى/194، عون المعبود محمد آبادى204/1، التحقيق فى أحاديث الخلاف ابن الجوزى369/1.
3- (3) . وبقيه مسلم إلا أنه مدلس وهذا العالم ينصح بالتقيه من أحاديث المسلم بقيه.

واسمعوا منه ما كان فى ثواب وغيره... .

فالتقيّه إذن كما فى الجوهر النقى أمر جميل واحتياط فى الدين وأخوک دينک فاحتط لدينک فلا يأتى قول من ادعى ظلماً أن التقيّه كذب.

وجاء فى المحلى لابن حزم: (1) (ويؤيد هذا ما روى المروزى فى الوتر (ص133) قلنا: إنما أخبر بذلک أنس عن أمراء عصره، لا عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، كما سئل عن بعض أمور الحج فأخبر بفعل النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤک. وهذا من أنس إما تقيّه، وإما رأى منه، ولا حجه فى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم). أقول: جيد فهو إما تقيه من أنس - الصحابى - وإما رأى، والمهم أنه يعمل بها وإلا فلا معنى للترديد، هذا اولاً ويعترف بها المؤلّف كمبدأ إسلامى وإلاّ لما جعلها ترديداً هنا لأنها ستكون ذماً لصحابى والصحابه فوق المسلمين.

وفى سبل السلام لابن حجر العسقلانى (2) ذكر الذين رفعوا الصلاه على الآل حقدا عليهم من قبل المعادين لهم فقال:

وكنت سئلِت عنه قديما فأجبت: أنه قد صحّ عند أهل الحديث بلا ريب كيفيه الصلاه على النبى صلى الله عليه و آله ، وهم رواتها، وكأنّهم حذفوها خطأ، تقيه لما كان فى الدوله الأمويه من يكره ذكرهم.

أقول: عجيب أمير المؤمنين وأتباعه يكرهون خير المؤمنين وهم آل محمد صلوات الله تعالى عليه وعليهم ويرفعون الصلاه عليهم - لا حول ولا قوه إلا بالله - أين آل أميه من قوله تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى (الشورى: من الآيه23)، ثم أين هم من حديث مسلم وأين هم من بيان كيفيه الصلاه عليه وعليهم صلوات الله تعالى عليه وآله؟

نعم ويكمل ابن حجر: (ثم استمر عليه عمل الناس متابعه من الآخر للأول، فلا وجه له، وبسطت هذا الجواب فى حواشى شرح العمده بسطاً شافياً...).

وذكر الشوكانى فى نيل الأوطار (3) حادثه أخرى عن التقيه التى كان المسلمون يمارسونها فى زمن بنى أميّه فقال:

1- (1) . المحلى، 140/4، 141.
2- (2) . سبل السلام، 193/1.
3- (3) . نيل الأوطار، 194/5.

وقد أجمع أهل العلم على تحريم نسبته إلى أبى سفيان، (1) وما وقع من أهل العلم فى زمان بنى أميه فإنما هو تقيه، وذكر أهل الامهات نسبته إلى أبى سفيان فى كتبهم مع كونهم لم يألفوها إلا بعد انقراض عصر بنى أميّه محافظه منهم على الالفاظ التى وقعت من الرواه فى ذلک الزمان كما هو دأبهم... .

وفى الأمر بالذب عن الأعراض جاء فى كتب القوم: «ذبوا عن أعراضكم...» أو «المداراه عن العرض صدقه» وكما جاء فى كشف الخفاء للعجلونى: (2) «المداراه عن العرض صدقه. قال النجم كذا يدور على الألسنه ولم أقف عليه بهذا اللفظ، وهو فى معنى ما وقى المرء به، ويروى حسنه بدل صدقه». وفى كنز العمال (3) عن محمد بن مطرف عن ابن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبى هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:

«ذبوا بأموالكم عن أعراضكم، قالوا يا رسول الله كيف نذب بأموالنا عن أعراضنا؟ قال: تعطون الشاعر ومن تخافون لسانه» و عن الديلمى (8756- عن الحسين بن غلمان عن هشام بن عروه عن أبيه عن عائشه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و آله :

«ذبوا عن أعراضكم بأموالكم، قالوا كيف نذبُّ عن أعراضنا بأموالنا؟ قال: تعطون الشاعر ومن تخافون لسانه» . أقول هذا فى الأعراض فكيف فى الدماء؟

وفى جواز مداراه الظلمه اتقاء شرّهم ما لم يؤد ذلک إلى المداهنه و قدتكلم ابن تيميه عن هذا الأمر فى مجموع الفتاوى: (4) «سقط الأمر بفعل هذه الحسنه وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف...» وكذا فى مصادر أخرى. (5) وفى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى (6) سمعت أبا يوسف القاضى يقول «خمسه يجب على الناس مداراتهم الملک المتسلط والقاضى المتأول...». (7) وفى شرح الزرقانى: (8) «غيبه المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلک مع جواز مداراتهم اتقاء لشرّهم ما لم يؤدِّ ذلک إلى المداهنه...». وفى

1- (1) . يعنى زياد بن أبيه.

2- (2) . كشف الخفاء،296/2ح2704.
3- (3) . كنزالعمال، 786/3ح8755.
4- (4) . مجموع الفتاوى، 212/28.
5- (5) . شعب الإيمان البيهقى351/6- عون المعبود محمد آبادى103/13.
6- (6) . آداب السامع، 222/1.
7- (7) . مطلقاً سواء أكانوا مسلمين أم كفاراً.
8- (8) . شرح الزرقانى، 318/4.

الفروع لابن مفلح (1) قال: «سمعت القاضى أبا يوسف يقول خمسه تجب على الناس مداراتهم الملک المسلط والقاضى المتأول...». أنظر إلى كتب ورسائل وفتاوى لابن تيميه فى الفقه: (2) «سقط الأمر بفعل هذه الحسنه وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف». وقال صاحب الفتوحات المكيه: (3) «وليّاً تلقى إليه بالموده فإن اضطرک ضعف يقين إلى مداراتهم فدارهم من غير أن تلقى إليهم بموده...». وقال: (4) «الحيرةُ من سوء عشرتهم وطلبت راحه نفسى من مقاساه مداراتهم وقبيح فعالهم وجعلت معاملتى مع ربى». وقال ابن أبى الدنيا فى قرى الضيف: (5) «وربما أغنت المداراه عن المباراه».

وفى اتقاء فحش الفحاش أيضاً جاء فى مجموع الفتاوى لابن تيميه: (6) «فى الفجره الظلمه الذين ودعهم الناس اتقاء شرّهم وفحشهم فإنّ لهم سيما من شرّ يعرفون بها...»، وكذا فى كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميّه فى التفسير: (7) «فى الفجره الظلمه الذين و دعهم الناس اتقاء شرّهم و فحشهم فإن لهم سيما من شر يعرفون بها...» وقال كذلک: (8) «الفجره الظلمه الذين ودعهم الناس اتقاء شرهم و فحشهم فإن لهم سيما من شر يعرفون بها وكذلک الفسقه»، لو سألناه ممن كان هؤلاء الفجره والظلمه هل هم من المسلمين أم من غيرهم؟

وجاء كذلک «إن من شر الناس من توقاه الناس اتقاء فحشه». (9)

1- (1) . الفروع، 5 /260.
2- (2) . رسائل فى الفقه،212/10.
3- (3) . الفتوحات المكيه،449/4.
4- (4) . نفس المصدر، ص511.
5- (5) . قرى الضيف، 349/4.
6- (6) . مجموع الفتاوى، 69/16.
7- (7) . مجموع الفتاوى، 69/5.
8- (8) . نفس المصدر، ص92 منه.
9- (9) . كما فى (إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه405/4- الكبائر الذهبِى210- مداراه الناس بن أبى الدنيا33 - الشمائل المحمديه الترمذى289- جزء ابن عيينه سفيان بن عيينه 49- الأدب المفرد البخارى444-شعب الإيمان البيهقى266/6- الإحياء الغزالى2 /207- تهذيب

الأسماء النووى3 /363- غوامض الأسماء المبهمه ابن بشكوال1 /331- كشف الخفاء العجلونى1 /481\ج2/210- الكفايه فى علم الروايه الخطيب البغدادى /39- البيان والتعريف ابن حمزه الحسينى1 /237- التمهيد ابن عبد البر24/261- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المقرى التلمسانى5/122- النجوم الزاهره أبوالمحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى14/320 - بدائع السلك الأزرق2 /15- روح المعانى الألوسى3/122- السيره الحلبيه2/582- الخصائص الكبرى السيوطى2/116- التخويف من النار ابن رجب الحنبلى /204- تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى2 /81- كنز العمال للمتقى الهندى3/339، 340، 343- زياده الجامع الصغير للسيوطى ص457- إمتاع الأسماع المقريزى2/245و10/214(مرتين)، ص216(مرتين).

وما فی معنی (التقیه دینی...) عند أتباع المذاهب، فقد جاء فی آثارهم فی قبال ما ورد عندنا فأثیرت ضد مدرسه أهل البیت الأطهار علیهم السلام صلوات الله تعالی علیهم أجمعین الزوابُع أنّه صلوات الله تعالی علیه وآله قال:

«رأس العقل بعد الإیمان بالله المداراه» وفی لفظ آخر «مداراه الناس»، أو (التودد) أو (التحبب) (إلی الناس)، ففی فیض القدیر شرح الجامع الصغیر المناوی: (1) «رأس العقل المداراه» قال ابن الأثیر غیر مهموز ملاینه الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ینفروا عنک أو یؤذوک وقد یهمز، ومن ثم قیل: «اتق معاداه الرجال فإنک لا تعدم مکر حلیم أو مفاجأه لئیم وینبغی الاعتناء بمداراه العدو أکثر...». (2) ثم قال:

قال الماوردی لکن ینبغی مع تألّفه أن لا یکون له راکناً و به واثقاً بل یکون منه علی حذر ومن مکره علی تحرز فإن العداوه إذا استحکمت فی الطباع صارت طبعاً لا یستحیل وجبله لا تزول وإنما یستکف بالتألیف إظهارها ویستدفع به إضرارها کالنار یستدفع بالماء إحراقها وإن کانت محرقهً بطبع لا یزول وجوهر لا یبید وأهل المعروف فی الدنیا هم أهل المعروف فی الآخره. قال ابن الأثیر روی عن ابن عباس فی معناه یأتی أصحاب المعروف فی الدنیا یوم القیامه لهم معروفهم وتبقی حسناتهم جامعه فیعطونها فإن زادت سیئاته علی حسناته فیغفر له ویدخله الجنه فیجتمع لهم الإحسان إلی الناس فی الدنیا والآخره وفیه أن المداراه محثوث علیها أی ما لم تؤد إلی ثلم دین وإزراء بمروءه کما فی الکشاف... .

وقد جاء هذا الکلام یفسر لنا هذا المعنی علی غرار ما یرونه فی ما ننقل فی موسوعاتنا الحدیثیه؟ أالیس معنی (رأس العقل بعد الإیمان بالله المداراه) علی تفسیرهم أنها أهم من النبوه والمعاد والقرآن والصیام والصلاه والزکاه؟...إلخ. (3)

وذکروا فیما ورد أن: «من عاش مداریا مات شهیدا»، و «قوا بأموالکم أعراضکم ولیصانع

1- (1) . فیض القدیر، 3/4ح4368.
2- (2) . إذن مع الموافق تتقی المعاداه ومع العدو أشد وهذا ما نقوله.

3- (3) . (مداراه الناس ابن أبى الدنيا23، 43- الإخوان ابن أبى الدنيا193- الزهد هناد بن السرى590/2- العقل وفضله ابن أبى الدنيا41، 45- قضاء الحوائج ابن أبى الدنيا32- المتحابين فى الله ابن قدامه90- شعب الإيمان البيهقى255/6، 344، 344، 500، 501- حليه الأولياء الأصبهانى203/3- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبى324- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال أبوعبيد البكرى238- البيان والتبيين الجاحظ 223، 491- مجمع الأمثال أبوالفضل النيسابورى346/2- العلل المتناهيه ابن الجوزى730/2، 731- كشف الخفاء العجلونى172/1، 180، 507و461/2- العلل الوارده فى الأحاديث النبويه الدارقطنى305/7- العلل ومعرفه الرجال ابن حنبل283/2- المنهج المسلوک فى سياسه الملوک عبد الرحمن الشيزرى479، 122- كنز العمال للمتقى الهندى6/3و235و3/9و486/15 - زياده الجامع الصغير للسيوطى519- إمتاع الأسماع المقريزى214/10).

أحدكم بلسانه عن دينه». (1)

وعندها ترى بأنه إذا ورد مثل هذا الحديث بهذا الكم فى مصادرهم - هذا مما تحت يدى وإلا فمما ليس فى حيازتى وما خفى كان أكثر وأعظم و الله العالم - فلا يعتنى بما ورد فى تضعيفها فى كتب من هنا وهناک.

وجاء أيضاً: «بعثت بمداراه الناس» وعلى تفسيرهم - إن تم قبوله - «أن المداراه أهم حتى من التوحيد نفسه». (2)

ونقل عنه صلوات الله تعالى عليه وآله وسلم فى الفواكه للدوانى النفراوى: (3) «أمرت بمداراه الناس كما أمرت بالفرائض فهى صدعه وفى ولما قدم أنه لا إثم فى هجران المتبدع وذى الكبائر المجاهر بها ذكر... .» وجاء فى مصادر أهل المذاهب: «المداراه عن العرض صدقه». (4)

أصل حديثين

أما الحديث الأول فقد جاء فى كتب القوم: (5) عن أم سلمه قالت: قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:

«يكون عليكم أئمه فتعرفون حقهم وتنكرون فمن أنكر فقد نجا ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع قال فقيل: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا». و (عن مسلم بن قرظه وكان ابن عم عوف بن مالک قال: سمعت عوف بن مالک يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول:

خيار ائمتكم من تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال: قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلک؟ قال: لا ما أقاموا الصلاه ألا ومن وُلِّىَ عليه والٍ فرآه يأتى شيئا من معصيه الله فليكره ما يأتى من معصيه الله ولا ينزعن يدا من طاعه، و (عن زيد بن وهب عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم قال:

«إنها ستكون أثره وفتن وأمور تنكرونها فقالوا: فما تأمر من أدرک ذلک منا يا رسول الله قال تؤدون الحق الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم». (6)

1- (1) . روح المعانى للآلوسى122/3- كنز العمال للمتقى الهندى236/3، 203/6.
2- (2) . ورد فى (شعب الإيمان البيهقى351/6 - كشف الخفاء العجلونى341/1 - كنز العمال للمتقى الهندى235/3).
3- (3) .295/2.
4- (4) . كما فى كشف الخفاء العجلونى273/1و391/2.
5- (5) . راجع ملحق المصادر تحت عنوان حديث: يكون عليكم أئمه، ص219.
6- (6) . وكذا فى المصادر: مسند ابن المبارک148- مسند أبى داود الطيالسى223- رياض الصالحين يحيى بن شرف

وأما الحديث الثانى: فهو قوله صلوات الله تعالى عليه وآله:

«من رأى منكم منكراً»؟ أفلا يُتدبر فى أمر هذا الحديث؟ أفلا يكون قوله صلوات الله تعالى عليه وآله (فمن لم يستطع) فيتحول إلى المرتبه الأدنى إلا عن أحد أوجه أو أسباب منها التقيّه؟

وتوهم إشكال أضعف الإيمان لا يرد عندما تَجِبُ هى بذاتها فتأمل. (1)

وفى أحكام القرآن للجصّاص 2 قال: لأن النبى صلى الله عليه و آله قال: فليغيره بلسانه فإن لم يستطع فليغيره بقلبه وقوله صلى الله عليه و آله فإن لم يستطع قد فهم منه أنهم إذا لم يزولوا عن المنكر فعليه إنكاره بقلبه سواء كان فى تقيه أو لم يكن لأن قوله إن لم يستطع معناه أنه لا يمكنه إزالته بالقول فأباح له السكوت فى هذه الحال وقد روى عن ابن مسعود فى قوله تعالى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم مُر بالمعروف وانهَ عن المنكر ما قبل منک فإذا لم يقبل منک فعليک نفسک.. وجاء فيه كذلک 3 فى تأويل الآيه الكريمه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (المائده:من الآيه105): وهذا أيضا على معنى الحديث الأول فى الاقتصار على إنكار المنكر بالقلب دون اليد واللسان للتقيه والخوف على النفس. ولعمرى أن أيام عبد الملک 4 والحجاج والوليد وأضرابهم كانت من الأيام التى سقط

1- (1) . وتوضيح الإشكال: أن التقيه تكون أضعف الإيمان فدين الأئمه أضعف الإيمان لقولهم: (التقيه دينِى..)..الحديث.. ورده واضح كما مر.وعليک أن تبحث فى الوسوعات الفقهيه لأتباع المذاهب فى شرائط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فتابع هناک واحكم على الفقهاء بالأمر بالكتمان.

فیها فرض الإنکار علیهم بالقول والید لتعذر ذلک والخوف علی النفس. وقد حکی أن الحجاج لما مات قال الحسن: اللهم أنت أمته فاقطع عنا سنته فإنه أتانا أخیفش أعیمش یمد بید قصیره البنان و الله ما عرق فیها عنان فی سبیل الله عز وجل برجل جمته ویخطر فی مشیته ویصعد المنبر فیهذر حتی تفوته الصلاه لا من الله یتقی ولا من الناس یستحی فوقه الله وتحته مائه ألف أو یزیدون لا یقول له قائل الصلاه أیها الرجل ثم قال الحسن هیهات و الله حال دون ذلک السیف والسوط وقال عبد الملک بن عمیر خرج الحجاج یوم الجمعه بالهاجره فما زال یعبر مره عن أهل الشام یمدحهم ومره عن أهل العراق یذمهم حتی لم نر من الشمس إلا حمره علی شرف المسجد ثم أمر المؤذن فأذن فصلی بنا الجمعه ثم أذن فصلی بنا العصر ثم أذن فصلی بنا المغرب فجمع بین الصلوات یومئذ، فهؤلاء السلف کانوا معذورین فی ذلک الوقت فی ترک النکیر بالید واللسان، وقد کان فقهاء التابعین وقراؤهم خرجوا علیه مع ابن الأشعث إنکارا منهم لکفره وظلمه وجوره فجرت بینهم تلک الحروب المشهوره وقتل منهم من قتل ووطئهم بأهل الشام (1) حتی لم یبق أحد ینکر علیه شیئا یأتیه إلا بقلبه، وقد روی ابن مسعود فی ذلک ما حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا جعفر بن محمد بن الیمان قال حدثنا أبو عبید قال حدثنا حجاج عن أبی جعفر الرازی عن الربیع بن أنس عن أبی العالیه عن عبد الله بن مسعود أنه ذکر عنده هذه الآیه: عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُمْ (المائده:من الآیه105) فقال:لم یجئ تأویلها بعد إن القرآن أنزل حین أنزل ومنه آی قد مضی تأویلهن قبل أن ینزلن وکان منه آی وقع تأویلهن علی عهد النبی صلی الله علیه و آله ومنه آی وقع تأویلهن بعد النبی صلی الله علیه و آله بیسیر ومنه آی یقع تأویلهن بعد الیوم ومنه آی یقع تأویلهن عند الساعه، ومنه آی یقع تأویلهن یوم الحساب من الجنه والنار، قال فما دامت قلوبکم واحده، وأهواؤکم واحده، ولم تلبسوا شیعا، ولم یذق بعضکم بأس بعض، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنکر، فإذا اختلفت القلوب والأهواء ولبستم شیعاً وذاق بعضکم بأس بعض، فامرأ ونفسه، عند ذلک جاء تأویل هذه الآیه قال أبو بکر یعنی عبد الله بقوله لم یجئ تأویلها بعد إن الناس فی عصره کانوا ممکنین من تغییر المنکر لصلاح السلطان والعامه وغلبه الأبرار للفجار فلم یکن أحد

1- (1) . فإن كانوا حكموا على الحجاج بالكفر فهل كان أهل الشام الذين استعان بهم عليهم كفارا؟ أم كان من لا يرضى على الحجاج كافراً؟ أم عمل أهل الشام بالتقيه فقاتلوا معه؟ وهل يحل ذلک؟

منهم معذورا فى ترک الأمر بالمعروف والنهى عن المنکر باليد واللسان ثم إذا جاء حال التقيه وترک القبول وغلبه الفجار سوغ السکوت فى تلک الحال مع الإنکار بالقلب وقد يسع السکوت أيضا فى الحال التى قد علم فاعل المنکر أنه يفعل محظورا ولا يمکن الإنکار باليد ويغلب فى الظن بأنه لا يقبل إذا قتل فحينئذ يسع السکوت... وکذلک قال: ودع عنک العوام فإن من ورائکم أيام الصبر فيه کقبض على الجمر للعامل فيها مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال وزادنى غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منکم وهذه دلاله فيه على سقوط فرض الأمر بالمعروف إذا کانت الحال ما ذکر لأن ذکر تلک الحال تنبئ عن تعذر تغيير المنکر باليد واللسان لشيوع الفساد وغلبته على العامه وفرض النهى عن المنکر فى مثل هذه الحال إنکاره بالقلب کما قال عليه السلام فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فکذلک إذا صارت الحال إلى ما ذکر کان فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنکر بالقلب للتقيّه ولتعذر تغييره وقد يجوز إخفاء الإيمان وترک إظهاره تقيه بعد أن يکون مطمئن القلب بالإيمان قال الله تعالى إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ فهذه منزله الأمر بالمعروف والنهى عن المنکر... وفيه أيضاً: (1) فأمر الله نبيه بالإعراض عن الذين يخوضون فى آيات الله وهى القرآن بالتکذيب وإظهار الاستخفاف إعراضاً يقتضى الإنکار عليهم وإظهار الکراهه لما يکون منهم إلى أن يترکوا ذلک ويخوضوا فى حديث غيره وهذا يدل على أن علينا ترک مجالسه الملحدين وسائر الکفار عند إظهارهم الکفر والشرک وما لا يجوز على الله تعالى إذا لم يمکننا إنکاره وکنا فى تقيه من تغييره باليد أو اللسان لأن علينا اتباع النبى صلى الله عليه و آله فيما أمره الله به إلا أن تقوم الدلاله على أنه مخصوص بشىء منه قوله تعالى: وَ إِمّا يُنْسِيَنَّکَ الشَّيْطانُ (الأنعام: من الآيه68)، المراد إن أنساک الشيطان ببعض الشغل فقعدت معهم وأنت ناس للنهى فلا شىء عليک فى تلک الحال ثم قال تعالى: فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْرى مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ يعنى بعد ما تذکر نهى الله تعالى لا تقعد مع الظالمين وذلک عموم فى النهى عن مجالسه سائر الظالمين من أهل الشرک وأهل المله لوقوع الاسم عليهم جميعا وذلک إذا کان فى تقيه من تغييره بيده أو بلسانه بعد قيام الحجه على الظالمين بقبح ما هم عليه فغير جائز لأحد مجالستهم مع ترک النکير سواء کانوا مظهرين

1- (1) . أحکام القرآن الجصاص166/4.

فى تلک الحال للظلم والقبائح أو غير مظهرين له لأن النهى عام عن مجالسه الظالمين لأن فى مجالستهم مختارا مع ترک النكير دلاله على الرضا بفعلهم.

وفى شمول الكافر وغيره ممن يسير المؤمن فيهم بالتقيه جاء:

«بئس القوم يمشى المؤمن فيهم بالتقيه والكتمان»، (1)لا يقال إن ذلک مقيد بالكافر لأنه لم يرد نص يستفاد منه ذلک.

وورد فى تاريخ اليعقوبى: (2)

وقال إن الله تعالى يقول ويل للذين يختلون الدنيا بالدين وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيه إياى يغرون أم على يجترئون فبى حلفت لأتيحن لهم فتنه تترک الحليم منهم حيران.

وفى روح المعانى: (3) عن الحسن أنه قال:

«التقيه جائزه إلى يوم القيامه» ، والثانى حمل التقيه ظاهرها وكونها جائزه إنما هو على التفصيل الذى ذكرناه. ومن الناس من أوجب نوعا من التقيه خاصا بخواص المؤمنين وهو حفظ الأسرار الإلهيّه عن الإفشاء للأغيار الموجب لمفاسد كليه فتراهم متى سئلوا عن سر أبهموه وتكلموا بكلام لو عرض على العامه بل على علمائهم ما فهموه وأفرغوه بقوالب لا يفهم المراد منها إلا من حسى من كأسهم أو تعطرت أرجاء فؤاده من عبير عنبر أنفاسهم وهذا وإن ترتب عليه ضلال كثير من الناس وانجر إلى الطعن بأولئک الساده الأكياس حتى رمى الكثير منهم بالزندقه وأفتى بقتلهم من سمع كلامهم وما حققه إلا أنهم رأوا هذا دون ما يترتب على الإفشاء من المفاسد التى تعم الأرض.

وفى شرح قصيده ابن القيم ابن قيم الجوزيه (4) ذكر الآمدى:

هو أبو الحسن على بن على بن محمد بن سالم الثعلبى سيف الدين ولد بآمد سنه 551 قرأ على مشايخ بلده القرآات وحفظ كتاباً على مذهب أحمد بن حنبل وبقى على ذلک مده فكان فى أول اشتغاله حنبلى المذهب انتقل إلى مذهب الشافعى ثم رحل إلى العراق وأقام فى الطلب مده ببغداد وحصل علم الجدل والخلاف والمناظره ثم انتقل إلى الشام واشتغل بفنون

المعقول وحفظ منه الكثير وتمهر فيه ولم يكن فى زمانه أحفظ منه لهذه العلوم وصنف فى أصول الدين والمنطق

ص:77

1- (1) . الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا23/2، كنز العمال للمتقى الهندى5/16.
2- (2) . تاريخ اليعقوبى، 101/2.
3- (3) . روح المعانى، الآلوسى 125/3، كما ورد قول الحسن البصرى هذا فى تغليق التعليق ابن حجر261/4، معانى القرآن النحاس383/1. وهنا فى ص50، 63.
4- (4) . شرح قصيده ابن قيم الجوزيه،194/2.

والحكمه والخلاف وكل تصانيفه مفيده وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ويهودها فاتهم لذلک فى عقيدته ففر إلى مصر خوفا من الفقهاء سنه 593 وناظر بها وحاضر وأظهر تصانيف فى علوم الأوائل تعصبوا عليه فخرج من القاهره مستخفيا (1) ثم استوطن حماه أو دمشق وتولى بها التدريس ومات فيها سنه 631.

وفى إغاثه اللهفان قال ابن قيم الجوزيه: (2)

فرواه الترمذى عنه قال: قال رسول الله [صلى الله تعالى عليه وآله]: إذا اتّخذ الفىء دوَلاً والأمانه مغنماً والزكاه مغرماً وتعلم العلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيله فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافه شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمه أولها فليرتقبوا عند ذلک ريحاً حمراء وزلزله وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب و قال رسول الله [صلى الله تعالى عليه وآله]: يمسخ قوم من هذه الأمه فى آخر الزمان قردةً وخنازير قالوا: يا رسول الله أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قال: بلى ويصومون ويصلون ويحجون قيل: فما بالهم قال: اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا قرده وخنازير وأما حديث أبى أمامه الباهلى فهو فى مسند أحمد والترمذى عنه عن النبى قال: يبيت طائفه من أمتى على أكل وشرب ولهو ولعب ثم يصبحون قرده وخنازير ويبعث على أحياء من أحيائهم ريح فينسفهم كما نسف من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات... وعن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [صلى الله تعالى عليه وآله]: إذا عملت أمتى خمس عشره خصله حل بها البلاء قيل: يا رسول الله: وما هن قال إذا كان المغنم دولاً والأمانه مغنماً والزكاه مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافه شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان ولعن آخر هذه الآمه أولها فليرتقبوا عند ذلک ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً... .

وفى الفتاوى الكبرى لابن تيميه (3) قال: وقد قال نصر بن حاجب: سئل سفيان بن عيينه عن الرجل يعتذر إلى أخيه من الشىء الذى قد فعله ويحرف القول فيه ليرضيه أيأثم فى ذلک قال: ألم تسمع إلى قوله: ليس بكاذب من أصلح بين الناس فكذب فيه فإذا أصلح بينه وبين أخيه

1- (1) . ففعله هذا إما كتمان أو نفاق أو تقيه.
2- (2) . إغاثه اللهفان، 1/262-265.
3- (3) . الفتاوى الكبرى،3/212.

المسلم خير من أن يصلح بين الناس بعضهم فى بعض وذلک أنه أراد به مرضاه الله وکراهه أذى المؤمن ويندم على ما کان منه ويدفع شره عن نفسه ولا يريد بالکذب اتخاذ المنزله عندهم ولا لطمع شىء يصيب منهم فإنه لم يرخص فى ذلک ورخص له إذا کره موجدتهم وخاف عداوتهم. قال حذيفه: إنى أشترى دينى بعضه ببعض مخافه أن أتقدم على ما هو أعظم منه وکره أيضا أن يتغير قلبه عليه... .

وقال ابن تيميه: (1) وقال أبو داود: سمعت أحمد وذکر الحيل من أصحاب الرأى (2) فقال: يحتالون لنقض سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا کثير فى کلام أهل ذلک العصر فعلم أن الرأى المذموم يندرج فيه الحيل وهو المطلوب... النبى صلى الله عليه وسلم [صلى الله تعالى عليه وآله] أول ما يفقد من الدين الأمانه وآخر ما يفقد منه الصلاه (وحديث عن رفع الأمانه من القلوب الحديث المشهور وقال: خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فذکر بعد قرنه قرنين أو ثلاثه ثم ذکر أن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وهذه أحاديث صحيحه مشهوره ومعلوم أن العمل بالحيل يفتح باب الخيانه والکذب فإن کثيرا من الحيل لا يتم إلا أن يتفق الرجلان على عقد يظهر أنه ومقصودهما أمر آخر کما ذکرنا فى التمليک للوقف وکما فى الحيل الربويه وحيل المناکح وذلک الذى اتفقا عليه إن لزم الوفاء به کان العقد فاسدا وإن لم يلزم فقد جوزت الخيانه والکذب فى المعاملات ولهذا لا يطمئن القلب إلى من يستحل الحيل خوفا من مکره وإظهاره ما يبطن خلافه وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمحتال غير مأمون وفى حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم [صلى الله تعالى عليه وآله] قال لعبد الله بن عمر الجواب کيف بک يا عبد الله إذا بقيت فى حثاله من الناس قد مرجت وعهودهم وأمانتهم واختلفوا فصاروا هکذا وشبّک بين أصابعه قال: فکيف أفعل يا رسول الله قال: تأخذ ما تعرف وتدع ما تنکر وتقبل على خاصتک وتدعهم وأعوانهم وهو حديث صحيح وهو فى بعض نسخ البخارى والحيل توجب مرج العهود والأمانات وهو قلقها

1- (1) . فى الفتاوى الکبرى233/3.
2- (2) . أصحاب الرأى أنت تعرفهم، والمهم أنهم ليسوا من الشيعه الذين يصفهم ابن تيميه بالروافض أى الکفره على ما يذهب هو إليه.

واضطرابها فإن الرجل إذا سوغ له من يعاهد عهدا ثم لا يفى به أو أن يؤتمن على شىء فيأخذ بعضه بنوع تأويل ارتفعت الثقه به وأمثاله ولم يؤمن فى كثير من الأشياء أن يكون كذلك، ومن تأمل حيل أهل الديوان وولاه الأمور، التّى استحلوا بها المحارم، ودخلوا بها فى الغلول والخيانه، ولم يبق لهم معها عهد ولا أمانه، علم يقينا أن الاحتيال والتأويلات أوجب عظم ذلك وعلم خروج أهل الحيل... وأيضاً: (1) سئل عن رجل له زوجه فحلف أبوها أنه ما يخليها معه وضربها وقال لها أبوها: إبريه فأبرأته وطلقها طلقه ثم ادعت أنها لم تبره إلا خوفاً من أبيها فهل تقع على الزوجه الطلقه أم لا؟ فكان جوابه: أنه إن كانت أبرأته مكرهه بغير حق لم يصح الإبراء (2)... .

وقال صاحب العقود الدريه: (3) لكن لما سبق الوعد الكريم منكم بإنفاذ فهرست مصنفات الشيخ رضى الله عنه وتأخر ذلك عنى اعتقدت أن الإضراب عن ذلك نوع تقيه أو لعذر لا يسعنى السؤال عنه فسكت عن الطلب خشيه أن يلحق أحدا ضرر والعياذ بالله بسببى لما كان قد اشتهر من تلك الأحوال فان أنعمتم بشىء من مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى كانت لكم الحسنه عند الله تعالى علينا... .

وفى الاستقامه (4) تحدث عن حديث روى عن النبى ص [صلى الله تعالى عليه وآله]: إذا اتخذ المال دولاً والأمانه مغنماً والزكاه مغرماً وتفقه لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه ورفعت الأصوات فى المساجد وأكرم الرجل مخافه شره وساد القبيله فاسقها وكان زعيم القوم أرذلهم فلينتظروا عند ذلك ريحا حمراء وفتنا تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع... .

وفى السنه لعبد الله بن أحمد: (5) عن عمر بن حماد بن أبى حنيفه قال أخبرنى أبى حماد بن أبى حنيفه قال أرسل ابن أبى ليلى إلى أبى فقال له تب مما تقول فى القرآن أنه مخلوق وإلا أقدمت عليك بما تكره قال فتابعه قلت يا أبه كيف فعلت ذا قال يا بنى خفت أن يقدم على فأعطيت تقيه. (6)

1- (1) . الفتاوى الكبرى ابن تيميه 130/4.
2- (2) . بالطبع أخذت منه موضع الحاجه وهو أنها فى حاله الإكراه لا يصح ذلك فإن لم تكن فى حال تقيه فلم فعلت فهل هذا تعطيل للحكم فهو كتمان أم نفاق؟

3- (3) . العقود الدريه، ابن عبد الهادى/521.
4- (4) . الإستقامه، ابن تيميه 66/1.
5- (5) . السنه، 183/1.
6- (6) . صحيح أن القائل بالقدم يرى أن الذى يقول بالحدوث كافراً ولكن يبقى العامل بينهم بالتقيه يرى أنهم مسلمون.

وفى التقيّه من السلطان راجع ما جاء فى السنن المأثوره الشافعى، (1) هذا وكل ما جاء فى كتب التاريخ تحت ماده (خوفاً وخشيه مخافه وخاف) (2) وكل ما فى هذا المعنى.

ونقلوا فى كتبهم عن على عليه السلام (3) أنه قال: (لا دين لمن لا تقيه له)... .

وفى طبقات الحفاظ للسيوطى: (4) البزاز أبو عثمان نزيل بغداد روى عن عبد العزيز بن الماجشون وفضيل بن مرزوق ومبارک بن فضاله والليث وخلق وعنه أحمد وابنه والبخارى وابن معين وأبو داود والذهلى والدارمى وأبو زرعه وخلق قال أحمد كان صاحب تصحيف وكان ممن أجاب فى المحنه تقيه قيل له بعد ما انصرف من المحنه ما فعلتم قال كفرنا ورجعنا. (5)

وفى تغليق التعليق ابن حجر: (6) أن ابن عباس أنه لم ير طلاق المكره شيئا وأما قول ابن عمر وابن الزبير فقال البيهقى أنا أبو الحسين بن الفضل أنا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفيان سمعت عمرا يقول حدثنى ثابت الأعرج قال تزوجت أم ولد عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب فدعانى ابنه ودعا غلامين له فربطونى وضربونى بالسياط وقال له لتطلقها وضربونى بالسياط وقال لتطلقها أو لنفعلن ولنفعلن وطلقها ثم سألت ابن عمر وابن الزبير فلم يرياه شيئا رواه عبد الرزاق فى مصنفه عن عبيد الله بن عمر عن ثابت نحوه وعن ابن عيينه عن يحيى بن سعيد عن ثابت نحوه، وأما قول الشعبى فقال عبد الرزاق فى مصنفه عن الثورى وابن عيينه عن زكريا عن الشعبى قال إن أكرهه اللصوص فليس بطلاق وإن أكرهه السلطان فهو جائز قال ابن عيينه يقولون إن اللص يقدم على قتله وإن السلطان لا يقتله. (7)

وفى بغيه الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم: (8) قال فأما أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خراسان فكانوا من الأخلاق السمحه والنفوس الكريمه والهمم العاليه

1- (1) . السنن المأثوره، ص145. المنتظم (حتى752ه-) لابن الجوزى8/60-11/219.

2- (2) . النجوم الزاهره أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى121/1، وفى372/5 قال: وفيها توفى محمد بن يحيى بن محمد بن هبيره أبو عبد الله عز الدين ابن الوزير عون الدين كان فاضلا كبير الشأن عظيم القدر ناب عن أبيه فى الوزاره مده ثم قبض عليه بعد موت أبيه وصودر وحبس ثم هرب من محبسه خوفا على نفسه فلم يستتر أمره وأخذ وقتل خنقا وكان من بيت علم وفضل ورياسه. وغير هذا المصدر كثير.
3- (3) . الفردوس بمأثور الخطاب 186/5، 210، كنز العمال للمتقى الهندى58/3.
4- (4) . ص179.
5- (5) . فإن كان قد علم بأنه قد كفر فهو مرتد فيعامل كذلک وإلا فهو من التهويل.
6- (6) . تغليق التعليق، 261/4، 262.
7- (7) . لماذا طلقها؟ هل تقيه أم نفاقا؟ ثم لماذا يسأل لو كان الطلاق واقعاً؟.. وأما تفصيل الشعبى فليس بمهم إذ قد يحصل العكس.
8- (8) . بغيه الخطيب، 180/1.

والمحبه للغريب على ما ليس عليه أحد ولكنهم كانوا فى تقيه من هؤلاء الأوباش.

وذكر المصنفون (1) فيمن أجاب المأمون بخلق القرآن تقيه سبعه أنفس وهم محمد بن سعد كاتب الواقدى ويحيى بن معين وأبو خيثمه وأبو مسلم مستملى يزيد بن هارون وإسماعيل بن داود وإسماعيل بن أبى مسعود وأحمد بن إبراهيم الدورقى. وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعه ففعل ذلک فأجابه طائفه وامتنع آخرون فكان يحيى بن معين وغيره يقولون أجبنا خوفا من السيف. ثم كتب المأمون كتابا آخر من جنس الأول إلى إسحاق وأمره بإحضار من امتنع فأحضر جماعه منهم أحمد ابن حنبل، وبشر بن الوليد الكندى، وأبو حسان الزيادى، وعلى بن أبى مقاتل، والفضل بن غانم، وعبيد الله بن عمر القواريرى، وعلى بن الجعد، وسجاده، والذيال بن الهيثم، وقتيبه بن سعيد، وكان حينئذ ببغداد، وسعدويه الواسطى، وإسحاق بن أبى إسرائيل، وابن الهرش، وابن عليه الأكبر، ومحمد بن نوح العجلى، ويحيى بن عبد الرحمن العمرى، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعى، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وغيرهم، وعرض، عليهم كتاب المأمون فعرضوا وورروا ولم يجيبوا ولم ينكروا، فقال لبشر بن الوليد ما تقول، قال قد عرفت أمير المؤمنين غير مره قال والآن فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب، قال أقول كلام الله قال لم أسألک عن هذا أمخلوق هو قال ما أحسن غير ما قلت لک وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا أتكلم فيه، ثم قال لعلى بن أبى مقاتل ما تقول قال القرآن كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشىء سمعنا وأطعنا وأجاب أبو حسان الزيادى بنحو من ذلک ثم قال لأحمد ابن حنبل ما تقول قال كلام الله قال أمخلوق هو؟ قال هو كلام الله لا أزيد على هذا ثم امتحن الباقين وكتب بجواباتهم وقال ابن البكاء الأكبر أقول القرآن مجعول ومحدث لورود النص بذلک، فقال له إسحاق بن إبراهيم والمجعول مخلوق قال نعم قال فالقرآن مخلوق قال لا أقول مخلوق.

وفى طبقات الشافعيه الكبرى للسبكى (2) قال فى محمد بن عبد الله بن تومرت: أبو عبد الله الملقب بالمهدى المصمودى الهرغى المغربى... كثير الصبر على الأذى يعرف الفقه على

1- (1) . تاريخ الخلفاء السيوطى/309، المناظره فى القرآن ابن قدامه/46، طبقات الشافعيه الكبرى السبكى39/2 وما بعدها، وكذلک82/2، 147. وهل يكفرون المأمون أم هو من أولى الأمر؟ أم إنه مسكوت عنه لئلا يفتح هذا الباب فتحصل الكارثه فاعبر؟
2- (2) . الطبقات الكبرى، 109/6.

مذهب الشافعى وينصر الكلام على مذهب الأشعرى وكان كثير الأسفار ولا يستصحب إلا عصا وركوه ولا يصبر عن النهى عن المنكر وأوذى بذلك مرات دخل إلى مصر وبالغ فى الإنكار فبالغوا فى أذاه وطرده وكان ربما أوهم أن به جنونا وذلك عند خشيه القتل. (1)

وفى طبقات الشافعيه الكبرى كذلك: (2) فيما خرجه البخارى فى صحيحه من حديث أبى الطفيل سمعت عليا رضى الله عنه عليه السلام يقول حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله، وكم مسأله نص العلماء عن عدم الإفصاح بها خشيه على إفضاح من لا يفهمها... وكان الشافعى رضى الله عنه يذهب إلى أن القاضى يقضى بعلمه وكان لا يبوح به مخافه قضاه السوء فقد لاح لک بهذا أنه ربما وقع السكوت عن بعض العلم خشيه من الوقوع فى محذور. (3)

وفى المنتظم (من752ه-) لابن الجوزى قال: (4) ووقعت بين الحنابله والأشاعره فتنه عظيمه حتى تأخر الأشاعره عن الجمعات خوفا من الحنابله... .

وفى العبر فى خبر من غبر الذهبى: (5) سنه تسع وخمسين ومائه فيها ألح المهدى على ولى العهد عيسى بن موسى بكل ممكن بالرغبه والرهبه فى خلع نفسه ليولى العهد لولده موسى الهادى فأجاب خوفا على نفسه فأعطاه المهدى عشره آلاف ألف درهم وإقطاعات.

وفى الكامل ابن الأثير (6) قال: ذكر الاختلاف على نجده وقتله وولايه أبى فديک ثم إن أصحاب نجده اختلفوا عليه لأسباب نقموها عليه فمنها أن أبا سنان حيان بن وائل أشار على نجده بقتل من أجابه تقيه فشتمه نجده فهم بالفتک به فقال له نجده كلف الله أحدا علم الغيب قال لا قال فإنما علينا أن نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان إلى نجده ومنها أن عطيه بن الأسود خالف على نجده وسببه أن نجده سير سريه بحرا وسريه برا فأعطى سريه البحر أكثر من سريه البر فنازعه عطيه حتى أغضبه فشتمه نجده فغضب عليه وألبّ الناس عليه وكلم نجده فى رجل يشرب الخمر فى عسكره فقال هو رجل شديد النكايه على العدو وقد استنصر

1- (1) . وواضح يعنى تقيه.

2- (2) . نفس المصدر، 251/6، 252.
3- (3) . فهل هذا كتمان محرم أم نفاق؟
4- (4) . المنتظم، 163/4. ثم انظر أيها المسلم فى التاريخ تجد أغلب مشاكل المسلمين بسبب الحنابله ومتشدديهم.
5- (5) . العبر، 230/1، 231.
6- (6) . الكامل، 22/4.

رسول الله بالمشركين وكتب عبد الملک إلى نجده يدعوه إلى طاعته ويوليه.

وفى أحداث (1) توليه ابن هبيره العراق وخراسان نيابه عن يزيد بن عبد الملک استدعى ابن هبيره الحسن وابن سيرين والشعبى، وذلک فى سنه ثلاث ومائه فقال لهم: إن الخليفه كتب إلىّ بأمر فأقلّده ما تقلد من ذلک الأمر فقال ابن سيرين والشعبى قولاً فيه بعض تقيه... .

وفى عجائب الآثار للجبرتى (2) قال: وقلّد إسماعيل بک مصطفى كاشف المرابط بقلعه طرافعسف بالمسافرين الذاهبين والآيبين إلى جهه قبلى فلا تمرّ عليه سفينه صاعده أو منحدره إلا طلبها إليه وأمر بإخراج ما فيها وتفتيشها بحجه أخذهم الاحتياجات للأمراء القبليين من الثياب وغيرها أو إرسالهم أشياء أو دراهم لبيوتهم فان وجد بالسفينه شيئاً من ذلک نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسببين وأخذه عن آخره، وقبض عليهم وعلى الريس وحبسهم ونكل بهم ولا يطلقهم إلا بمصلحه وان لم يجد شيئا فيه شبهه أخذ من السفينه ما اختاره وحجزهم فلا يطلقهم إلاّ بمال يأخذه منهم، وتحقق الناس فعله فصانعوه ابتداء تقيّه لشرّه وحفظاً لمالهم ومتاعهم فكان الذى يريد السفر إلى قبلى بتجاره أو متاع يذهب إليه ببعض الوسائط ويصالحه بما يطيب به خاطره ويمرّ بسلام فلا يعرض له وكذلک الواصلون من قبلى يأتون طائعين إلى تحت القلعه ويطلع إليه الريس والمسافرون فيصالحونه وعلم الناس هذه القاعده واتبعوها وارتاحوا عليها فى الجمله واستعوضوا الخساره من غلو الأثمان... .

وفى قواطع الأدله فى الأصول لأبى المظفر السمعانى قال: (3) أن من تبين بشرع فإنه لا يستجيز كتمانه إلا عن تقيه فى بعض المواضع فأما إذا لم يكن هناک تقيه ولا خوف فإنه لا يستجيز كتمانه وإخفاءه النبى... وقال ايضاً: (4) وبه قال بعض المعتزله واختاره أبو عبد الله البصرى وقال أبو على بن أبى هريره إن كان وجد حكماً من بعض الصحابه وانتشر من الباقين لم يعرف له مخالف لا يكون إجماعاً وأن كان فتوى وانتشر ولم يعرف له مخالف يكون إجماعا، وعكس هذا أبو إسحاق المروزى فقال: يكون إجماعا إن كان حكما ولا يكون إجماعاً إن كان فتياً والأصح هو القول الأول وأما من قال ليس بحجه أصلاً فاحتج فى ذلک وقال لا يمتنع

1- (1) . شذرات الذهب لابن العماد137/1،وفيات الأعيان لابن خلكان71/2.
2- (2) . عجائب الآثار،82/2.
3- (3) . قواطع الأدله فى الأصول،461/1.
4- (4) . نفس المصدر4/2-7.

أن يكون سكوت من سكت لتقيه أو هيبه كما روى عن ابن عباس أنه لما أظهر قوله فى مسأله العول قيل له هلا قلت فى زمان عمر رضى الله عنه قال: إنه كان رجلاً مهيباً. (1) فلا يتصور دوام السكوت من كل المجتهدين مع تكرار الواقعه فى حكم العاده ولهذا أن ابن عباس أظهر خلافه من بعد فى مسأله العول والذين يقولون لعل السكوت لتقيه أو هيبه. قلنا ليس هذا مما يدوم على الدهر ولأن المسأله مصوره فيما إذا لم يكن تقيه ولا هيبه... .وفى كتاب التقرير والتحبير لابن أمير الحاج: (2) تكلم عن الإجماع هناک وتعرض للتقيه كسابقه هنا... .

وجاء فى القول المفيد للشوكانى: (3) فاسأل غيره من العلماء الموجودين وهم بحمد الله فى كل صقع من بلاد الإسلام، فالله سبحانه حافظ دينه بهم وحجته قائمه على عباده بوجودهم كتموا الحق فى بعض الأحوال، أما لتقيه مسوغه كما قال تعالى إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً أو بمداهنه... . (4)

وفى ظلال القرآن لسيد قطب: (5) ويرخص فقط بالتقيه لمن خاف فى بعض البلدان والأوقات ولكنها تقيه اللسان لا ولاء القلب ولا ولاء العمل قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس التقيه بالعمل إنما التقيه باللسان فليس من التقيه المرخص فيها أن تقوم الموده بين المؤمن وبين الكافر والكافر هو الذى لا يرضى بتحكيم كتاب الله.

أقول: قد حصل خلط هنا بين مصطلحى التقيه والمداهنه، فالثانيه هى التودد بين المؤمن والكافر من الأول إلى الثانى كقوله تعالى: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:9)، وهذا هو المنهى عنه لا عن التقيه.

وقال ابن تيميه: (6) والأشعرى ابتلى بطائفتين طائفه تبغضه وطائفه تحبه كل منهما يكذب عليه

1- (1) . فى أول من أعال فى الفرائض وهو عمر بن الخطاب فقيل لعبد الله بن عباس ألا أشرت عليه فقال هبته.. ورد فى: (مآثر الإنافه القلقشندى3/339-أحكام القرآن الجصاص3/22- المبدع ابن مفلح6/156- الفروع ابن مفلح5/13- التبصره الشيرازى/393، 394-المستصفى الغزالى/151- روضه الناظر ابن قدامه/151- أصول السرخسى1/304- قواطع الأدله فى الأصول أبى المظفر السمعانى2/5- كتاب التقرير والتحبير

ابن أمير الحاج137/3- الإنصاف للمرداوى316/7- منار السبيل ابن ضويان76/2- الوسيط الغزالى377/4). وكان جميع الصحابه يعلمون ذلک إلا من أشار عليه بالعول كما هو معلوم من أن من أشار عليه هو العباس ولكن هل يحكم على من كان يعلم بخلاف ذلک بأنه آثم لأنه كتم حكم الله تعالى؟

2- (2) . التقرير و التحبير، 136/3-137.

3- (3) . القول المفيد، ص96-97

4- (4) . أما التقيه فنعم وأما المداهنه فمرفوضه.

5- (5) . فى ظلال القرآن، ص386.. التقيه تقيه إن كانت فى الفعل أو القول كما فى الوضوء مثلاً... .

6- (6) . مجموع الفتاوى 204/12، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى التفسير204/1... وهذا يعنى أن العمل بالتقيه بين المسلمين أنفسهم كان مشهوراً أما تفسيرات ابن تيميه فهو أمر يخصه وهذه قراءته كما أن غيره كانت قراءته كما ذكرهو.

ويقول إنما صنف هذه الكتب تقيةً وإظهاراً لموافقه أهل الحديث والسنّه من الحنبليّه وغيرهم... .

قال المغيره لصعصعه بن صوحان: (1)

إياک أن يبلغنى أنّک تعيب عثمان وإيّاک أن يبلغنى أنّک تظهر شيئاً من فضل على فأنّا أعلم بذلک منک ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع شيئا كثيرا بما أمرنا به ونذكر الشيء الذى لا نجد منه بداً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّه فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينک وبين أصحابک فى منازلكم سراً وأمّا علانيةً فى المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفه لنا فكان يقول له نعم ثم يبلغه عنه أنه فعل ذلک فحقد عليه المغيره فأجابه بهذا الجواب فقال له صعصعه وما أنا إلا خطيب فقط قال أجل... .

هذا هو حال الصحابه مع على بن أبى طالب عليه السلام وأتباعه والحال هو الحال فى الوقت الحاضر!! ولكن ماذا فعل هذا الرجل ليفعل به هذه الأفاعيل؟ هل سرق أحداً؟ هل غش أحداً؟ ألا تسأل نفسک؟ لماذا كل هذا البغض والحقد؟ هل عيّن والياً يؤخّر الصلاه؟ أم وزع الأموال فى بنى هاشم؟ أم بدلّ حكماً؟ فكر وسل نفسک!!!! لماذا يقال بعد كل أذان: الصلاه والسلام عليک يا رسول الله وعلى آلک وأصحابک ثم يشتم على وولده صلوات الله تعالى عليهم ويقتل أتباع الآل فى المسيب واللطيفيه وأبى غريب والزبير والدوره وسامراء والضلوعيه والمشاهده والأنبار وتكريت والموصل وبيجى وراوه وديالى والمدائن والغزاليه؟ لماذا يقتل من يسمى محل تجارته باسم الزهراء؟ ويحرس من يسميه باسم غيرها من النساء؟ لماذا يجهز هؤلاء القتله بالأموال من الدول الإسلاميه ومؤسساتها؟ وبعد سكوت الناس ثلاث سنوات من الصبر فإذا ردوا أصبحوا ميليشيات يجب حلها؟ لماذا تفجر مساجدهم وتترک المباغى والحانات على راحتها؟] أحكم بنفسک إن كنت منصفاً... .

وفى دليل الطالب (2) قال: ويحرم عليها الخروج بلا إذنه ولو لموت أبيها، لكن لها أن تخرج لقضاء حوائجها حيث لم يقم بها ولا يملک منعها من كلام أبويها ولا منعهما من زيارتها ما لم يخف منهما الضرر ولا يلزمها طاعه أبويها بل طاعه زوجها أحق.

وأما قاعده الضرورات تبيح المحظورات، فإطلاقها خير دليل على إمكان التطبيق فى كل ضررٍ مرتقب. (3)

1- (1) . الكامل لابن الأثير290/3.
2- (2) . مرعى الحنبلى/251.
3- (3) . راجع المصادر زاد المعاد ابن قيم الجوزيه704/5- عون المعبود محمد آبادى39/5- غايه المرام الآمدى/386 - الفواكه

وقال فى جامع العلوم والحكم: (1) فهذان الحديثان محمولان على أن يكون المانع له من الإنكار مجرد الهيبه دون الخوف المسقط للإنكار. قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: آمر السلطان بالمعروف وأنهاه عن المنكر؟ قال: إن خفت أن يقتلک فلا، ثم عدت فقال لى مثل ذلک ثم عدت فقال لى مثل ذلک، وقال: إن كنت لابد فاعلا ففيما بينک وبينه. وقال طاوس: أتى رجل ابن عباس فقال: ألا أقوم إلى هذا السلطان فآمره وأنهاه؟ قال: لا تكن له فتنه، قال: أفرأيت إن أمرنى بمعصيه الله، قال: ذلک الذى تريد فكن حينئذ رجلا... وقد ذكرنا حديث ابن مسعود الذى فيه يخلف من بعدهم خلوف فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن الحديث وهذا يدل على جهاد الأمراء باليد. وقد استنكر الإمام أحمد هذا الحديث فى روايه أبى داود وقال هو خلاف الأحاديث التى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها بالصبر على جور الأئمه. وقد يجاب عن ذلک بأن التغيير باليد لا يستلزم القتال وقد نص على ذلک أحمد أيضا فى روايه صالح فقال التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح فحينئذ جهاد الأمراء باليد أن يزيل بيده ما فعلوه من المنكرات مثل أن يريق خمورهم أو يكسر آلات اللهو التى لهم أو نحو ذلک أو يبطل بيده ما أمروا به من الظلم إن كان له قدره على ذلک وكل ذلک جائز وليس هو من باب قتالهم ولا من الخروج عليهم الذى ورد النهى عنه فإن هذا أكثر ما يخشى منه أن يقتله الأمراء وحده وأما الخروج عليهم بالسيف فيخشى منه الفتن التى تؤدى إلى سفک دماء المسلمين نعم إن خشى فى الإقدام على الإنكار على الملوک أن يؤذى أهله أو جيرانه لم ينبغ له التعرض لهم حينئذ، لما فيه من تعدى الأذى إلى غيره، كذلک قال الفضيل بن عياض وغيره ومع هذا متى خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفى أو أخذ المال أو نحو ذلک من الأذى سقط أمرهم ونهيهم وقد نص الأئمه على ذلک منهم مالک وأحمد وإسحاق وغيرهم قال أحمد لا يتعرض إلى السلطان فإن سيفه مسلول وقال ابن شبرمه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابره أكثر من ذلک فإن خاف السب أو سماع الكلام السيئ لم يسقط عنه الإنكار بذلک نص عليه الإمام أحمد وإن احتمل الأذى وقوى عليه فهو أفضل

1- (1) . ابن رجب الحنبلى/322.

نص عليه أحمد أيضا وقيل له أليس قد جاء عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه أى يعرضها من البلاء ما لا طاقه له به قال: ليس هذا من ذلک ويدلّ على ما قاله ما خرجه أبو داود وابن ماجه والترمذى من حديث أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: أفضل الجهاد كلمةُ عدلٍ عند سلطان جائر... وخرج ابن ماجه معناه من حديث أبى أمامه وفى مسند البزار بإسناد فيه جهاله عن أبى عبيده بن الجراح قال: قلت يا رسول الله: أى الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى إمام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن المنكر فقتله. وقد روى معناه من وجوه أخرى كلها فيها ضعف. وأما حديث لا ينبغى للمؤمن أن يذلّ نفسه فإنّما يدلّ على أنه إذا علم أنه لا يطيق الأذى ولا يصبر عليه فإنه لا يتعرض حينئذ للأمراء وهذا حق، وإنما الكلام فيمن علم من نفسه الصبر لذلک قاله الأئمه كسفيان وأحمد والفضيل بن عياض وغيرهم وقد روى عن أحمد ما يدل على الاكتفاء بالإنكار بالقلب قال: فى روايه أبى داود نحن نرجو إن أنكر بقلبه فقد سلم وإن أنكر بيده فهو أفضل، وهذا محمول على أنه يخاف كما صرح بذلک فى روايه غير واحد. وقد حكى القاضى أبو يعلى روايتين عن أحمد فى وجوب إنكار المنكر على من يعلم أنه لا يقبل منه وصح القول بوجوبه وهذا قول أكثر العلماء وقد قيل لبعض السلف فى هذا فقال: يكون لک معذره وهذا كما أخبر الله تعالى عن الذين أنكروا على المعتدين فى السبت أنهم قالوا لمن قال لهم: أتعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذره إلى ربكم ولعلهم يتقون... الأعراف... وقد ورد ما يستدل به على سقوط الأمر والنهى عند عدم القبول والانتفاع به ففى سنن أبى داود وابن ماجه والترمذى عن أبى ثعلبه الخشنى أنّه قيل له: كيف تقول فى هذه الآيه: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم... المائده قال: سألت عنها خبيرا أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتُ شحاً مطاعاً... . (1)

وقال فى جامع العلوم والحكم كذلک: (2) وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمر قال بينما نحن جلوس حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذكر الفتنه فقال: إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبک أصابعه فقمت إليه فقلت له: كيف

1- (1) . مما تقدم يتضح أن هناک کتمان فی الجمله وذلک فیما إذا کان الآمر بالمعروف والناهی عن المنکر یعیش بین قوم یعلمون الحق ولکنهم معاندون، فماذا یفعل مع هؤلاء؟ لأنه إن ذکرهم قتلوه أو فتنوه وإن ترکهم نجی لیعظ غیرهم.. وکما قرأت عن هؤلاء الحکام والسلاطین المذکورین الذین تراق خمورهم وتزال منکراتهم أهم کفار أم مسلمون؟
2- (2) . جامع العلوم و الحکم، ص323.

أفعل عند ذلک جعلنی الله فداک؟ فقال: الزم بیتک واملک علیک لسانک وخذ بما تعرف ودع ما تنکر وعلیک بأمر خاصه نفسک ودع عنک أمر العامه... وکذلک روی عن طائفه من الصحابه فی قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا عَلَیْکُمْ أَنْفُسَکُمْ لا یَضُرُّکُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَیْتُمْ (المائده: من الآیه105)، قالوا: لم یأت تأویلها بعد إنما تأویلها فی آخر الزمان. وعن ابن مسعود قال: إذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شیعا وذاق بعضکم بأس بعض فیأمر الإنسان حینئذ نفسه فهو حینئذ تأویل هذه الآیه وعن ابن عمر قال: هذه الآیه لأقوام یجیئون من بعدنا إن قالوا: لم یقبل منهم وقال جبیر بن نفیر عن جماعه من الصحابه قالوا: إذا رأیتُ شحّاً مطاعاً وهوی متّبعاً وإعجاب کل ذی رأی برأیه فعلیک حینئذ بنفسک لا یضرک من ضل إذا اهتدیت. وعن مکحول قال: لم یأت تأویلها بعد إذا هاب الواعظ وأنکر الموعوظ فعلیک حینئذ بنفسک لا یضرک من ضل إذا اهتدیت، وعن الحسن أنه کان إذا تلا هذه الآیه قال: یا لها من ثقه ما أوثقها ومن سعه ما أوسعها... وهذا کله قد یحمل علی أن من عجز عن الأمر بالمعروف أو خاف الضرر سقط عنه... وکلام ابن عمر یدل علی أن من علم أنه لا یقبل منه لم یجب علیه کما حکی روایه عن أحمد وکذا قال الأوزاعی مر من تری أن یقبل منک. وقوله صلی الله علیه وآله وسلم فی الذی ینکر بقلبه وذلک أضعف الإیمان یدل علی أن الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر من خصال الإیمان... .

وقال فی بدائع السلک: (1) الفائدهُ الرابعه قال ابن عیشون أجاز إعطاء الرشوه إذا خاف الظلم علی نفسه وکان محقا... وقال أیضاً: (2) أنه أول من قدم الرشا فی الإسلام المغیره بن شعبه، کان یعطی یرفا حاجب عمر بن الخطاب لیستأذن له علیه وأن یرفا هذا أول من قبلها فی الإسلام... وبرر المؤلف فعل المغیره أنه من باب التوصل به إلی حق منع منه علی ما تقدم... . (3)

وفیه أیضاً: (4) هذا فی القول فأمّا الفعل فیه الحال فمنه ما لا خلاف فی جوازه کشرب الخمر إذا خاف علی نفسه القتل، وإن یخف إلا ما دون القتل فالصبر له أفضل، وإن لم یخف فی ذلک إلا کسجن یوم أو طرف من خفیف فلا تحل له المعصیه من أجل ذلک. وأما

1- (1) . بدائع السلک، 346/1.
2- (2) . نفس المصدر، 347/1.

3- (3) . نفس المصدر، هذا إما تقيه من المغيره أو مخالفه شرعيه واضحه تخل بعداله الحاجب والمحجوب، هذا مع عدم علم المحجوب عنه.
4- (4) . نفس المصدر، الأزرق،347/1.

الإكراه على القتل فلا خلاف فى لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ليدفع بذلک قتل نفس مؤمنه وهى نفسه فأما إذا عن نفسه بنفس أخرى فلا رخصه. واختلف فى الإكراه على الزنى، فذكر عن ابن الماجشون، قال: لا رخصه فيه لأنه لا ينتشر له إلا عن إراده فى القلب أو شهوه، وأفعال القلب تباح مع الإكراه. وقال غيره: بل يرخص فى ذلک لمن خاف القتل لأن انبعاث الشهوه عند بمنزله انبعاث اللعاب عند مضغ الطعام وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه... .

وفى مواهب الجليل (1) قال: وقد جوز الشارع الاستعانه بالمفسده لا من جهه أنها مفسده على درء مفسده أعم منها... السابع قال ابن فرحون أجاز بعضهم إعطاء الرشوه إذا خاف الظلم على نفسه وكان الظلم محققا... قال ابن عيشون أجاز بعضهم إعطاء الرشوه إذا خاف الظلم على نفسه وكان محقا وقال قبله قال أبو بكر بن أويس يحرم على القاضى أخذ الرشوه فى الأحكام يدفع بها حقا أو يشهد بها باطلا وأما أن يدفع بها عن مالک فلا بأس... .

وفى أصول السرخسى: (2) وكذلک إباحه إتلاف مال الغير عند تحقق الإكراه فإنه رخصه مع قيام سبب الحرمه وحكمها وكذلک إباحه الإفطار فى رمضان للمكره وإباحه الإقدام على الجنايه على الصيد للمحرم ولهذا النوع أمثله كثيره والحكم فى الكل واحد له أن يرخص بالإقدام على ما فيه رفع الهلاک عن نفسه فذلک واسع له تيسيرا من الشرع عليه وإن امتنع فهو أفضل له ولم يكن فى الامتناع عاملا فى إتلاف نفسه بل يكون متمسكاً بما هو العزيمه... .

وفى شرح الزرقانى: (3) وقد استثنى من الإنصات فى الخطبه ما إذا انتهى الخطيب إلى كل ما لم يشرع فى الخطبه مثل الدعاء للسلطان مثلا بل جزم صاحب التهذيب بأنه مكروه وقال النووى محله إذا جازف وإلا فالدعاء لولاه الأمر (4) مطلوب اه... ومحل الترک إذا لم يخف الضرر وإلا فيباح للخطيب إذا خشى على نفسه اه- .

وفى التاج والإكليل: (5) والإكراه على وجوه: منها أن يكره على إيقاع الطلاق، ومنها: أن يكره على أن يحلف بالطلاق، وأن لا يفعل شيئا ثم يفعله طوعا، ومنها: أن يكره على أن يحلف ليفعلن فلا يفعل، ومنها: أن يحلف بالطلاق أن لا يفعل شيئا فأكره على فعله. ويختلف

1- (1) . مواهب الجليل، 121/6.
2- (2) . أصول السرخى، 118/1.
3- (3) . شرح الزرقانى، 309/1.
4- (4) . فهل خص ولاه الأمر المذكورين بالكفره؟
5- (5) . التاج و الإكليل،44/4.

إذا حلف ليدخلن فحيل بينه وبين الدخول، وانظر إذا بدر باليمين قبل أن يسألها ليذب عما خاف عليه من بدنه أو ماله، فقال مالک: يلزمه اليمين، وقال ابن الماجشون: إذا حلف بالطلاق ثلاثا من غير يحلف وكانت يمينه خوفا من قتله أو ضربه أو أخذ ماله فأسرع باليمين فلا شىء عليه، فإن كان لم يحلف رجاء النجاه لزمته. وقال مالک: فى لصوص استحلفوا رجلا بالحريه والطلاق أن لا يخبر بهم ثم أخبر عنهم، قال مالک: لا حنث عليه. قال ابن رشد: معناه إذا خشى على نفسه منهم مكروها، وأما إن لم يخش فإن اليمين تلزمه إن أخبر عنهم، ويجب عليه أن يخبر عنهم ويحنث. قال ابن العربى: قال أبو حنيفه: طلاق المكره يلزم لأنه لم يعدم فيه أكثر من الرضا وليس وجوده بشرط فى الطلاق كالهازل، وهذا قياس باطل فإن الهازل قاصد إلى إيقاع الطلاق وراض به والمكره غير راض ولا نيه له فى الطلاق ولكل امرئ ما نوى. ومن غريب الأمر أن علماءنا اختلفوا فى الإكراه على الحنث فى اليمين... وقال هناک أيضاً: (1) وإن لم يحلف لم يكن عليه حرج وإن لم يكن عنده مال ولا كان مستخفيا فى داره إلا أنه يعلم مكانه أو مكان ماله فقيل له إن لم تحلف أنک ما تعلم مكانه ولا مكان ماله فعلنا بک كذا وكذا من ضرب أو سجن أو خشى ذلک على نفسه إن لم يحلف جاز له أن يحلف أنه ما يعلم موضعه إن أرادوا قتله ولم تلزمه اليمين باتفاق لأنه فى حكم المكره عليها إذ لا خروج له عنها إلا بإباحه حرمه نفسه أو بإباحه دم غيره وذلک لا يجوز وأما... .

وفى المعين: (2) والدعاء للسلطان بخصوصه لا يسن اتفاقا إلا مع خشيه فتنه فيجب ومع عدمها لا بأس به حيث لا مجازفه فى وصفه ولا يجوز وصفه بصفه كاذبه إلا لضروره... .

وفى حاشيه الطحطاوى على مراقى الفلاح: (3) ولذلک يحسن أن يستخار فى النهى عن المنكر فى شخص متمرد يخشى بنهيه حصول ضرر عظيم عام أو خاص وإن جاء فى الحديث أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر لكن إن خشى ضرراً عاما للمسلمين فلا ينكر وإن خشى على نفسه فله الإنكار ولكن يسقط الوجوب كذا فى العينى... .

وفى حاشيه الدسوقى: (4) نعم محل الوجوب إذا خشى ضياعه ما لم يخف على نفسه ضرراً

1- (1) . التاج و الإكليل، 45/4.
2- (2) . المعين،67/2.
3- (3) . حاشيه الطحاوى، 263.
4- (4) . حاشيه الدسوقى، 127/4.

من السلطان إذا أخذه ليخبر صاحبه به وإلا حرم عليه أخذه قوله وإلا فلا يأخذه) صرح بهذا المفهوم لأنه مفهوم غير شرط ولأن عدم ندب أخذه لا يقتضى النهى مع أن المراد الكراهه وليفرع عليه قوله فإن أخذه الخ قوله أى يكره له أخذه) أى لاحتياجه للإنشاد والتعريف فيخشى أن يصل لعلم السلطان فيأخذه... .

وجاء فى تاريخ اليعقوبى (1) وغيره عند ذكر سريه بسر الذى بعثه الصحابى معاويه الذى نوبته بعد نوبه على عليه السلام ليقتل كل من بلغ الحلم إلى الشيوخ فى المدينه بعد التحكيم فقدم المدينه وعليها أبو أيوب الأنصارى فتنحى عنها ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال يا أهل المدينه مثل السوء لكم قريه كانت آمنه مطمئنه يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا لمثل وجعلكم أهله شاهت الوجوه ثم ما زال يشتمهم حتى نزل قال فانطلق جابر بن عبد الله الأنصارى إلى أم سلمه زوج النبى صلوات الله تعالى عليه وآله فقال إنى قد خشيت أن أقتل وهذه بيعه ضلال قالت: أنا أعلم أنها بيعه ضلال فاذهب وبايع فإن التقيه حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم... .

وفى الفتاوى الكبرى ابن تيميه (2) قال:

قلت: هذه الفتيا كتبت هى وجوابها فى فتنه ابن القشيرى لما قدم بغداد فإن ملك بغداد محمود ابن سبكتكين كان قد أمر فى مملكته بلعن أهل البدع على المنابر فلعنوا وذكر فيهم الأشعريه وكذلك جرى فى أول مملكه السلاجقه التركى وكان الذين سعوا فى إدخالهم فى اللعنه فيهم من سكان تلك البلاد من الحنفيه الكراميه وغيرهم ومن أهل الحديث طوائف وجواب الدامغانى جواب مطلق فيه رضى هؤلاء وهؤلاء فإنه أجاب بأنه من أقدم على لعنه فرقه من المسلمين وتكفيرهم فقد ابتدع وفعل ما لا يجوز وهذا

1- (1) . تاريخ اليعقوبى،197/2- وراجع: الاستيعاب ابن عبد البر162/1- التمهيد ابن عبد البر355/16- المنتظم (حتى752ه-) ابن الجوزى162/5- تاريخ الطبرى139/5و80/6- معالم الفتن سعيد أيوب143/2- البدايه والنهايه322/7- شرح النهج لابن أبى الحديد10/2- التاريخ الصغير (الأوسط) البخارى115/1- الكامل ابن الأثير250/3-كنزالعمال للمتقى الهندى310/5-

معالم الفتن سعيد أيوب142/2- الخدعه صالح الوردانى83) ثم تمعن فى قول أم المؤمنين أم سلمه عليها الرحمه والرضوان حيث قالت: أنا أعلم أن هذه البيعه أى بيعه معاويه بيعه ضلاله، فبأى قول تعمل إن كنت تعمل بأقوال أمهات المؤمنين فلماذا تتبع واحده دون أخرى أو غير ذلک فماذا تقول فيمن تسبب فى قتل المسلمين فى حرب الجمل... فالمسأله مسأله دين.. لا تشكل ببيعه الإمام الحسن السبط عليه السلام لأن الضلاله من جهه الغاصب وأما المغصوب حقه ففعله تقيه ليس غير وذلک حفظاً لدماء المؤمنين.. وإن أردت المزيد من أفعال بسر فراجع ملحق المصادر تحت عنوان بسر بن أرطاه ص219 وكذلک من يرتبط اسمه وفعله به كسمره بن جندب ص317 ومعاويه بن خديج وأشباههم.
2- (2) . الفتاوى الكبرى، 287/5.

مما لا ينازع فيه أحد أنه من كان من المسلمين لا يجوز تكفيره إذ المكفر لشخص أو طائفه لا يقول إنهم من المسلمين ويكفرهم بل يقول: ليسوا بمسلمين... .

قال صاحب مدافع الفقهاء: (1)

الفقهاء ويزيد بن معاويه: يروى البخارى فى كتاب المغازى أن معاويه خطب فى الناس يطلب البيعه لولده يزيد من بعده فبلغ الخبر ابن عمر فدخل على حفصه أخته فقال لها: قد كان من الأمر ما ترين. فلم يجعل لى من الأمر شىء، فقالت: الحق فإنهم ينتظرونک. وأخشى أن يكون فى احتباسک عنهم فرقه، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاويه فقال: من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه. فلنحن أحق به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمه لابن عمر: فهلا أجبته؟ قال ابن عمر: فحللت حبوتى. وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منک من قاتلک وأباک على الإسلام. فخشيت أن أقول كلمه تفرق بين الجمع وتسفک الدم وتحمل عنى غير ذلک، فذكرت ما أعد الله فى الجنان. فقال له حبيب: حفظت وعصمت.

وقال صالح الوردانى: (2)

علمه بحقيقه معاويه ومكانته المهزوزه فى قلوب المسلمين وهو ما يتضح من قوله: أحق بهذا الأمر منک من قاتلک وأباک على الإسلام، لم يتراجع عن بيعته ولا عن بيعه ولده يزيد... وحين ثار أهل المدينه على يزيد وخلعوه وأطاحوا بواليه فيها جمع ابن عمر حشمه وولده وقال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول [نقله البخارى فى كتاب الفتن]: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامه، وإنا قد بايعنا هذا الرجل - يزيد - على بيع الله ورسوله. وإنى لا أعلم غدرا أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال، وأنى لا أعلم أحدا منكم خلعه ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفيصل بينى وبينه.

وفى المدهش قال ابن الجوزى: (3) «كان بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون فتبعه مريد فقال له والله ما أبرح حتى تكلمنى بشىء ينفعنى فإنى قد عرفت تسترک فسجد وجعل يقول فى سجوده اللهم سترک فمات».

من يدارى ممن

جميعنا يعلم بما جرى فى أحداث وفاه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله والسقيفه ونقل لنا

ص:93

1- (1) . مدافع الفقهاء، 11.
2- (2) . مدافع الفقهاء 12، وعلى كل حال إذا كانت بيعه يزيد على بيعه الله ورسوله فعلينا السلام. ولكن هل تدري لماذا ردد كلامه السابق مع حبيب بن مسلمه ضد معاويه ولم يفعل شيئاً الآن مع يزيد؟ فمن الأولى أن يرد بيعه يزيد!! فلماذا بايع وأمر بالبيعه؟ الله تعالى أعلم، ولماذا تخلف عن بيعه على راجع ملحق المصادر ص219... .
3- (3) . المدهش، 239، فهذا إما تقيه أو كتمان فهل يكون حكمه حكم من يكتم؟ أو أن ابن الجوزى غير صادق.

التاريخ أجزاء منها هنا وهناک فی مطاوی الکتب أنقل منها ما جاء عن ابن تیمیه فیما ذکره عمر بن الخطاب عن نفسه. فهذا عمر یداری ممن؟ من أبی بکر من أجل کلمتین یرید أن یقولهما أمام الناس فهل یحکم ابن تیمیه بالنفاق علی کل من داری؟ أم مداراه قوم کفر ونفاق ومداراه غیرهم إیمان؟ أترک الجواب إلی المنصفین فقط... .

وإلیک ما ذُکِرَ: (ولما توفی رسول الله صلی الله علیه [وآله] وسلم کان هو الذی خطب الناس وخطب یوم السقیفه خطبه بلیغه انتفع بها الحاضرون کلهم حتی قال عمر: کنت قد زورت فی نفسی مقاله أعجبتنی أرید أن أقدمها بین یدی أبی بکر وکنت أداری منه بعض الحد فلما أردت أن أتکلم قال: أبو بکر علی رسلک فکرهت أن أغضبه فتکلم أبو بکر وکان أحلم منی وأوقر و الله ما ترک من کلمه اعجبتنی فی تزویری إلا قال فی بدیهته مثلها أو أفضل منها). (1)

ومما نقل عن هذه الواقعه التی زوّر بها عمر مقالته أنّها کانت فی لحظاتٍ شدیدهٍ علیه وعلی أتباعه نقلاً عن أنس حیث نقل ذلک ابن تیمیه فی المصدر المذکور: (وقال أنس: خطبنا أبو بکر رضی الله عنه ونحن کالثعالب فما زال یثبتنا حتی صرنا کالأسود).

والسؤال الذی یطرح نفسه أنه کیف کانوا ثعالب ثم کیف صاروا أسودا؟ ولماذا هذه الثعلبه والأسأده؟ وعلی من کان ذلک؟ هل علی بیت فاطمه صلوات الله تعالی علیها؟ أم علی هذا البیت ومن امتنع عن البیعه؟ هذا الأمر متروک للبحث الذی سیقوم به القارئ إن کان ممن یحب أن یعرف المأساه التی حلت بهذا البیت الشریف بعد غیاب النبی الأکرم صلوات الله تعالی علیه وآله. وعلی کل حال من خلال تصریح أنس بهذا الکلام نستشفُّ أن الموقف فی ذلک الیوم من هذه الجماعه موقف مداراه لیس غیر فتأمل.

للصحابه جمیعاً تقیه مع عمر

حیث نقلت لنا کتب العامه والخاصه أن طلحه بن عبید الله تکلم فی شأن تولیه أبی بکر عمرَ أمر المسلمین فقد جاء فی کتب القوم: (2) أن الصحابه قد وجهوا اللوم لأبی بکر علی تعیینه

1- (1) . ورد هذا فى منهاج السنه النبويه ابن تيميه52/8. كما ورد ذلک فى هذه المصادر: (الفصل للوصل المدرج الخطيب البغدادى491/1- الرياض النضره الطبرى203/2-المنتظم (حتى752ه-) ابن الجوزى65/4-تاريخ الخلفاء السيوطى ص67-الفائق الزمخشرى131/2-الصواعق المحرقه32/1). والمطروح أن عمر زور مقاله ليقولها ثم لم يقلها ففعل غير ما أضمر فى قلبه.
2- (2) . والمصادر التى تحدثت عن ذلک أذكر منها: (شرح النهج لابن أبى الحديد 164/1 و 13/11/343/6 و 220/171/17 و

عمر من بعده فقالوا له - والقائل طلحه - : «و لهذا لما استخلفه أبو بكر كره خلافته طائفه حتى قال طلحه: ماذا تقول لربک إذا وليت علينا فظا غليظا». على أنه لم يجرؤ أحد أن يتكلّم عليه والنطق بذلک إبان فتره حكمه... فماذا يقال عن هؤلاء الصحابه أكانوا قد لبسوا ثوب النفاق؟

موقف لعمرو بن العاص

ممن نقله ابن أبى الحديد فى شرحه للنهج 1 قائلاً: (عن ابن عباس، قال: تعرض عمرو بن العاص لعلى عليه السلام يوما من أيام صفين، وظن أنه يطمع منه فى غره فيصيبه، فحمل عليه على عليه السلام فلما كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه وشغر برجله، فبدت عورته، فصرف عليه السلام وجهه عنه، وقام معفراً بالتراب، هارباً على رجليه، معتصماً بصفوفه. فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين، أفلت الرجل! فقال أتدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: فإنه عمرو بن العاص، تلقانى بسوءته، فصرفت وجهى عنه، ورجع عمرو إلى معاويه، فقال: ما صنعت يا أبا عبد الله؟ فقال: لقينى على فصرعنى، قال: أحمد الله وعورتک، و الله إنى لاظنک لو عرفته لما أقحمت عليه، وقال معاويه فى ذلک:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبنى على تركى برازى

فقد لاقى أبا حسن عليا فآب الوائلى مآب خازى

فلو لم يبد عورته لطارت بمهجته قوادم أى بازى

فإن تكن المنيه أخطأته فقد غنى بها أهل الحجاز!

فغضب عمرو وقال:ما أشد تعظيمک أبا تراب فى أمرى هل أنا إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه أفترى السماء قاطره لذلک دماً؟ قال: لا ولكنها معقبه لک خزيا.

وفى البدايه والنهايه ابن كثير: 2 (وقد فعل ذلک على رضى الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبى أرطاه لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه. وكذلک فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع على أيضا. ففى ذلک يقول الحارث بن النضر:

أفى كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجه باديه

يكف لها عنه على سنانه ويضحک منها فى الخلاء معاويه

وعن المناقب - للموفق الخوارزمى: (1) (فحمل عليه أمير المؤمنين على عليه السلام وعمرو لا يشعر به، فطعنه وصرعه وبدت عورته، فصرف على عليه السلام وجهه فانسل عنه عمرو، قيل لعلى فى ذلک فقال إنه ابن العاص تلقانى بعورته فصرفت وجهى عنه. وروى أن علياً حمل عليه بسيفه وقال: خذها يا ابن النابغه فسقط عن فرسه وأبدى عورته، فقال له على: يا بن النابغه أنت طليق دبرک أيام عمرک، وعذله معاويه وقال: ما هذه الفضيحه التى فضحت بها نفسک؟ فقال عمرو لمعاويه: يا أبا عبد الرحمن من يتعرض لبلاء نفسه لا طاقه لى بعلى ولا لک ولا للوليد ولا لأحد من جموعنا، وان لم تصدقنى فجرب وقد دعاک مراراً إلى البراز ولا تبرز إليه وقال عمرو فى ذلک:

يذكرنِي الوليد شجى على وصدر المرء يملاه الوعيد

متى تذكر مشاهده قريش يطر من خوفه القلب الشديد

فاما فى اللقاء فأين منه معاويه بن حرب والوليد

وعيرنى الوليد بقاء ليث إذا ما زار هابته الاسود

لقيت - ولست أجهله - علياً وقد بلت من العرق اللبود

فاطعنه ويطعننى خلاسا وماذا بعد طعنته مزيد

فرمها منه يا بن أبى معيط فانت الفارس البطل النجيد

واقسم لو سمعت ندا علىٍّ لطار القلب وانتفخ الوريد

ولو لا قيته شقت جيوب عليک ولطمت فيک الخدود

وقال معاويه يا عمرو: ولو عرفت عليا ما أقحمت عليه. وقال معاويه فى ذلک:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبنى على تركى برازى

1- (1) . المناقب، ص236.

فقد لاقى أباحسن عليا فآب الوائلى مآب خازى

ولو لم يبد عورته لاودى به ليث يذلل كل نازى

له كف كأن براحتيها منايا القوم تخطف خطف بازى

فان تكن المنيه أحرزته فقد عنى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو، وقال: هل هو إلاّ رجل لقيه ابن عمه فصرعه، أترى السماء قاطره لذلک دماً...أه؟

وكذا جاء أنّ علياً صلوات الله تعالى عليه ارتجز قائلاً:

أنّى على فسلونى تخبروا سيفى حسام وسنانى أزهر

منا النبى الطاهر المطهر وحمزه الخير وصنوى جعفر

له جناح فى الجنان أخضر ذا أسد الله وفيه مفخر

هذا الهزبر وابن هند مجحر مطرد مذبذب مؤخر

فاستقبله بسر قريباً من التل فطعنه على عليه السلام ولم يعرف أنّه بسر، فانحنى سيفه فدفعه بيده فصرعه على وجهه وانكشفت عورته فانصرف عنه على، فناداه الأشتر: يا أمير المؤمنين إنّه بسر، فقال: دعه لعنه الله فحمل ابن عم بسر على على عليه السلام وهو يقول:

أرديت بسراً والغلام ثائره أرديت شيخاً غاب عنه ناصره

فحمل عليه الأشتر وهو يقول:

أكل يوم رجل شيخ شاغره وعوره وسط العجاج ظاهره

تبرزها طعنه كف واتره عمرو وبسر رميا بالفاقره

وطعنه الأشتر فكسر صلبه، قام بسر من ضربه على عليه السلام وولت خيله وناداه أمير المؤمنين على عليه السلام : يا بسراً... معاويه كان أحق

بهذا منک، فرجع بسر إلی معاویه، فقال له معاویه: ارفع طرفک فقد أدال الله عمراً منک، فقال فی ذلک النضر بن الحارث:

أفِی کل یوم فارس تندبونه له عوره وسط العجاجه بادیه

یکف بها عنه علیٌّ سنانه ویضحک منها فِی الخلاء معاویه

بدت أمس من عمرو فقنع رأسه وعوره بسر مثلها فرج جاریه

ص:97

فقولا لعمرو وابن أرطأه أبصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه

ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما كما كانتا والله للنفس واقيه

فلولاهما لم تنجوا من سنانه وتلک بما فيها عن العود ناهيه

متى تلقيا الخيل المشيحه صبحه وفيها على فاتركا الخيل ناحيه

وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا وحمى الوغى إنّ التجارب كافيه

وإن كان منه بعد فِى النفس حاجه فعودا إلى ما شئتما هى ماهيه

وكان بسر بعد ذلک إذا لقى الخيل التى فيها على عليه السلام تنحى ناحيه عنه. وفى النصائح الكافيه محمد بن عقيل. (1) وقد أشار الإمام على عليه السلام بقوله: يمنح القوم سبته إلى مكيده عمرو بكشف عورته فراراً من القتل، فقد ذكر المدائنى، وابن الكلبى، وغيرهما من أهل السير أنّ علياً كرم الله وجهه حمل على عمرو فى بعض أيام صفين، فلما تصوّر أنّه قاتله ألقى بنفسه عن فرسه وكشف سوءته مواجهاً له عليه السلام ، فلما رأى ذلک منه غض بصره عنه، وانصرف عمرو مكشوف العوره ونجا بذلک، فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروهاً بارتكاب المذله والعار وفيه يقول أبو فراس:

ولا خير فِى ردِّ الردى بمذله كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وروى مثل ذلک قصّه بسر بن أرطأه (2) معه كرم الله وجهه، فإنّه حمل على بسر فسقط بسر على قفاه، ورفع رجليه فانكشف عورته فصرف على عليه السلام وجهه عنه، فلمّا قام سقطت البيضه عن رأسه فصاح أصحابه: يا أمير المؤمنين إنّه بسر بن أرطأه، فقال: ذروه لعنه الله، فلقد كان معاويه أولى بذلک منه. فضحک معاويه، وقال: لا عليک يا بسر أرفع طرفک ولا تستحى فلک بعمرو أسوه، وقد أراک الله منه ما أراه منک، فصاح فتى من أهل الشام أما تستحيون، لقد علمكم عمرو كشف الاستأه ثم أنشد: إلخ... .

وعلى كل حال فهذا الفعل لا يدخل تحت عنوان التقيه جزماً، بل حتى تحت عنوان قاعده أخف الضررين، التى سيأتى الكلام عنها فى محله - إن شاء الله تعالى - وأوردته ليُعَلَمَ أن التقيه حكم شرعى وكشف العورات حرام.

1- (1) . النصائح الكافيه، ص74.
2- (2) . الاستيعاب، ابن عبد البر،1، /165-166- السيف والسياسه، صالح الوردانى، ص132- السيره الحلبيه، 498/2- الروض الأنف، أبو محمد المعارفى المدخله، 257/3.

من موارد التقيه

من موارد التقيه، عدم هدم قبور النبى (صلوات الله تعالى عليه وآله) ومن دفن معه، وإلاّ فما الفرق بين هذا القبر أو ذاک؟

ومن مواردها أنّه جرت مناظره بين اثنين من منكرى التقيه من جهه، ومع الدكتور عبد الحميد النجدى - أستاذ فى جامعه إسلاميه فى لندن، والدكتور التيجانى - باحث تحول إلى التشيع -، فى إحدى القنوات التلفزيونيه الفضائيه، حيث استدل الدكتور التيجانى بمقطع أقره الأزهر كان على شكل قطعه فنيه - تمثيليه - فتخلل هذا المقطع مقعطاً موسيقياً، وما إن تمَّ تشغيل جهاز التسجيل من قبل الدكتور التيجانى، وسمع مناظراه صوت الموسيقى رفعا أياديهما وأخذا يناديان بحرمه سماع هذا المقطع، ولا أظن أن أحدهما يفعل هذا الفعل مع أحد حراس بيت رأس الدوله، التى ينتمى إليها أحدهما، بل حتى مع الشرطى الذى يقف بباب الإذاعه. وكفى بذلک تقيه... مع العلم بأن رأس الدوله مسلماً من نفس مذهبه... .

محاكاه وحوار مع الأدله

من خلال التعرض لما نقلت من أدله القوم - بشكل عام - على المداراه والتقيه من تفسير الآيات القرآنيه الشريفه الخاصّه بالمقام ومتون الروايات، التى نقلتها مصادرهم وسنه الصحابه، التى يعتمدونها كمنبع للاستنباط وأقوال وأفعال التابعين وأقوال الفقهاء، فالكلام الآن يقع فى البحث الدلالى من مجموع ما تقدّم من الأدله تتضح الأمور التاليه:

أولاً: أنّهم قد جمعوا بين التقيه والمداراه، حتى كأنّه يفهم أن بينهما ترادف، وما ينفعنا فى المقام أنّ التقيه عندهم أوسع وأشمل نطاقاً ممّا نذهب نحن إليه من الفصل بينهما، ولكلٍّ عندنا دليله الخاصّ به التأكيد على استخدام المداراه أو التقيه، وتتضح الثمره فى كون المداراه سلوک خلقى تربوى محض لتنقيه المجتمع لو خالفها المكلف يحاسب بالعنوان الثانوى، وأمّا التقيه فمسأله فقهيه حساب المكلف المخالف لها يكون بالعنوان الأولى، وكما سيأتى، وإن اتحدا هدفاً وغايه كما سيتضح إن شاء الله تعالى.

ثانياً: من خلال قراءه الأدله السابقه يستشف منها موارد للاستحباب وكذا يمكن اقتناص الوجوب.

ثالثاً: عدم وجود دليل على كونها خاصّه باللسان، كما نقلوه عن ابن عباس، بل هى

ص:99

مترشحه على الفعل أيضاً، وفقاً لما جاء فى الدليل الثالث من الروايات. وليست كذباً كما قال ابن تيميه: (1) (والتقاه ليست بأن أكذب وأقول بلسانى ما ليس فى قلبى، فإنّ هذا نفاق...) فهذا أول الكلام، وخلاف ما جاء فى الأدله السابقه.

رابعاً: أما البحث السندى فاعتقد أنّه لا حاجه له فى المقام بعد ورود روايه البخارى، وإنّما تكتسب الروايات الضعيفه بذلک قوه. بل قد يكون ذلک سبباً فى القطع بالصدور. ثم إنّ ما نقلته يكفى فى أنّها موضع اتفاق كافه المذاهب، فإنّ ما جاء سابقاً ليست مجرد روايات فى كتاب، إنمّا سيره للصحابه والتابعين والفقهاء.

خامساً: ممّا تقدم لم يعثر على المعارض لهذه الأدله، فينتهى إلى ما وصل إليه هذا الجمع منه بخصوصها.

سادساً: إذا وصل الحد إلى هتک حرمات المؤمنين، أو المداهنه لا تشرع التقيه أو المداراه.

وبعد هذا العرض الذى قدمته من كتب أتباع المذاهب تبين أن التقيه، التى عندهم تستخدم فى كل شىء، حتى إذا أراد أن يتكلم من كان متفقاً عليه بين مجموعه معينه أن يكون هو الخليفه المعين من قبل، وهذا الكم الكبير من المصادر يكفى بأنّ التقيه مشروعه عند الجميع.

نعم إذا حصل تلاعب بالألفاظ وقيل إن التقيه غير المداراه فلا بأس ولكن مع كل هذا يبقى أصل التعامل ينصب فى مجرى واحد إذا لم نقل بتوسع عندهم، أو عندنا التقيه وعندهم المداراه فلا يشكل على أحد دون أحد.

تحليل حال

فى الحقيقه كلما تأملت فى ما قام به المتشددون فى إجبار الناس على التلفظ بكلمه، فإنّهم بهذا الفعل، كما قال الله تعالى: وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ (البقره:من الآيه9)، لأنّهم من سوء تفكيرهم وضحالَه وسخافه عقولهم يطلبون كلمه أو فعلاً يريحون به أنفسهم؛ لأن هذا المطلوب إنّما يقوم به الشخص المعنى هو فى الظاهر فقط ولا علاقه للباطن به، ففى الحقيقه إنّ من يحارب الحق وأهله هو الذى يخدع نفسه؛ لأنّه يعلم أنّه لا يستطيع أن يدخل أعماق هذا المؤمن ويغير من عقيدته شيئاً.

1- (1) . منهاج السنه 423/6.

وهذا الكلام نفسه يقال فى حق من لا يتسع صدره للآخرين، ولا يهمه مخالفه من خالف.

ومن مثل على صلوات الله تعالى عليه؟

يا رب هذا الغسق الدجى والفلق المبتلج المضى

بين لنا عن أمرک المقضى بما نسمى ذلک الصبى

خصصتما بالولد الزكى والطاهر المنتجب الرضى

وإسمه من قاهر على على اشتق من العلى

ص:101

4. الإجازه بالكذب

اشاره

هذا الفصل خاصّ بمسأله إجازه الكذب فی مواضع حددها الشارع المقدّس لظروف استثنائیه، ولو لم یکن ذلک ما نجا من أحد، وإنّ ذلک فی الحقیقه من ألطاف الله تعالی علینا. فقد جاء فی الأثر عنه (صلوات الله تعالی علیه وآله) کما نقل فی الفتاوی الکبری لابن تیمیه: (1) سمعت رسول الله صلی الله علیه [وآله] وسلم یقول: (لیس الکذاب الذی یصلح بین الناس فینمی خیراً أو یقول خیراً) متفق علیه، وفی روایه لمسلم: (ولم یرخص فی شیء ممّا یقول الناس إلاّ فی ثلاث یعنی الحرب والإصلاح بین الناس، وحدیث الرجل امرأته وحدیث المرأه زوجها) (2) فی روایه له: قال الزهری: ولم أسمع یرخص فی شیء ممّا یقول الناس أنّه کذب إلاّ فی ثلاث، وعن أسماء بنت یزید بن السکن، أن النبی صلی الله علیه [وآله] وسلم خطب الناس فقال:

أیّها الناس ما یحملکم علی أن تتابعوا فی الکذب کما یتتابع الفراش؟ کل الکذب یکتب علی ابن آدم إلاّ ثلاث خصال: رجل کذب أمرأته لیرضیها، ورجل کذب بین امرأین لیصلح بینهما، ورجل کذب فی خدعه حرب.

رواه الترمذی بنحوه ولفظه: (لا یحل الکذب إلا فی ثلاث) وقال: حدیث حسن ویروی - أیضاً - عن ثوبان موقوفاً ومرفوعاً: الکذب کله إثم إلاّ ما ینفع به المسلم أو دفع به عن دین فلم یرخص فیما تسمیه الناس کذباً، وإن کان صدقاً فی العباره، ولهذا لما قال النبی صلی الله علیه [وآله] وسلم: لم یکذب إبراهیم إلاّ ثلاث کذبات، قوله لساره: أختی، وقوله: بل فعله

1- (1) . الفتاوی الکبری، 191/3.
2- (2) . کما لو قال الزوج لها: أنت أجمل النساء، والواقع لیس کذلک.

كبيرهم، هذا وقوله إنى سقيم والثلاث معاريض وملاحه فإنّه قصد باللفظ ما يطابقه فى عبارته لكن لما أفهم المخاطب ما لا يطابقه سمى كذباً، ثم هذا الضرب قد ضيق فيه كما ترى. يؤيد هذا التفسير ما روى مالک، عن صفوان بن سليم: أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:

«أكذب امرأتى فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم...إلخ».

وقد جاء فى مداراه الناس لابن أبى الدنيا، (1) وغيره نقلاً عن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله كان يقول:

«لا أعده كذباً، أو لا أعده كاذباً، أو ليس بالكاذب، وذكر الموارد، وممّا نقل عنه كمثال: (2) [حدثنا أحمد بن جميل أخبرنا عبد الله بن المبارک أخبرنا يونس...عن الزهرى أخبرنا حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أمه وهى أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط، أخبرته أنّها سمعت رسول الله يقول: «ليس الكاذب الذى يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمى خيرا» قال ابن شهاب: «ولم أسمع يرخص فيما يقول الناس كذب إلاّ فى ثلاث: الإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأه زوجها. حدثنا داود بن عمرو الضبى حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، أن رسول الله خطب الناس فقال:

«كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال رجل كذب امرأته ليرضيها ورجل كذب بين امرأين ليصلح بينهما ورجل كذب فى خديعه الحرب...» .

وممّا تقدم يتضح أن الكذب الشرعى أخص من الكذب اللغوى، فلا ترض أن يخلطوا عليک الأمر وتستخدمهما فى معنى واحد مع الأنبياء.

وقفه عند أبى الأنبياء: عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاه والسلام أنّه جاء فى معاريضه عن البخارى ومسلم وغيرهما: أنّه لم يكذب [وحاشاه من الكذب] إلاّ ثلاث كذبات، وقالوا: إن ثنتين منهن فى ذات الله، والثالثه فى ساره، وإنّها كانت معاريض، وقد كان مأموراً بها، وكانت

1- (1) . مداراه الناس، ص131- 133.

2- (2) . راجع [الفتاوى الكبرى ابن تيميه، 192/3- منهاج السنه النبويه ابن تيميه، 428/2- مجموع الفتاوى ابن تيميه، 224/28- مداراه الناس إبن أبى الدنيا، ص132- الصمت ابن أبى الدنيا، ص245- الجامع للأزدى، 162/2- معتصر المختصر أبوالمحاسن، 242/2- مسند الشاميين الطبرانى، 205/1- جزء الألف دينار لأبى بكر القطيعى، ص483- كتاب العيال لابن أبى الدنيا، 774/2- الأدب المفرد للبخارى، ص139-الإحياء للغزالى، 137/3- الفصل للوصل المدرج للخطيب البغدادى، 260/1 وحتى، ص271- تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى، 51/3- كنز العمال للمتقى الهندى، 486/3].

منه طاعه لله، والمعاريض قد تسمى كذباً. (1) إلاّ أنّه قد تكلم فى ذلک صاحب صحيح شرح العقيده الطحاويه حسن بن على السقاف: (2) «وحديث أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات، آحاد معارض للآيه، ويمكن تأويله أن ذلک فى حاله الاضطرار».

مخالفه روايتى البخارى ومسلم للقرآن

علماً أن هاتين الروايتين مخالفتان للقرآن الكريم مخالفه صريحه لا تقبل النقاش والتأويل، كما أوردها البخارى ومسلم، فكيف يصح الكتابان بعد ذلک و الله لا أعلم !!!

جاء فى البخارى (3) أنه:

لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِى ذَاتِ الله تعالى قَوْلُهُ: (إِنِّى سَقِيمٌ)، وَقَوْلُهُ: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَهِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَهٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِى فَأَتَى سَارَهَ قَالَ يَا سَارَهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِى وَغَيْرَكِ... .

فوقع فى مخالفه صريحه للآيتين الكريمتين من قوله تعالى: فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ (العنكبوت:من الآيه26)، و فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (الذريات: 35)، فخفيتا عليه نصره لخليل الرحمن. وقد التفت مسلم إلى هذه المخالفه كما التفت غيره لها وهو صاحب عون المعبود محمد آبادى، (4) فأبدل مسلم لفظ (ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى و غيرک) بلفظ آخر

1- (1) . الفتاوى الكبرى ابن تيميه، 191/3- درء التعارض ابن تيميه، 141/4- منهاج السنه النبويه ابن تيميه، 428/2- مجموع الفتاوى ابن تيميه، 334/3و342/6و159/19- الرد على البكرى ابن تيميه، 708/2و724- كرامات الأولياء اللالكائى، ص88- مسند ابن المبارک، ص63- تعظيم قدر الصلاه المروزى، 228/1و273- مسند الحارث (زوائد الهيثمى)، 1011/2- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا450/3- العلل الوارده فى الأحاديث النبويه الدارقطنى8 /106- فضائل الصحابه النسائى ص80- تفسير ابن كثير14/4- تفسير البيضاوى168/1و99/4- الجامع الصحيح المختصر البخارى ص1746- البرهان فى علوم القرآن الزركشى88/2- تفسير أبى

السعود42/1- تفسير البغوى249/3- سنن الترمذى (الجزء الخاص فى التفسير) ص308- السيره الحلبيه387/2- الخصائص الكبرى السيوطى381/2و415- التنبيه والرد على أهل الأهواء أبى الحسين محمد الملطى ص94- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثاله الأغب إبن حميرص92و95- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى العقيده ابن تيميه334/3و342/6- شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبد الله ص392- الفصل فى الملل ابن حزم5/4- تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى138/4- كنز العمال للمتقى الهندى283/11و199/14و200و317- زياده الجامع الصغير للإمام السيوطى113و114و282.

2- (2) . صحيح شرح العقيده الطحاويه، ص403.

3- (3) . كتاب أحاديث الأنبياء112/4ح3108.

4- (4) . 213/6، فأشكل عليه بأن لوطاً عليه السلام كان معه لكن رجع ودافع عنه والدفع مردود بما ذكرت.

وهو: (1) (فإنى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرى و غيراك) . فوقع الآخر مع ذلک فى مخالفه قوله تعالى: فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (الذريات: 35و36) الذى خفى عليه، فأى صحيح يخالف القرآن الكريم.

ومن الطبيعى جداً يسهل الحكم على عدم صحه الكتابين بعد معرفه الخلل، ولكن سيحاول المدافعون عن صحتيهما التبرير بأعذار واهيه، وأقول: لماذا لا يكون المدافع شجاعاً ويعترف بالخطأ؟ أيهون كتاب الله، وكذلک أحد أنبياء أولى العزم، وخليل الرحمن على البخارى ومسلم وعليک؟ علماً إنّه لم يعين أرض الطاغيه بتعيين ما، ولكنه عليه وعلى نبينا وآلهما أفضل الصلوات والسلام قال كما زعموا:

«فَإِنِّى لَا أَعْلَمُ فِى الْأَرْضِ». (2)

وما يمكن الحديث عنه هنا أنّه إذا رُخصَّ فى الكذب أو استثنى منه موارد بعينها كما علمت، فالتقيه (3) إنما شرعت لحفظ دم المسلم وماله وعرضه، وعلى ما مرّ سابقاً من أن عنوان الظالم عنوان عام يشمل الفرد من عامه الناس، أم من الفقهاء من القضاه، أم من الحكام والسلاطين من أى طائفه من المسلمين - لأن كل من يهتک حرمات المسلم الثلاث المتقدمه من دون مسوغ فهو ظالم - جاز استخدامها حينئذٍ. ولا أتصور هدفاً نبيلاً مهماً عند الله تعالى وعند رسوله صلوات الله تعالى عليه وآله والمؤمنين أسمى من حفظ النفس والعرض والمال، وبالتالى حفظ المجتمع من التآكل، وممّا تقدم يتضح للقارئ مدى التشويه الذى تعرض له هذا المبدأ، وذلک من خلال الفهم الخاطئ مع الأسف الشديد.

الواقع

هذه توريه ليس غير، فإنّه عليه وعلى نبينا وآلهما أفضل الصلوات والسلام أخبر بواقع هذا الطاغيه لا يفهمه، فأين الكذب؟ والحقّ علينا أن نتأدب عندما نذكر أنبياء الله تعالى ورسله و إلاّ فما هو فرقنا عن الكفره حينئذٍ؟ وهل يتجرأ أحد أن يقول نفس الكلام مع أحد الصحابه، فما لكم كيف تحكمون؟

1- (1) . كتاب الفضائل مسلم،7/98ح4371.

2- (2) . من الطبيعى أن بحث المخالفه بحث عارض فانتبه والبحث الأساس فى إباحه التوريه أو الإخبار بخلاف الواقع عندالاضطرار.
3- (3) . هذا على قبول كون ما صدر عن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وآلهما أفضل الصلاه والسلام هو الكذب الشرعى لا الأعم، وهو النظر فى المطابقه للواقع وعدمها، فتأمل!

5. التقيه عندنا

اشاره

ورد كل من الكتمان والتقيه والمداراه فى كتبنا، كل تحت عنوانه وبنفس درجه التأكيد التى عند القوم؛ وذلک فى أمهات كتبنا للحفاظ على المؤمن من جهه، وكذلک هذا المجتمع الذى أسسه نبى الرحمه صلى الله عليه و آله إلى أن يأتى القائم المؤمل عجل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره والمستشهدين بين يديه ليقَوِّمَ الأود وينتهى الظلم الذى تسلط على البشريه - إن شاء الله تعالى.

ولا أتصور أن يتطلب هذا البحث الإتيان بتلک الأدله المذكوره فى كتبنا الغراء، فإنّ أصل الاعتراض قائم علينا من خلال اطلاع المنكرين على أدلتنا وما ورد فيها من نصوص تحث عليها. نعم قد نحتاج إلى مرور سريع لعرض الشرائط الواجب توفرها فى متعلق التقيه وهو فى البحث الآتى.

شرائط العمل بها:

للعمل بها وضع الشارع المقدس نظاماً خاصاً بها على نحو القاعده الكليه، ويبقى التطبيق وتعيين الموضوعات من واجب المكلف ووظيفته. على أنه يمكن إجمالها بما يلحق الضرر بالنفس أو العرض أو المال، ولو أمكن التمويه على الطرف المقابل بأن يشعره أنه يقوم بفعل يوافق ما يتبناه ذلک الطرف لم تشرع التقيه، ولتأكيد ما ذكرت راجع المسائل (1) فى الرساله العمليه ک- (منهج الصالحين للسيد الشهيد الثانى محمد صادق الصدر أعلى الله مقامه). وجاء فى البحار: (2) عن أبى جعفر عليه السلام قال:

«إنما جعلت التقيه ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقيه».

1- (1) . منهج الصالحين المسائل من(114- 118).
2- (2) . البحار، 399/72.

لو تصفحنا كتب الشيعه الفتوائيه - وهى التى يرجع إليها المكلف فى عباداته ومعاملاته والتى تسمى أيضا بالرسائل العمليه - لا نجد باباً خاصاً بالتقيه، بل نجد أحكاماً معينه فى نقاط الخلاف على شكل مسائل. (1)

ومما يؤسف له أنّ هناک من يتصور أن الشيعه يرجعون إلى فتوى تقول: التقيه ديني ودين آبائى وأجدادى)، أخذا بها من كتب الحديث التى عندنا. والصحيح أنّ هذه الكتب يرجع إليها علماء الشيعه فى عمليه استنباط الأحكام الشرعيه، وذلک هو الخطأ الفادح الذى ارتكبه هؤلاء؛ لأنهم يتعاملون معنا وكأننا نملک الصحيحين، وأى شخص اذا أراد فتوى معينه يرجع إليهما ويجد ضالته هناک.

فالحق إذن أنّ علماء هذه المدرسه المباركه - أعلى الله تعالى مقامهم - يرجعون إلى هذا الحديث وما شابهه من قبيل الأصل الموضوع، يستفاد منه فى باب تعارض الأدله فيما إذا كانت روايتان أو أكثر من الروايات المعتبره بأى نحو من الاعتبار فى مسأله فقهيه أو عقائديه إحداهما موافقه للمذهب وأخرى مخالفه له مثلاً، فيتم حمل الموافقه للعامه على التقيه أو لكى يرى الظالم وقوع الخلاف بين الأتباع فيتركهم - كما سيأتى فى بحث لاحق من الروايات - للحفاظ على أتباع الإمام صلوات الله تعالى عليه هذا.

إنّ المنهج العلمى للتعامل مع فكر قوم أو طائفه يبدأ من فهم طرقهم وأسسهم وقواعدهم التى تم الاستناد عليها فى عمليه تشييد تراثهم الفكرى.

فإذا أردنا أنّ نتعامل مع أى ظاهره فى أى مجال علينا أن نبدأ فى حوارها ومحاكاتها من الجذر، وهذا هو الحوار المبنائى أو ننظر إلى تطبيقاتها، وهذا هو الحوار البنائى، عندها يكون أساس التعامل صحيحاً. وهذا هو المنهج العلمى الذى يفترض أن يتبعه من كان يريد أن يصل إلى نتيجه صحيحه.

ومثال الحوار المبنائى المناقشه فى المنهج المتبع فى الجرح والتعديل أو نظريه عداله الصحابه من رأس أو فى دعوى صحه البخارى ومسلم. وأخرى بنائياً فيكون النقض متناولاً ما

1- (1) . كما إنک لا تجد للقول بالتحريف أى أثر فى الرساله العمليه ما لو رجعت إلى باب القراءه فى كتاب الصلاه، فلو آمن الفقهاء بالتحريف لذكروا ما يجوز قراءته فى الصلاه وما لا يجوز... .

تم الوصول إليه من نتائج، فيما لو خالف البناء المبنى، ومثاله فيما لو تم تضعيف روايه أو راوٍ على غير القاعده مثلاً.

وهذا الأسلوب يفتقر إليه بعضٌ فى الحوار، ولا أدرى سبباً لذلک أهو ناشئ من قله التدبر أم التخليط على الآخرين فقط؟!

ومما يؤسف أنّ هؤلاء يتعاملون مع التراث الشيعى على أساس تعاملهم مع ما موجود عندهم من كتب أحاديث وروايه، كيف ذاک؟

وأكرر القول إنهم يتصورن أو يصورون أننا نتعامل مع كتبنا وكأنها صحيحه من الجلد إلى الجلد - البحار مثلاً أو غيره من كتب الحديث - ويصدقون هذا التصور، ثم يبدؤون بالنقض المتوهم، فما لم يفهم هذا الجانب - أننا لا نتعامل مع موسوعاتنا تعاملهم مع موسوعاتهم - لا يكون الحوار مجدياً معهم - أنفسهم - أما مواصلتنا الحوار لكى لا يفهم بعض أننا نقف أمام ما يتصور من إشكالات موقف المتحير.

والصحيح أنّ باب الاجتهاد مفتوح عندنا حتى فى علم الرجال، ولا يقتصر ذلک على بابى الفقه والأصول، فكل ما يدخل مرحله الاستنباط تناله يد الفقيه أو العالم من حيث السند والمتن بحثاً، وليس لأى أحد أن يأخذ فتواه من كتاب البحار أو الكافى، ومن يفعل ذلک كان عمله محكوماً بالبطلان، ومن أراد مزيد اطلاع فليبحث عن هذه المسأله فى باب التقليد من كل رساله عمليه لفقيه أو مرجع شيعىٍّ أصولىٍّ اثنى عشرى.

ص:109

ص:110

6. مغالطتان وجوابهما

اشاره

هناک مغالطتان يُتَخَيلُ أنهما من النقض علينا، ولكن بدورى سأجيب عليهما إن شاء الله تعالى بما يتيسر حلاً ونقضاً... .

المغالطه الأولى

قد يُدَّعى فيها أن قولنا: (التقيه دينى...)، فهذا معناه أنه لو أجبرک حاكم أو كافر أو ظالم أو غيرهم على أكل لحم الخنزير فيكون تفسير الحديث: (أكل لحم الخنزير دينى ودين آبائى وأجدادى) وهو إشكال ضعيف.

وجوابه أنه ليس كذلک والصحيح أن الموضوع يكون:

أكل لحم الخنزير - تقيةً أو خوفاً على نفسى من الهلاک - (هذا هو الموضوع)، وهذا الفعل من الدين (وهو المحمول)، فالتقيه والصوم والصلاه... إلخ هى من الفروع فيكون إنكارها إنكار للدين، فتكون القضيه المتشكله تمام موضوعها (أكل لحم الخنزير - تقيةً أو خوفاً من الهلاک لا مطلقاً - دينى...)، ولا محذور فى ذلک كما ذكرت، فيتضح محل المغالطه أين يكون، فالموضوع فى مدعى الإشكال غير موضوع الحكم الشرعى. وللتقريب أضرب لک مثالاً آخر فى البسكويت المصنوع على شكل خنزير، فلو قيل: هذا خنزير وأكل الخنزير حرام، فأكل هذا الخنزير - أى المصنوع من البسكت - حرام، ومعلوم أنّ هذا ليس بخنزير، بل هذه دميه خنزير.

ويشكل أيضاً بأنّ عندنا روايه فى البحار (1) تقول: «عن سليمان بن خالد قال:قال أبو عبد الله عليه السلام : يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»، وكتمان الدين نقض للغرض وقد توعد الله من يفعل ذلک فى القرآن الكريم باللعن، حيث قال تبارک وتعالى فى (البقره:159): إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِى الْكِتابِ أُولئِکَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ .

أقول: نحن لا ننكر مثل هذه الروايات كما أنه توجد غيرها، كما فى البحار. (2)

فيكون الأمر واضحاً من خلال أدنى تأمل لأولى الألباب إِنَّ فِى ذلِکَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ (قّ:37).

والجواب على ذلک: أننا نمنع الكبرى - فالموجبه الكليه تنتقض بسالبه جزئيه - فنقول: من أين للمستشكل إثبات أنّ كل كتمان هو نقض للغرض؟ فهذا أول الكلام... وننقض عليه بكتمان النبى صلوات الله تعالى عليه وآله والصحابه الأوائل أول الأمر حتى جاء أمر الله تعالى بالإذاعه: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنّا كَفَيْناکَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (الحجر:95،94).

ثم إنّ الله تعالى خيّر رسوله الكريم صلوات الله تعالى عليه وآله بين الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض عنهم، فقال العزيز الحكيم: سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُکَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوکَ شَيْئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (المائده:42)، وهناک أمر أخفاه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْکَ زَوْجَکَ وَ اتَّقِ اللّهَ وَ تُخْفِى فِى نَفْسِکَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ (الأحزاب:من الآيه37) فهل يحكم على هذا الموقف بالكتمان؟ وبصريح عباره إن التقيه كتمان ولكن ليس مطلقاً، بل كتمان مأمور به - أو مشرع أما درجه المشروعيه فمسكوت عنها الآن - عندها يتضح موضوع الكتمان المنهىّ عنه. وتأييد ذلک من خلال هاتين المقدمتين، أما الأولى منهما: فإنه لا شک أن الدين إيمانٌ، وأما الثانيه: فمقتنصه من الآيه الشريفه وهى قوله تعالى: وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ

1- (1) . البحار، 72/72.
2- (2) . نفس المصدر، 73/72، 74.

(غافر: من الآيه28)، فيكون كتماننا من هذا القبيل لا من قبيل مصداق الآيه التى أوردها المستشكل فى المقام، ونفس هذه الآيه الشريفه تأتى نقضاً على توهمه فتأمل.

ثم إنّ الإمام صلوات الله تعالى عليه لا يأمر أتباعه بكتمان الدين حتى بينهم، بل كان ذلک عن الظالمين والوشاه من أتباعهم لا مطلق العامه - أعنى أتباع المذاهب - ومن يراجع كتب الرجال عندنا لوجد كثيراً من العامه يروون عن الأئمه، حيث كانوا من جمله من يروى عنهم كما سيأتى فتابع.

حديث الغريب

وهو بحثٍ وددت التطرق إلى ما جاء فى كتب المسلمين منه على ألفاظ متعدده، أُطلِقُ عليه هذا الاسم وهو حديث الغريب وهو كما يلى:-

1. إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً.

2. إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً.

3. إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود غريباً.

أما دلاله الحديث الشريف فأبينها من جهات:

الأولى: لا أحد ينكر أنّ الإسلام بدأ بالكتمان (1) ومطادره الأعداء، وكل من شرح الحديث فَهِم ذلک وهو أنّ الدين بدأ بالكتمان وسينتهى إلى الكتمان.

الثانيه: إنّ الكتمان يحصل مع المخالف لا أقل فى مرتبه العلم فضلاً عن المخالف فى أصل العقيده، وكما سيتضح آخر الكتاب وليس مع المؤالف.

الثالثه: إنّ المعنى المتقدم يؤديه ما ورد عن الإمام الصادق عليه أفضل الصلاه والسلام سوى تغيير فى الألفاظ.

الرابعه: استخدم صلوات الله تعالى عليه وآله (السين) التى هى للمستقبل القريب لا (سوف) التى للبعيد، فيعنى أن التحقق موعده قريب وبعيد رحيله صلوات الله تعالى عليه وآله مباشره، فحصل الاختلاف على الخلافه.

1- (1) . والكلام الآن ليس فى تشخيص الغرباء من يكون وأتباع أى مذهب هم، بل فى غربه الدين نفسه وسيأتى الكلام فى تشخيص الغرباء.

الخامسه: قوله صلوات الله تعالى عليه وآله:

«فطوبى للغرباء» أى: لمن كتم دينه، والمستشكل يريد أن ينزل اللعنه عليهم، فكلام من يتقدم ومن نصدق؟!

السادسه: تشخيص الغرباء من بين المسلمين قد عُلِمَ، وعليه فقد أقيمت الحجه على من عَلِمَ، والمسأله مسأله أخرى وغير متعلقه بالأهواء.

وأما بين أهل المعتقد الواحد فالكتمان بين أهل مراتب العلم كما سيتضح آخر الكتاب، وأما فوائده فمنها: المحافظه على أرواح المؤمنين من القتل وكذلک باقى حرماتهم. ومنها: تخفيف حده التوتر العرقى والطائفى والمرتبى لئلا يتحول المجتمع إلى غابه، ومنها: بقاء المؤمن وصاحب المبادئ فى نزاعه متخذاً جانب التعقل والخوف من الله تعالى، فلا يتصرف كما يتصرف المقابل.

مصادر الحديث

تجدها فى الهامش، (1) حتى يتضح أنّ هناک روايات بالأمر فى الكتمان عمن يستحل حرمات

1- (1) . مسند أحمد، 184/1، 398 و389/2 و73/4- سنن الدارمى، 311/2، 312- صحيح مسلم، 90/1- سنن ابن ماجه، 1319/2- سنن الترمذى129/4- شرح مسلم النووى175/2، 177و21/18- مجمع الزوائد الهيثمى106/1، 156 و259/7، 277-279، 309- فتح البارى ابن حجر 6/7و357/12- الديباج على مسلم جلال الدين السيوطى 159/1- 165و223/6- تحفه الأحوذى 3 ص271 و318/7 و338/8- المصنف ابن أبى شيبه الكوفى134/8- مسند ابن راهويه382/1- مسند سعد بن أبى وقاص أحمد بن إبراهيم

الدم والعرض والمال.

ثم إنّ ما تضمنه هذا الحديث يتفق مع البحث التالى فتابع.

حديث القابض على دينه

ورد هذا الحديث الذى يفيد أن:

«القابض على دينه كالقابض على الجمر» (1)بألفاظ متعدده، ولكنها متقاربه المضمون كذلک، حيث جاء أنه: «قال النبى صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتي إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعا، ودنيا مؤثره، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، ورأيت أمراً لا يد لک به، فعليک بخاصه نفسک، وإياک وعوامهم، فإن وراءكم أياماً صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر، ولهذا جعل للمسلم الصادق فى هذا الوقت إذا تمسک بدينه أجر خمسين من الصحابه، ففى سنن أبى داود والترمذى من حديث أبى ثعلبه الخشنى قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عن هذه الآيه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (المائده:من الآيه105)، فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتي إذا رأيت شحا مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثره، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليک بخاصه نفسک ودع عنک العوام، فإن من ورائكم

1- (1) . (شرح قصيده ابن القيم ابن قيم الجوزيه463/2- يقظه أولى الاعتبار القنوجى203- شرح الزرقانى95/1- افتراق الأمه الصنعانى75- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى الفقه556/11- تحفه الأحوذى المباركفورى445/6و338/8- عون المعبود العظيم آبادى333/11- فيض القدير شرح الجامع الصغيرالمناوى، 488/4و590/6).

أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، قلت: يا رسول الله، أجر خمسين منهم. قال:

أجر خمسين منكم...» (1)فانظر إلى ما تحته خط وإياک أن تنزلق فى متاهات المتعجرفين الداعين إلى القتل والقتال وهتک الحرمات، فهذا هو الكتمان الذى أمرنا به. وفى الفتن لنعيم بن حماد: (2) «ويكون الإسلام فى زمانه غريباً كما بدأ غريباً، فيومئذ المتمسک بدينه كالقابض على الجمره [وكخارط القتاد] وحتى يصير من أمره أن يرسل بجاريه فى الأسواق عليها بطيطان من ذهب يعنى الخفين ومعها شرط عليها لباس لا يواريها مقبله ومدبره ولو تكلم فى ذلک رجل كلمه ضربت عنقه». وفى كشف الخفاء للعجلونى: (3) «يأتى على الناس زمان يكون المؤمن أذل من شاته».

وكل ما ذكر هو عين الصواب وعين الحكمه والعقل... ولكن ماذا تفعل لمن ركز جهده لقتل الذين يدخلون المساجد ويصلون الصلوات الخمس، وترک الدول الإسلاميه (بالاسم) يشربون الخمور ويفعلون كل الموبقات، وإن كنا لا نأمر بقتل هؤلاء، ولكن انظر إلى مبدأ القتله المجرمين كيف يسير بالمقلوب. ولمزيد اطلاع فلينظر فى المصادر المؤشره. (4)

ومما تقدم يظهر للقارئ كيف أن المؤمن فى آخر الزمان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهل يوصف هذا بالكتمان الملعون صاحبه؟ فإن خالفت قول نبيک صلى الله تعالى عليه وآله: (فعليک بخاصه نفسک ودع عنک العوام) فما هو حكمک؟ إلا أن تكتم على نَفَسِک وتسير بين المسلمين بالتقيه.

ثم إنّ القابض على الجمر يمكن أن يتصور فى حالات ثلاث، فإما أن يتحمل أو يذيع أو ينحرف (5) وكما يلى:

1- (1) . مدارج السالكين ابن قيم الجوزيه 3/198-199.
2- (2) . الفتن ،387/1، 396، 403.
3- (3) . كشف الخفاء،535/2.
4- (4) . عون المعبود محمد آبادى11/333- يقظه أولى الاعتبار القنوجى/203- نوادر الأصول فى أحاديث الرسول الترمذى1/119، 2/327، 329- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا5/445- تاريخ واسط بحشل/132-

علل الترمذى للقاضى أبو طالب القاضى/329- الرساله المستطرفه الكتانى/97- التمهيد ابن عبد البر20/250، 252، 255- شرح الزرقانى1/95- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم4/1832- طبقات الحنابله ابن أبى يعلى1/262- المناظره فى القرآن ابن قدامه/56- السنن الوارده فى الفتن أبو عمرو الدانى1/396- كنز العمال للمتقى الهندى1/110، 14/115- إمتاع الأسماع المقريزى12/335، 343... .
5- (5) . سيأتى لاحقاً فى الحديث التالى وهو حديث دعاه الضلاله ما يعطى هذا المعنى وهو أنّ الرجل يصبح مسلماً ويمسى كافراً فتابع.

1. أن يظل متمسكاً بدينه كاتماً صوته لا يبوح بعقيدته بالرغم من شده الألم، وهذا هو الكاتم المتحمل.

2. أن ينادى بأعلى صوته من الألم فيفتضح أمره، وهذا المذيع أو المرائى.

3. أن يلقى الدين كلاً أو بعضاً تماشياً مع التيارات وتنازلاً للآخرين، كمن يتنازل عن بعض العقائد أو جميعها لكى يحصل على مؤيدين.

أحاديث أيام الفتن

من تابع الأحاديث التى وردت عنه صلوات الله تعالى عليه وآله تجد أوامره تنصب على الانزواء عن الناس، وعدم الولوج فيها والصمت والعزله وما إلى ذلک مما يفضى إلى الكتمان... فراجع كتب الحديث فى باب الفتن.

حديث دعاه الضلاله

وردت أحاديث كثيره تتحدث عن فتن آخر الزمان، منها ما فى كنز العمال للمتقى الهندى: (1) «تكون فتن على أبوابها دعاه إلى النار، فأن تموت وأنت عاض على جذل شجره خير لک من أن تتبع أحداً منهم... ستغربلون حتى تصيروا مثل حثاله من الناس قد مرجت عهودهم، وخربت أماناتهم، قال قائل: فكيف بنا يا رسول الله؟ قال: تعملون بما تعرفون وتنكرون ما تنكرون بقلوبكم... ستكون بعدى فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، قيل: كيف نصنع؟ قال: ادخلوا بيوتكم وأخملوا ذكركم قيل: أرأيت إن دخل على أحدنا بيته؟ قال: ليمسک بيده وليكن عبد الله المقتول! فإنّ الرجل يكون فى فئه الإسلام فيأكل مال أخيه ويسفک دمه ويعصى ربه ويكفر بخالقه وتجب له النار... يا حذيفه، تعلّم كتاب الله واعمل بما فيه قال: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: فتن على أبوابها دعاه إلى النار، فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لک من أن تتبع أحداً منهم... يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه، إلاّ من فرَّ من شاهق إلى شاهق أو من جحر إلى جحر، كالثعلب بأشباله، وذلک فى آخر الزمان إذا لم تنل المعيشه إلا بمعصيه الله،

1- (1) . كنز العمال،87/11، 88، 89.

فإذا كان كذلک حلت العزبه، يكون فى ذلک الزمان هلاک الرجل على يدى أبويه إن كان له أبوان، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدى زوجته وولده، فإن لم تكن له زوجه ولا ولد فعلى يد الأقارب والجيران، يعيرونه بضيق المعيشه ويكلفونه مالا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التى يهلک فيها... إنه سيصيب أمتى فى آخر الزمان بلاء شديد لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه وبقلبه، فذلک الذى سبقت له السوابق، ورجل عرف دين الله فصدّق به... أتانى جبرئيل عليه السلام آنفا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: أجل، إنا لله وإنا إليه راجعون، فمم ذلک يا جبرئيل؟ قال: إنّ أمتک مفتتنه بعدک بقليل من الدهر غير كثير، قلت: فتنه كفر أو فتنه ضلاله؟ قال: كل ذلک سيكون، قلت: ومن أين ذاک وأنا تارک فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلک من قبل قرّائهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون، ويتبع القرّاء أهواء الأمراء فيمدون فى الغى ثم لا يقصرون؛ قلت: يا جبرئيل! فبم سلم من سلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن أعطوا الذى لهم أخذوه وإن منعوه تركوه». وفى الجامع للأزدى: (1) «أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتاده، عن نصر بن عاصم الليثى، عن خالد بن خالد اليشكرى، قال: خرجت زمن فتحت تستر حتى قدمت الكوفه، فدخلت المسجد، فإذا أنا بحلقه فيها رجل صدع من الرجال حسن الثغر يعرف فيه أنه من رجال الحجاز، قال: فقلت من الرجل؟ قال القوم: أو ما تعرفه؟ قال: قلت: لا. قالوا: هذا حذيفه بن اليمان صاحب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: فقعدت وحدّث القوم أنّ الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر، فأنكر ذلک القوم عليه، فقال لهم: إنى سأحدثكم ما أنكرتم من ذلک جاء، الإسلام حين جاء فجاء أمر ليس كأمر الجاهليه وكنت قد أعطيت فى القرآن فهما، فكان رجال يجيئون فيسألون رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عن الخير، وأنا أسأله عن الشر، فقلت: يا رسول الله، أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله؟ قال: نعم. قال: قلت: فما العصمه يا رسول الله؟ قال: السيف، قلت: وهل بعد السيف بقيه؟ قال: نعم، تكون إماره على أقذاء وهدنه على دخن، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم ينشأ دعاه الضلاله فإن كان لله فى الأرض

1- (1) . الجامع، 341/2.

يومئذ خليفه جلد ظهرک وأخذ مالک فالزمه (1) وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجره، قال: قلت: ثم ماذا...). ولمزيد اطلاع خذ هذه المصادر. (2)

ومنه يتضح انهيار إشكال الكتمان، وذلک بمشروعيته ومشروعيه مذهب المعتقدين به منذ وفاه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، بل ترجع دائره الشكوک المثاره تحوم حول غيره المعتقد بعدم مشروعيته ومشروعيه التقيه.

ثم إنّ الكتمان له وجهان، الأول: ما يخجل الإنسان من إظهاره، وهو أن يظهر الإنسان شيئاً محبوباً ويخفى ما يستقبح، فهذا غير مرضى به، قال الله تعالى: يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّاسِ وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ وَ كانَ اللّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (النساء:108)، وأما الثانى: فهو ما بخلافه وهو أنه يستخفى من الناس ولا يستخفى من الله، فمن أراد أن ينقض على الثانى فليثبت أنه باطل، عندها يحق له أن يشكل كما يحب.

على أنّ ما ورد مما تقدم من أحاديث يصلح بنفسه أن يصطف مع الأدله المصوبه لمشروعيه التقيه، بل والكتمان فانظر وتأمل.

كما تدين تدان

بناء على هذا الفهم أقول: يمكننا نحن أن ننقض على صاحب المغالطه الأولى بما يذهب إليه فأقول:

كما فسرت رواياتنا فى التقيه بما مر، فنحن نفسر ما جاء من روايات مشابهه فى أبواب أخر من كتبه، فهل يقبل ذلک أحد؟ وإلا فكيف يقبل أصل الإشكال!! وعليه سأتولى تفسير عده من تلک الروايات تباعاً وعلى مذاقه:

1- (1) . وبألفاظ أخرى جاء: (فإن لقيت خليفه...) والمهم أنه لا بد من خليفه الله وأنه يكون معصوماً، إلا فكيف يأمر بمثل هذه الطاعه وهو مخالف لما ورد فى أحاديث أخر تأمر باتباع أولى الأمر فيما يرضى الله تعالى فقط.. فتأمل وابحث عنه لئلا تموت وليس فى عنقک بيعه لإمام.. ثم إنک تجد هذا المعنى قد تحقق فى معركه صفين عندما طلب أمير المؤمنين

عليه السلام أن يبايعه المؤمنون على الموت، فبايعه مائه رجل راجع ملحق المصادر فى معركه صفين، ص219.
2- (2) . فضائل القرآن، النسائى،100- الفتن، نعيم بن حماد37/1- حليه الأولياء، الأصبهانى،272/1- صفه الصفوه، ابن الجوزى204/1- المستقصى فى أمثال العرب، الزمخشرى389/2- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكرى/9- البيان والتبيين الجاحظ/220- صبح الأعشى فى صناعه الإنشا القلقشندى4/14- كتاب جمهره الأمثال أبو الهلال العسكرى271/1- مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابورى161/1، 382/2- الجامع للأزدى،342/2- عون المعبود، محمد آبادى212/11- التدوين فى أخبار قزوين، القزوينى437/2- تهذيب الأسماء، النووى98/3- العلل ومعرفه الرجال ابن حنبل205/2- السنن الوارده فى الفتن أبو عمرو الدانى37/1- كنز العمال، للمتقى الهندى129/11، 112/14، 139، 301- مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهانى/250- زياده الجامع الصغير، للإمام السيوطى/231.

الأول: يا أيها المستشكل يتوجه إليک نفس السؤال فی قاعده أخف أو أدنی الضررين، (1) فلو اضطرت امرأه إلی الزنا أو أنها تموت جوعاً أو عطشاً وتصرفت بموجب قاعده أخف الضررين، وكما هو معلوم أن هذه القاعده من الدين، فيكون علی ما ذهبت أنت إليه أنّ الزنا من الدين، فهل يصح هذا التفسير؟ الجواب حتماً كلا.

الثانی: من خلال حجيه سنه بعض الصحابه ينقض بما يلی:

- فعله عمرو بن العاص فی حرب صفين السابق ذكرها سنه صحابی وسنه الصحابی من الدين، إذن كشف العورات من الدين.

- وكذلک فيما حصل بين الصحابه من لعن وقتال، فهذه سنه للصحابه وسنه الصحابه من الدين، فلعن الصحابه وشتمهم وقتالهم والتنكيل بهم من الدين.

- مقوله أبی بكر: (تأول فأخطأ)، فتكون هذه قاعده فی الوصول إلی بعض أحكام الدين، والنتيجه أنّ الخطأ بعض أحكام الدين.

الثالث: جاء فی كتب المسلمين روايات عن النكاح والترغيب فيه، وكذلک فی الترغيب فی أمور أخری وقد أتيت ببعض منها كشاهد، وذلک كما ذكر فی أدناه:-

المبسوط للسرخسی: (2) «وقال صلی الله عليه [وآله] وسلم: النكاح سنتی فمن رغب عن سنتی فليس منی، ولهذا قال علماؤنا رحمهم الله تعالی النكاح أفضل من أشكال عباده الله فی النوافل...». وكذلک فی بدائع الصنائع لأبی بكر الكاشانی: (3) «قال النبی صلی الله عليه [وآله] وسلم: (النكاح سنتی) والسنن مقدمه علی النوافل بالإجماع، ولأنه أوعد علی ترک السنه بقوله: (فمن رغب عن سنتی فليس منی...». (4)

وجاء أيضاً فی مسند أبی يعلی: (5) «النبی صلی الله عليه [وآله] وسلم قال: (من تزوج فقد أعطی نصف العباده...».

1- (1) . شرح مسلم النووی223/1و191/3- فتح الباری ابن حجر 278/6، 279 و 321/8، 357، 369 و 361/10، 435- تحفه الأحوذی

المباركفورى235/8- المستصفى الغزالى71، 178- الاحكامء الآمدى135/2.
2- (2) . المبسوط،193/4.
3- (3) . بدائع الصنائع، 229/2.
4- (4) . كنز العمال المتقى، الهندى 271/16: (44407- النكاح سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى..)، وكذا فى فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى549/2و476/4- وفى كشف الخفاء، العجلونى324/2: (2833- النكاح سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى...). وأيضاً فى فتح البارى، ابن حجر19/9.
5- (5) . مسند أبى يعلى، 310/7.

وفى الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى: (1) «إن أنواع البر نصف العباده، والنصف الآخر الدعاء...» (2) و «عمل البر كله نصف العباده، والدعاء نصف، فإذا أراد الله تعالى بعبد خيرا انتحى قلبه للدعاء»، كنز العمال المتقى الهندى: (3) «3136- إن أنواع البر نصف العباده، والنصف الثانى الدعاء...3137- عمل البر كله نصف العباده» جامع البيان ابن جرير الطبرى: (4) «قال: قالت لأنس: يا أبا حمزه أبلغک أن الدعاء نصف العباده؟ قال: لا، بل هو العباده كلها». أحكام القرآن الجصاص (5)

«قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: (عمل البر كله نصف العباده والدعاء نصف العباده...».

وتعليقاً على ما مر بحسب الفهم القاصر للدليل:-

يكون الزواج هو كل سنه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، فلتكن حياتنا كلها زواج فقط وننتهى.

وثبت أن الشيخين منعا تدوين السنه وأحرقاها، فيكونا قد أحرقا الزواج، راجع المصادر التاليه فى حرق السنه والمنع من تدوينها (6) كما سيتضح.

ثم إننا نعلم بأنّ الشىء ينقسم إلى نصفين لا أربعه أو ثلاثه أنصاف، وعلى كل حال من أخذ بنصفين مما تقدم فليترک الحج والجهاد والصوم والصلاه؛ لأن هذه عباده وبناء على ما تقدم من الأنصاف ليتشكل له دين واحد كل كما يحلو له وينتهى الأمر فلا تعب ولا نصب، بل كما قال أنس: عليهم أن يتفرغوا للدعاء فهو كل العباده... .

الرابع: عن طريق حديث إن الدين النصيحه ورد فى كتب المسلمين: (إن الدين النصيحه...)، ومما تحت يدى من المصادر ما يقارب 300 مورد يذكر فيها ذلک، أنقل منها ما جاء فى كتب ابن تيميه وأترک الباقى حيث جاء فى: منهاج السنه النبويه (7) ومجموع الفتاوى. (8)

1- (1) . الجامع الصغير، 340/1ح2227.
2- (2) . الصغير، جلال الدين السيوطى180/2.
3- (3) . كنز العمال، 65/2.

4- (4) . جامع البیان، 99/24.
5- (5) . أحکام القرآن، 44/3.
6- (6) . سنن ابن ماجه،12/1- سنن الدارمی، 85/1- مستدرک الحاکم، 102/1، 110- کنز العمال، 285/10 و 291/10- الذهبی فی تذکره الحفاظ،5/1- طبقات ابن سعد،140/5.
7- (7) . منهاج السنه، 542/4و146/5.
8- (8) . مجموع الفتاوی، 19/1.

وتعليقاً على هذا الحديث، فإنَّ على المسلمين أن يقفوا على رؤوس الشوارع والأزقه ليس لهم شغل شاغل إلا تقديم النصيحه للناس - فقط - فهى كل الدين، ولماذا يتعبون أنفسهم فى غير ذلک.

ثم إنّه كما مر فى (ص115)، قد يقال: إن الإجازه بالكذب من الدين على تفسير صاحب الإيراد، والحق أنّ الموضوع ليس تاماً، بل يقال: الإجازه بالكذب بموارد الحديث من الدين.

تعقيباً على ما تقدم

أرجو التدبر فى هذه الفقره بالذات أقول: إذا كان التعامل مع النصوص بهذا الشكل فهنيئاً للأمه الإسلاميه على مثل هذا المستشكل، فإنّه مسخ لكل شىء... فهل يقبل المسلمون هذا الأسلوب فى التعامل مع النصوص؟ فإن لم يرض المسلمون ذلک - وهو المنطق السليم - فعليهم أن يتدبروا... وأرجو التأمل و الله ولى التوفيق.

رجوع إشكال الكتمان على ملقيه

أما مصداق الآيه الكريمه المذكوره فهو من منع تدوين السنه النبويه المطهره، وحرق ما تم تدوينه منها، وقد ورد عنه صلوات الله تعالى عليه وآله أنه قال:

«أم حسب امرؤ منكم وقد شبع حتى بطن وهو متكئ على أريكته لا يظن الله تعالى حرم شيئاً إلا ما فى القرآن، ألا إنّى قد حدّثت ووعّظت بأشياء هى مثل القرآن أو أكثر وأنه...». (1)

ومن أراد المزيد فليراجع المصادر التى تحدثت عمن منع تدوين السنه من رأس، وكذلک من أحرق ما كتب منها. (2)

1- (1) . جزء أشيب الأشيب البغدادى،/73- مسند الحميدى، 252/1- الآحاد والمثانى الضحاک،44/3- مسند أبى يعلى الموصلى،346/3- شرح معانى الآثار أحمدبن محمدبن سلمه،209/4- مسند ابن حبان189/،1- المعجم الأوسط، الطبرانى، 184/7، 292/8، 350- المعجم الكبير، الطبرانى316/1، 327/1، 110/4، 258/18، 274/20، 283- مسند

الشاميين، الطبرانى400/1، 137/2، 103/3، 137/3- سؤالات، حمزه الدارقطنى/5- سنن الدارقطنى190/4- أدب الإملاء والاستملاء، السمعانى/9- موارد الظمآن، الهيثمى/55- القول المسدد فى مسند أحمد، لأحمد بن على بن حجر/87- الجامع الصغير، جلال الدين السيوطى468/1- كنز العمال، المتقى الهندى173/1، 194).
2- (2) . بل المنع حتى من الروايه. راجع ملحق المصادر، ص236.

7. نتيجه الأدله من الناحيه الشرعيه

بعد هذا العرض لأدله المسلمين التي تناولت التقيه أو المداراه نخلص إلى النتائج المترتبه على هذا المبدأ، وأقول المبدأ بالإفراد؛ لأنه فى الحقيقه كلاهما يرجع إلى أمر واحد، وإن كان بينهما عموم وخصوص مطلق من جهه المداراه. فلو نظرنا إلى فعل النبى صلوات الله تعالى عليه وآله فى الحادثتين نظره تحليليه تتضح لنا من خلالها أمور منها وكما يلى:

الأول: وهو مشروعيه هذا الفعل: حيث ذكر النبى هذا الرجل بذلک الوصف - ولا يقال: إن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله قد اغتابه - فى الأولى وفى الروايه الثانيه نراه قد خبأ للمعنىّ شيئاً، وهذان كموقفين يدلان على مشروعيه استخدام مثل هذا الأسلوب. وفعل النبى صلوات الله تعالى عليه وآله حجه، والقدر المتيقن منه أنّه مباح إن لم نقل بغير ذلک.

الثانى: الغايه: وهى دفع الضرر عن النفس.

الثالث: متى تشرع: التقيه تشرع إلى حد لا يسمى هذا الفعل مداهنه.

الرابع: لا تقيه فى المواضع التاليه: إذا لزم أو تسبب ذلک فى هتک حرمه مؤمن آخر، فإنّ هدف التقيه حفظ حرمات المؤمن المضطر، فإذا وصل الأمر إلى ذلک فلا تشرع قطعاً، ومن ارتكب الهتک كان فعله حينئذ مداهنه أو غيرها وليست تقيه، فيحرم ذلک عندها. وكذا إذا أمكن إراءه المخالف مشهداً من دون أن نغير من الفعل الذى نقوم به، كما لو مسح ظاهر القدمين أثناء تحريكهما لوضعهما تحت مجرى الماء؛ لإراءه المخالف غسلهما فيجب المسح ثم الغسل مثلاً.

الباب الثالث: آثار التقيه

اشاره

ص:125

ص:126

مقدمه مهمه

بصفتی شیعی بشکل خاص وعراقی بشکل عام أتحدث عن طائفتی، وکذلک عن أبناء شعبی - کنموذج - وعن تداخله الاجتماعی الذی أجد أن من نعم الله تعالی علینا فیه أن الذی یروم الزواج - علی سبیل المثال - رجلاً کان أو امرأه فی الغالب - إلا عند بعض المتشددین (1) من الطرفین - ما یسکت عن سؤال وهو: هل فلان أو فلانه من الشیعه أم من السنه؟ نعم، قد یکون عالماً قبلُ بذلک، فإما أن یقدم أو یحجم من رأس، وهذا الأمر سبب فی حصول التداخل الذی حفظ المجتمع من حرب أهلیه تترک الدمار کما حصل فی بلدان أخری، وأراد بعض المنتفعه والأشرار زرع ذلک، وحصلت بوادر تشیر إلی حصول فتنه ولکن علی نطاق ضیق، وذلک بعد أن جرّبت القوات الأجنبیه أحد الأطراف فی حصول الحرب علی نطاق واسع ولکنها لم تفلح، وأفلحت فی استخدام طرف آخر فی زرع هذه الفتنه بالتعاون مع بعض الدول المجاوره، ولم یحصل أی رد فعل عنیف إلا بعد الاعتداء بتدمیر قبه الإمامین العسکریین ونهب ما فی المرقد الشریف من آثار.

وتلک نعمه - واقعاً - جعلتنا متسامحین من هذه الناحیه، بل قد نجد ذلک واضحاً من خلال العلاقه مع رجال الدین حتی المسیحین منهم، حیث نجد احترامهم أمر مفروغ منه، من قبل أفراد أی طائفه.

1- (1) . التشدد الذی أعنیه هنا لیس معناه حمل السلاح، بل الارتباط بأهل العقیده وعدم تقبل الطرف الآخر فقط لیس غیر. نعم، ظهرت بعض البوادر وتم تهجیر الشیعه وقتلهم علی الهویه لا لشیء آخر ولکن هذا حصل وسیحصل من قبل أطراف لیس لها علاقه بالدین ولا الخلق، وهی معروفه فلا أصرف وقتاً فی الحدیث عنها... بل قتلوا من اسمه علی وحسن وحسین وغیر ذلک من أسماء أهل البیت علیهم السلام، کأنهم الذین حاربوا الدین من بنی أمیه وغیرهم.

وأؤكد على أنه قد حاولت بعض الأنظمه وبعض الدوائر إثاره نعره القتل والحرب الأهليه وأرجو أن يكون الفشل نصيبها، إذ أن من أراد أن يقتل شيعياً أو سنياً من النساء أو الرجال فعليه أن يفكر أولاً بقتل صهره أو زوجه ابنه وأطفاله أو أطفالها أولاً، وهكذا يتم تصور عظم المصيبه لو حصل شىء من هذا - لا سمح الله تعالى - لذا أوصى أبناء هذا الشعب أن يبقى متماسكاً ومتمسكا بهذا السلوک بالرغم من كل الخلافات العقائديه والفكريه والمنهجيه.

فتصور أنت أيها المؤيد لفكره القتل على الهويه شيعياً كنت أم سنياً أنک ستُقْتَل فى فتنه عقيمه، وما ستتركه هذه العمليه المنكره على بيتک أو بيت أقربائک أولاً، ثم على غيرک ثانياً، ثم المجتمع برمته.

ومما يلفت الانتباه أنک ترى الطيبه والتسامح غير المصنعين مرسومه على المراجع لا لأغراض سياسيه أو لكسب أتباع ومؤيدين، بحيث تؤثر على عقائد المرجع فيكون مداهناً أو تكون أفكاره التقاطيه كما قد يتصور. ففرق بين مبدأ التسامح (1) وبين مبدأ (خذ ما نقد وذر ما اعتقد) وهو أسلوب واضح منه أنه سلوک لطريق الانتهازيه والالتقاطيه - ولا أريد اتهام أحد بهذا أو أمتدح حزباً معيناً، إنّما هو كلام عام، وكمثال نذكر السيد الشهيد الأول وبعض السالكين نهجه (قدست أرواحهم) - فإنه قد وصل بهم الحد إلى الاستشهاد من أجل المبدأ، ولو كانوا من أهل المداهنه والالتقاطيه ما اختاروا الشهاده، بل لقدموا الغالى والنفيس فداءاً للحياه كما يفعل بعض، والواقع غير هذا، ولكن تركيبه المجتمع وأسلوبه الحضارى فرض على العلماء والمفكرين والمثقفين تصرفاً معيناً، (2) فإنه لكل مقام مقال ولكل حادثه حديث. وإذا أردنا أن نصف الاستفاده من أى تجربه بأنها التقاطيه ما نجا من هذا الوصف أحد مطلقاً إلا المعصومين - عليهم أفضل الصلاه والسلام أنبياء أم أئمه بوجه ما - بل أصل مبدأ أخذ الفكره وتطويرها والاستفاده من تجارب الآخرين من لوازم هذا العالم المتغير المتطور. ووصل الحد إلى أنّ مرجعيه العراق صورها مغرضون بأنّها غير عربيه، حتى رسموا للهيئه العلميه فى النجف الأشرف

1- (1) . وقف الفرس - كما يسمونهم - مع الفلسطينيين وخذلهم العرب والمسلمون، مع أنّ منهم من يكنّ العداء لشيعه العراق وإيران، وأبَّن

الزرقاوى. وهذه هى شيمه مراجع الدين، بل ووقفوا مع الكويت فى محنتهم والقومى دمرّ بلدهم ولم يكتب على الصاروخ للصفويين فقط... مساكين.
2- (2) . وهذا الأمر ليس خاصاً بمرجعيه دون أخرى، بل تجد المفكر الإسلامى الشيعى بشكل عام يتصف بهذه السمه؛ لما يحمله من نهج قويم وما ذكرته عن العراق ما هو إلا كنموذج كما نوهت عنه، وإلاّ فلو تابعت علماء الشيعه لوجدتهم كذلک جميعاً، بحيث شارک مراجع الدين الإيرانيين فى ثوره العشرين العراقيه.

طابعاً غير عربى، (1) بل كاد الناس أنّ يصدقوا أنّ العراقيين ليس فيهم عالم أصلاً، أو يكون ولكنّه إما يستشهد أو يكون عميلاً للنظام بحسب الاتهام والتصوير. كما وصل الحد إلى أنّ المرجع العراقى لا يستطيع تأديه دوره فى بلده بضغوط من الحكام كى تبقى التهمه قائمه، وعليه لم تظهر كثير من آثار علمائنا من أمثال الشيخ المظفر وآخرون، كالشيخ حسين الحلى الذى يفخر من تتلمذ على يديه فى النجف الأشرف. هذا كله إذا أردت أن أتحدث بصفتى عراقى، وأما كونى شيعياً بغض النظر عن الانتماءات الأخرى، فإننى أجد فى نفس هذه الرؤيه عند حمله هذا المبدأ العظيم، فلم يقل أحد بانحصار التشيع فى قوميه دون أخرى، بل ولا الإسلام، بل نجد علماءنا تعاملوا مع القضيه الفلسطينيه تعاملاً لم أر مثله حتى فى من يدعى القوميه، بالرغم من تعامل بعض قيادات هذه القضيه مع الشيعه تعاملاً طائفياً، ولا أريد الخوض فى التفاصيل إنما كان ذلک من باب الإشاره.

ونعود إلى صلب الموضوع فأقول: إنّ الإفراط من قبل بعض المخالفين سبّب ظهور الحاجه إلى التقيه، والتفريط من قبل بعض المؤمنين سبّب ظهور الحاجه إلى الحث عليها، ونتيجه لذلک تظهر العقوبه بأن قد يكون عدم العمل بها إلقاء إلى التهلكه فتحل العقوبه.

ولكى لا يفهم بعض أنّ التسامح ناتج عن الخوف، فنحن نتشدد مع المتشدد ونتسامح مع المتسامح ولا أتصور طريقاً أفضل من الوسط، وهو التسامح وقبول الرأى الآخر وعدم التطرف (2) الذى يوصل إلى التقاتل، فالأصل التفاهم وتلاقح الأفكار؛ لكى تظهر نتيجه طيبه يستفيد منها المجتمع، ولا نريد بالتسامح الذى يؤدى إلى المداهنه وترک المعتقد.

1- (1) . وكأنّ الدين عربى خاص بالعرب، وهذا من التعصب الأحمق، والحق أنّ التشيع أسمى من أن ينحصر فى قوميه أو جهه معينه.. هذا إن كانت هناک قوميه عربيه فعلاً وأما الأبواق التى تتهم الشيعه بالصفويه ولم يتعرضوا يوماً إلى السلاجقه والعثمانيين الأتراک فمسكينه.
2- (2) . التطرف فى العقيده أمر مهم جداً، بل حق، وهو أنک يجب أن تعتقد بأنک على الحق100% وغيرک على خطأ100% وإلا لما اعتنقت واعتقدت، ولكن إيصال العقيده إلى الآخرين يجب أن يكون ذا أسلوب جميل حسن يتسم بالأخلاقيه الكامله... ولذلک أمر الله جل جلاله نبيه موسى وأخاه هارون على نبينا وآله وعليهما الصلاه والسلام باتخاذ أسلوب اللين فقال

تعالى: اِذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى* فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلّهُ يَتَذَكّرُ أَوْ يَخْشى (طه:44، 43).

1. آثارها الاجتماعيه

اشاره

إنّ الإسلام دين الحياه ومن إحدى الدعائم التى ركز عليها هذا الدين الحنيف هو الجانب التربوى للفرد والمجتمع على حد سواء، الذى له تأثير كبير على نشر السلوک القويم فى الأمه، حيث يبدأ المؤمن بتحليه نفسه بالخلق الكريم ثم ينزل إلى المجتمع به ليكون مناراً يقتدى به.

ولنا فى رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله أسوه حسنه، كما جاء فى قوله تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً (الأحزاب:21)، وكذلک فى آل بيته الذين ركز عليهم مده تبليغه هذا الدين، حيث قال صلوات الله تعالى عليه وآله كما ورد عن مسلم: (1)

«أذكركم الله فى أهل بيتى...» وكامتداد له من بعده، فيثبت أولاً محبوبيه التعايش بالتى هى أحسن، فإذا تطلب موقف ما البراءه فهو كما ينبغى، وضرب الله تعالى لذلک مثالاً فقال: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ فِى إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَهُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ (الممتحنه:من الآيه4)، وقال تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ (الممتحنه:6). فإذا علم مما سبق أن هذا النبى العظيم صلوات الله تعالى عليه وآله قد فعلها مع أصحاب كانوا يؤذونه: وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ... (التوبه:من الآيه61) حتى أنّهم وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ... (التوبه:من الآيه61)، بل ترک من أراد قتله كما

1- (1) . الحديث ورد فى مسلم بهذا اللفظ، تجده مع تعليق عليه فى ملحق المصادر ص238.

حصل ليله العقبه، فحرى بالمسلم المؤمن أن يقتدى به. إلاّ أن يقال: إنّه سوف يستغل هذا الأمر من قبل بعض، فالجواب واضح، وهو أنّ الموضوعات تابعه لتشخيص المكلف، فيكون ذلک تابعا له. فإذا تم هذا فإنّ المجتمع سوف يكون صالحاً متغاضياً إلى أن يأتى يوم تنكشف فيه الأمور بعض لبعض، فمن كان يحمل فكره سيئه عن أصحاب ذلک المعتقد قد يتبدل الرأى فيهم أو أن يعيش المجتمع بسلام. وهنا يأتى القول الذى نقلته سابقا (ربما أغنت المداراه عن المباراه). هذا إضافه إلى استماله الطرف المقابل رأفه به لعله يتوفق فى تقويم سلوكه أو اعتقاده بدلاً من سوء الأدب، إن كان من الطراز الذى تعامل معه النبى صلوات الله تعالى عليه أو يتوفق باتباع العقيده الحقه - والكلام فى الكبرى لا فى الصغرى أى ليس الكلام فى تعيين الطائفه التى على الحق - كبديل عن الفكر الذى كان يحمله. وهذا فى حد ذاته جانب خلقى رفيع يدفع الفرد للتفكير فى هذا المجتمع لإنقاذه مما هو فيه ولا أقل يحصل التعايش السلمى بين أفراده.

ولما مر فإننا نلمس لهذا المبدأ القرآنى أثراً كبيراً فى امتصاص ما يؤدى إلى البغضاء بين أفراد المجتمع الواحد، ومن ثم ما قد تفرزه حاله النفره بينهم من تفكک حيال المجتمعات الأخرى، فتكون الأمه طعمه سهله التناول من قبل الأعداء. وهذا يتضح إذا تصورنا أنّ مجتمعاً كبيراً تتكرر فيه مثل هذه الحاله. وإلاّ فإنّ النبى صلوات الله تعالى عليه وآله قادر على أن يؤدب المسىء من صحابته بطريق أو بآخر، كاتخاذ جانب الشده والعقاب: فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ (آل عمران:من الآيه159)، ولكنه لم يقتل حتى الذين نفرّوا ناقته كما ذكرت، ولم يقتل المنافقين لكى لا يقال:

«إنّ محمداً يقتل أصحابه». (1)لذلک نرى النبى وآل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين قد سلكوا هذا النهج؛ للحفاظ على الأمه والدين، فترک أمير المؤمنين على بن أبى طالب أموراً أمام من لم يستجب له بعد إلقاء الحجه عليهم، وعايشهم واستخدم أسلوب إلقاء الحجه، هذا طول فتره حياته معهم حتى جاء يوم الشورى، واشترطوا عليه أن يسير على نهج من كان من قبله فرفض، وكان بإمكانه قبول ذلک ثم يغير نهجه كما فعل عثمان بن عفان

1- (1) . مجموع الفتاوى، ابن تيميه، 422/7. ونفس هذا التصرف فيه تقيه.

الذى عمل باجتهاده.

التعايش السلمى من قبل آل البيت عليهم الصلاه والسلام

المتتبع لسيرتهم صلوات الله تعالى عليهم يقف متحيراً عند أمور يحسبها هينه وهى عندهم عظيمه، لما علمهم ربهم تبارک وتعالى ونبيه الكريم صلوات الله تعالى عليه وعليهم، وكذا العكس. حتى أننا نرى تمسک قسم ببعض حجج واهيه لتثبيت أحقيّه غيرهم أو حبهم لهم عن طريق التسميه بأسمائهم أو التزاوج مثلاً، ويرد على هذا التوهم أنّ التسميه - إن صحت الدعويان - ليس له علاقه بذلک مطلقاً، وإنما هم ضمن المجتمع وهذه الأمور تعتبر أمراً طبيعياً، وإلاّ فإنّ نفس التسميه ليست دليلاً تاماً على حب صاحب الاسم السابق تسميته به، وإن كان كذلک لكان الذى يسمى ابنه باسم غريب، كان محباً للمسمى السابق. وعلى كل حال فهذا على صلوات الله تعالى عليه عفى عمن قاتله وأصحابه بعد انتهاء الحرب ولم يقم عليهم القصاص، ولنتصور أنه صلوات الله تعالى عليه نفّذ حكم القتل بحق من أمسک به فى معركه ما، فسيأتى القوم بعد1350 عام مثلاً وسيقتلون شيعته تحت ذريعه قتله لهم، بل إنه لم يشارک بدم عثمان بن عفان وطالبوه به، والحق فإنّ ولاته وفعالهم هو الذى أعان على قتله وقتاله، وقسم من الصحابه هم المطالبون بدمه، ولكن قلب الحقائق ألبس الحدث الإمام وأتباعه صلوات الله تعالى عليه وعليهم، وممن ثار ضده أم المؤمنين، حيث كانت تنادى اقتلوا نعثلا فقد كفر.

جاء فى المحصول للرازى: (1)

والاختلاف بحسب الطبعات: أنّ عثمان رضى الله عنه أخّر عن عائشه رضى الله عنها بعض أرزاقها فغضبت، ثم قالت: يا عثمان، أكلت أمانتک وضيعت الرعيه وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتک، و الله، لولا الصلوات الخمس لمشى إليک أقوام ذوو بصائر يذبحونک كما يذبح الجمل، فقال عثمان رضى الله عنه: ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ (التحريم:من الآيه10)، فكانت عائشه رضى الله عنها تحرض عليه جهدها وطاقتها وتقول: أيها الناس، هذا قميص رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لم يبل وقد بليت سنته، اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا. ثم إنّ عائشه ذهبت إلى مكه فلما قضت حجها وقربت من المدينه أخبرت بقتل عثمان، فقالت: ثم ماذا؟ فقالوا: بايع الناس على بن أبى طالب، فقالت عائشه: قتل عثمان و

1- (1) . المحصول، الرازی، 492/4و344.

الله مظلوماً وأنا طالبه بدمه، و الله، ليوم من عثمان خير من على الدهر كله... . (1)

قال أبو الصلاح الحلبى فى تقريب المعارف: (2)

وذكر الطبرى فى تاريخه والثقفى فى تاريخه قال: جاءت عائشه إلى عثمان، فقالت: أعطنى ما كان يعطينى أبى وعمر، قال: لا أجد له موضعاً فى الكتاب ولا فى السنه، ولكن كان أبوک وعمر يعطيانک عن طيبه أنفسهما وأنا لا أفعل، قالت: فأعطنى ميراثى من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أو لم تجئ فاطمه [عليها السلام] تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله فشهدت أنت ومالک بن أوس البصرى: أنّ النبى صلى الله عليه وآله لا يورث، وأبطلت حق فاطمه عليها السلام ، وجئت تطلبينه؟ لا أفعل. وزاد الطبرى: وكان عثمان متكئاً، فاستوى جالساً وقال: ستعلم فاطمه أى ابن عم لها منى اليوم، ألست وأعرابى يتوضأ ببوله شهدت عند أبيک؟ قالا جميعاً فى تاريخهما: فكان إذا خرج عثمان إلى الصلاه أخرجت قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وتنادى: إنه قد خالف صاحب هذا القميص. وزاد الطبرى يقول: هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل وقد غير عثمان سنته، اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا.

وأكرر إنّ قتل المسلم قصاصه معلوم، ولكن على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليهما ترک الأمر وهو الولى حينذاک؛ لئلا يأخذ القتل من أتباعه مأخذاً عظيماً منهم، ومع ذلک كله لم نسلم من الطواغيت على مرِّ الزمان.

كراهه إضمار نيه الشر

جاء عنهم صلوات الله تعالى عليهم ذلک وما هو إلا تربيه للمسلمين، وإلا فستكون الحياه أشبه بغابه يأكل فيها بعض بعضاً، وإليک النص فاقرأ وتأمل، فعن (3) الإمام أبى عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يقول:

من أسّر سريره رداه الله رداها، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشر. وعنه عليه السلام أيضاً:

«ما من عبد يسّر خيراً إلاّ لم تذهب الأيام حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسّر شرا إلاّ لم تذهب الأيام حتى يظهر الله له شراً». وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب

إذا أراد العبد أن يفعله، أو الحسنه؟ فقال: ريح الكنيف والطيب سواء؟! قلت: لا، قال: إن العبد إذا هم بالحسنه خرج نفسه طيب

ص:134

1- (1) . راجع ما يخص هذه الواقعه فى ملحق المصادر كما مر سابقاً، ص221.
2- (2) . تقريب المعارف، ص 286.
3- (3) . الوسائل، للحر العاملى، ج1ص57 باب كراهه نيه الشر.

الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد هم بالحسنه، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له، وإذا هم بالسيئه خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فإنه قد هم بالسيئه، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها عليه.

وفى مستدرک الوسائل للنورى: (1) «ما من عبد أسر خيراً فتذهب الأيام حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد أسر شراً فتذهب الأيام حتى يظهر الله له شراً، وقال عليه السلام : وروى لا يقبل الله عمل عبد وهو يضمر فى قلبه على مؤمن سوءا».

فلا تضمر الشر فإنّ له آثاراً سيئه على نفسک، لإنک إن فعلت أتيت حراماً، وإن لم تفعل فإن كنت مصراً ولم تتمكن من فعله بُعِثْتَ على هيئه شريره وهى هيئه الشيطان - نعوذ بالله منه - إلا إذا حبستها عن فعله مع التمكن. فلماذا تنتن جسدک وتتلف نفسک وتحبط عملک؟ كان أحد المؤمنين إذا حصل بينه وبين بعض خللاً استغفر له فى صلاه الليل ليتوفق صاحبه إلى التوبه ويغسل المُستَغْفِرُ قلبه من نيه الشر التى تلبست بها نفسه، فلينظر مضمر الشر إلى وجهه ونفسه كيف يكون منظره بشعاً؟ سيتمثل له الذئب والسبع وكل حيوان ضارٍ؛ لأنه لا يعرف سوى التآمر والتخطيط للقتل أو انتهاک حرمات الآخرين، ولتعلم بأنّ الشر سيكون عندک ملكه لا تسيطر بها على فعالک فيؤثر ذلک حتى على علاقتک مع زوجک وابنک وكل قريب، فهل هذه حياه بالله عليک؟! فَتَعَلَّمْ... .

فنحن وإن أمرنا أئمتنا عليهم أفضل الصلاه والسلام بالتقيه إلا أنهم مع ذلک أمرونا بعدم إضمار نيه الشر لأحد؛ لأنه خلق ذميم يوصل المتخلق به إلا الوحشيه وشرب الدماء ونشوء حاله حب القتل شيئاً فشيئاً، كما هو معلوم من اتصاف بعض به كالنواصب الذين ينقمون على المسلمين حب آل البيت عليهم الصلاه والسلام، فيقتلونهم ويسممون طعامهم وماءهم ويشردون بهم لا لشىء إلا لحب آل البيت الأطهار.

فالتقيه مشروع غير متكامل إذا نظرنا إليه من زاويه واحده، وأما من زوايا ارتباطه بكل مفاصل الدين فهو مشروع أخلاقى تربوى، وسترى ذلک آخر المطاف.

فإن أشكل بلعن بعض من يستحق اللعن فجوابه واضح وصريح، من أن الدين ليس فيه

1- (1) . مستدرک الوسائل، ج1ص97 باب کراهیه نیه الشر.

جانب التولى فقط، بل فيه كذلك جانب التبرى، بل إنه يسبق التولى وكما قال الله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ عندها يقال عنه: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى (البقره: من الآيه256). نعم هذا التبرى إذا كان لله تعالى فهو، وإلا - أى إذا كان حاصلاً بسبب الخلاف بين الطرفين - فهذا غير مشروع؛ لأنه يتطلب قصد القربه.

وسيأتى إن شاء الله تعالى آخر الكتاب تفصيل أكثر من ذلک بكثير أخرته لمصلحه أوفر، فتابع ذلک على بركه الله تعالى.

2. آثارها الاقتصاديه والسياسيه

من الجدير بالذكر أنّ للجانب الاقتصادى ارتباطاً وثيقاً بالجانب السياسى وكلاهما لهما ارتباط بالجانب الاجتماعى. وعليه فإذا تعرضت أى أمه إلى تهديد خارجى فإنما يكون الرد بحجم توافق أبناء تلك الأمه، وذلك عند تناسى المشاكل الداخليه وصولاً إلى هدف أسمى. فإذا ضعفت الأمه اقتصاديا يسهل السيطره عليها.

وواقع الأمه بعد نبيها أنها كانت مستمده عظمتها من وجوده الشريف بين ظهرانيها، ولم تدم هذه البركه طويلاً، بل رفعت شيئاً فشيئاً إلى الحد الذى نرى عليه هذه الأمه اليوم، وما كان ذلک إلا بسبب تجاوز جاده الصواب وترک حبل الله تعالى الذى أُمِرْنا بالاعتصام به.

ومن الجدير بالذكر أنّ الذى كان يدفع ثمن المحافظه على هذا الكيان هم الشيعه، كما أنهم كانوا القوه التى تلجأ إليها الأمه فى الطوارئ، ومع كل ذلک نتعرض نحن إلى ما نتعرض إليه، وإليه تعالى المشتكى ومنه نستمد العون ونصبر لنوفى أجور الصابرين الصادقين.

جاء ذكر هذه الحادثه التى نقلتها كتب التاريخ ونقلها عنها عبد الحليم الجندى فى كتابه الإمام الصادق عليه السلام قال: (1)

روى الكسائى، دخلت على الرشيد فقال: هل علمت أول من سن الكتابه على الذهب والفضه؟ قلت: عبد الملک بن مروان. قال: ما السبب؟ قلت: لا أعرف. قال: كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر على دينهم. وكانت تطرز (أباً وابناً وروحاً) وتخرج من مصر تدور فى الآفاق. فأمر عبد العزيز - وكان عامله على مصر - بإبطال ذلک. وأن تطرز بصوره التوحيد. مشهداً الله ألا إله إلا هو. فلما وصلت

1- (1) . الامام الصادق،. ص141.

القراطيس إلى ملک الروم کتب إلى عبدالملک: إن لم يرد هذا الطراز على ما کان عليه فسينقش على القراطيس شتم النبى. فاستشار عبد الملک، فلم يجد عند أحد رأيا، فاستشار الباقر [عليه أفضل الصلاه والسلام]، فقال له: لا يعظم عليک هذا الأمر من جهتين. الأولى: أنّ الله تعالى لم يکن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم. والثانيه: أن تتهدد من يتعامل بغير دنانيرک، فلما علم ملک الروم أنّ دنانيره سيبطل التعامل بها إن حوت شتماً، کفّ عما تهد به.

والقصه معروفه فلتراجع فى محلها حيث نقلها السيد محمد کلانتر. (1)

فهذا هو الحال الذى وصلت إليه الأمه الإسلاميه بعد تسلط بعض على رقاب الناس، والغريب أنّهم يعرفون أنفسهم حق المعرفه بأنّ من مثل هذه المعضلات لا تحل إلا بأهلها.

وخلاصه القول إنّ الإمام الباقر صلوات الله تعالى عليه ترک ما فعله هؤلاء - متناسياً - بأجداده، بل هم الذين رفعوا الصلاه على الآل کما مر فى هذا الکتاب، وکان فعله هذا مداراه لحفظ الدين وأتباعه وإن کانوا بالتسميه فقط.

ومن مثل هذه المواقف تتضح أخلاقيه هذه المدرسه العظيمه وقوتها وعلو منزلتها، فهم صلوات الله تعالى عليهم وجود واحد يسلک منهجاً واحداً.

ومن باب المثال أيضاً أود أن انقل هذا الکلام عن ابن الجوزى؛ لأنّ هناک من يقول: إنّ الفتوحات کانت لغير على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليهما، ولکن الواقع ليس کذلک، فقد نقل: (2)

«أنه لما ولى عمر رضى الله عنه قال لعلى رضى الله عنه: اقض بين الناس وتجرد للحرب»، وکان بإمکانه أن يرفض التعامل معهم، ولکن أبت أخلاق على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليهما وکذا مدرسته أن يتصرف تصرفاً يسىء إلى الدين، وهو الذى لم يعاقب الذين هجموا على دار الزهراء (3)صلوات الله تعالى عليها على أقل تقدير، اجتهادا منه للعمل بقاعده أخفّ الضررين.

وجاء دور حکمه واشتبکت ضده سيوف القوم وحرابهم، ووقف ذلک الموقف بعد إلقاء الحجه عليهم ولم يبدؤهم بقتال، ولکنهم أصروا على حربه إلى أن وصل الحد بمعاويه بن

1- (1) . فی تعلیقته علی شرح اللمعه،50/1 فی مبحث الدرهم البغلی، نقلا عن کتاب الحیوان، للدمیری، 63/1 عن کتاب المحاسن والمساوئ، لإبرهیم بن محمد البیهقی.
2- (2) . المنتظم (حتی752ه-)136/4.
3- (3) . الحادثه مشهوره مذکوره فی کتب التاریخ، بل ماتت صلوات الله عزوجل علیها وهی واجده علی بعض الصحابه، راجع کتاب مأساه الزهراء للسید جعفر مرتضی العاملی، فقد رفع عنا مؤونه البحث هناک وأوصیک بمطالعته فإنه مهم لمعرفه الحقیقه.

أبى سفيان إلى مصالحه ملک الروم بعد تهديد حدود دولته، وإلا فمن له الجرأه على تهديد الدوله الإسلاميه وأمير المؤمنين على صلوات الله تعالى عليه كان موجوداً، ولكن انشغاله بحروب ابن هند التى أججها ضد المؤمنين خلقت هذا الجو، فاضطر ابن أبى سفيان إلى دفع ضريبه من بيت مال المسلمين. (1)

أى إسلام هذا الذى يرضى بمحاربه من قام الإسلام ببطولاته ودَعْم أبيه أبى طالب صلوات الله تعالى عليه للنبى الأكرم صلوات الله تعالى عَليه وآله، ودفع ضريبه ممن يدعى الإسلام لمن لم يؤمن بالرساله، بل كان هو ومن قبله قد قاتل أهل هذا الدين لكى يتفرغ لحرب وصى الرسول المبلغ لها!! واعجباً كل العجب لمن يترضى عليه ويجعل سيرته منبعاً من منابع استنباط الأحكام الشرعيه.

فموقف معاويه هذا هو الذى أحدث هذا الخلل على حدود الدوله الإسلاميه وصيرها بهذا المحل. وما آلت إليه الأمه الإسلاميه من تلاحق المصائب والفتن عليها كل ذلک بسبب الانشغال بعض ببعض.

والواقع الذى نعيشه نحن - المسلمين - هذه الأيام هو نتيجه ذلک الخلاف والاختلاف.

وأمثله أخرى على مداراه أتباع مدرسه الآل الأطهار صلوات الله تعالى عليهم للأمه التى تقتلهم وتشرد بهم، ثم نراهم يقفون موقفاً مشرفاً للحاجه إليهم، ونجدهم السباقين لكل خير والكفؤ لحل كل معضله، فهذه حادثه نقلها الأمينى قدست نفسه فى كتابه الغدير (2) قال فيه: (وكان قيصر بعث إلى معاويه بعلج من علوج الروم طويل جسيم، معجباً بكمال خلقته وامتداد قامته، فعلم معاويه أنه ليس لمطاولته ومقاومته إلا قيس بن سعد بن عباده، فإنه كان أجسم الناس وأطولهم، فقال له يوماً وعنده العلج: إذا أتيت رحلک فابعث إلىَّ بسراويلک. فعلم قيس مراده فنزعها ورمى بها إلى العلج والناس ينظرون فلبسها العلج فطالت إلى صدره، فعجب الناس وأطرق الرومى مغلوباً، وليم قيس على ما فعل بحضره معاويه فأنشد يقول:

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

وألاّ يقولوا: غاب قيس وهذه سراويل عاد قد نمته ثمود

1- (1) . تاريخ اليعقوبى217/2- تاريخ خليفه بن خياط، 205- أزمه الخلافه والامامه، أسعد وحيد القاسم164- تاريخ اليعقوبى26/2- أزمه الخلافه والامامه، أسعد وحيد القاسم 287- معالم الفتن، سعيد أيوب،76/2- مروج الذهب، 418/2 - الطبرى، 186/6.
2- (2) . الغدير،108/2.

وإنى من القوم اليمانين سيد وما الناس إلا سيد ومسود

وبز جميع الناس أصلى ومنصبى وجسم به أعلو الرجال مديد

ورواها ابن كثير فى البدايه والنهايه (1) بتغيير فيها ثم قال:

وفى روايه: أن ملک الروم بعث إلى معاويه برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم والآخر أطول الروم: فانظر هل فى قومک من يفوقهما فى قوه هذا وطول هذا؟ فإن كان فى قومک من يفوقهما بعثت إليک من الأسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن فى جيشک من هو أقوى وأطول منهما فهادنّى ثلاث سنين. فلما حضروا عند معاويه قال: من لهذا القوى؟ فقالوا: ما له إلا أحد رجلين إما محمد بن الحنفيه أو عبد الله بن الزبير، فجىء بمحمد بن الحنفيه وهو ابن على بن أبى طالب، فلما اجتمع الناس عند معاويه قال له معاويه: أتعلم فيم أرسلت إليک؟ قال: لا. فذكر له أمر الرومى وشده بأسه، فقال للرومى: إما أن تجلس لى أو أجلس لک، وتناولنى يدک أو أناولک يدى فأيّنا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه وإلا فقد غلب. فقال له: ماذا تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الرومى: بل اجلس أنت. فجلس محمد بن الحنفيه وأعطى الرومى يده، فاجتهد الرومى بكل ما يقدر عليه من القوه أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلک ولا وجد إليه سبيلاً، فغلب الرومى عند ذلک وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب، ثم قام محمد بن الحنفيه فقال للرومى: اجلس لى, فجلس وأعطى محمداً يده، فما أمهله أن أقامه سريعاً ورفعه فى الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسّر بذلک معاويه سروراً عظيماً، ونهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاها لذلک الرومى الطويل، فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخط بالأرض، فاعترف الرومى بالغلب وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاويه.

وعلق الشيخ الأمينى أعلى الله تعالى مقامه قائلا: «يستفيد القارئ من أمثال هذه الموارد من التاريخ أنّ أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم كانوا هم المرجع لحل المشكلات من كل الوجوه، كما أنّ مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام كان هو المرجع الفذ فيها لدى الصدر الأول». وأقول: نعم وهكذا هم على مر العصور وسيأتى من ذلک ذكر لموقف الشيعه فى هذا العصر إن شاء الله تعالى. على أنه هناک من يستسخف مثل هذه الأمثله فجوابه واضح: وهو أنه إذا كان فى مثل هذه الأمور لم يجدوا حلاً فكيف بالمعضلات؟ فتدبر... .

وأعود قائلاً: لولا الموقف السياسى المهزوز الذى كانت عليه الأمه بسبب أصحاب

1- (1) . البدايه و النهايه، 103/8.

الكراسى والمناصب لما تآكل مجد هذه الأمه العظيمه، التى بنيت بتضحيات ودماء محمد وآل محمد صلوات الله تعالى عليهم والمخلصين من اتباعهم وفعل بهم ما فعل من سخريه الأمم الأخرى.

فهب يا معاويه ويا أصحاب الجمل أنّ على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليه - وحاشاه - كان قد أخذ ما ليس له هو أو جماعه من أتباعه، فهلا تصرفتم مثله وأنتم الذين هجمتم على داره وتعرضتم لكرامه بيت النبى صلوات الله تعالى عليه وآله؟

ولا حول ولاقوه إلا بالله العلى العظيم

ص:141

ص:142

الباب الرابع: تحلیل

اشاره

ص:143

1. موقف وتحليل

اشاره

هناک محاوره حصلت بين عبد الله بن عباس وبين عمر بن الخطاب إبان فتره حكمه، أستفيد منها ربطاً بحادثه أتصور أنّها هى التى شكلت سبباً رئيساً تاريخيه ثانيه عن أهل البيت عليهم أفضل الصلاه والسلام، ولأهميتهما فى نظرى أتطرق إليها والحكم للقارئ المنصف.

المحاوره

نقلت هذه المحاوره عن مصادر المسلمين، (1) إذ قال عمر فى حديث طويل دار بينهما:

يا بن عباس، أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد [صلى الله عليه وآله وسلم]؟ (قال ابن عباس): فكرهت أن أجيبه، فقلت له: إن لم أكن أدرى فإنّ أمير المؤمنين يدرى، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوه والخلافه فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّق- (قال)-ت: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لى فى الكلام وتمط عنى الغضب تكلمت، قال: تكل- (قال ابن عباس)-م: أمّا قولک يا أمير المؤمنين: اختارت قريش... فقال عمر: هيهات يا بن عباس، قد كانت تبلغنِى عنک أشياء أكره أن أقرّک عليها، فتزيل منزلتک منى... فقال عمر: بلغنى أنک تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً... فقال عمر: هيهات هيهات، أبت و الله قلوبكم يا بنى هاشم إلا حسدا لا يزول. (قال) فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا... .

1- (1) . هى: (المراجعات، السيد شرف الدين ص394 -الكامل فى التاريخ، لابن الأثير ج3ص24؛ آخر سيره عمر من حوادث سنه 23 - وفى شرح النهج، لابن أبى الحديد ج3 ص107 - تاريخ الطبرى، ج4ص223، ج2ص289 ونقلها المستبصرون فى كتبهم).

إنّ عمر بن الخطاب قد جاءته أخبار وليس خبراً واحداً أنه يتكلم بها بين الناس: «تبلغنى عنک أشياء أكره أن أقرّک عليها».

فأنقلها عن منهاج السنه النبويه ابن تيميه، (1) وإن كانت منقوله فى المصادر الأخرى أيضاً حيث نقل صاحب الكتاب قائلاً:

فى حديث عمر هذا فى خطبته المشهوره الثابته فى الصحيح، التى خطب بها مرجعه من الحج فى آخر عمره، وهذه الخطبه معروفه عند أهل العلم وقد رواها البخارى فى صحيحه عن ابن عباس، قال: كنت أقرىء رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا فى منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب فى آخر حجه حجها إذ رجع إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لک فى فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فو الله، ما كانت بيعه أبى بكر إلا فلته فتمت، فغضب عمر ثم قال: إنى إن شاء الله لقائم العشيه فى الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، فقال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وإنهم هم الذين يغلبون على قربک حين تقوم فى الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقاله يطيرها عنک كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينه فإنها دار الهجره والسنه فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول مقالتک متمكناً فيعى أهل العلم مقالتک ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما و الله، إن شاء الله لأقومن بذلک أول مقام أقومه بالمدينه، قال ابن عباس: فقدمنا المدينه فى عقب ذى الحجه فلما كان يوم الجمعه عجلت بالرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتى ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولنَّ العشيه مقاله لم يقلها منذ استخلف، فأنكر علىَّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنّى قائل لكم مقاله قد قدر لى أن أقولها لا أدرى لعلها بين يدى أجلى، فمن عقلها ووعاها فليحّدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علىَّ، إن الله بعث محمداً صلى الله عليه [وآله] وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آيه

الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن

1- (1) . منهاج السنه النبويه، ج5ص469.

يقول قائل و الله، ما نجد آيه الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترک فريضه أنزلها الله، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينه أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم... ثم إنه بلغنى أن قائلاً منكم يقول: و الله، لو مات عمر لبايعت فلاناً فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعه أبى بكر فلته فتمت، ألا وإنها قد كانت كذلک ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر من بايع رجلا من غير مشوره من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغره أن يقتلا... . (1)

خلاصه هذه الحادثه

أنّ عمر قال: «ثم إنه بلغنى أنّ قائلاً منكم يقول: و الله، لو مات عمر لبايعت فلاناً».

فمن خلال ما قاله عمر بن الخطاب فى الحادثه الأولى: «فقال عمر: هيهات يابن عباس قد كانت تبلغنى عنک أشياء أكره أن أقرّک عليها فتزيل منزلتک منى، وقوله فى الثانيه: «ثم إنه بلغنى أنّ قائلاً منكم يقول: و الله، لو مات عمر لبايعت فلاناً فلا يغترنّ امرؤ أن يقول إنما. يتضح أنّ المتكلم هو ابن عباس. نعم، نقل صاحب المراجعات أعلى الله تعالى مقامه عن القسطلانى فى تفسيره لهذا القول (2) نقلاً عن جده البلاذرى أنّ القائل هو ابن الزبير. والواقع أنّ ابن الزبير كان من المتشددين ضد على صلوات الله تعالى عليه، كما صرح بذلک هو فى حرب الجمل، وقيل: هو الزبير، وقيل، لم يصرح باسم القائل ولكن صرح باسم من سيبايع لو مات عمر، وعلى ما جمعت من قرائن يتضح أنّ القائل هو ابن عباس وأنه يريد بيعه مولى الموحدين صلوات الله تعالى عليه - ولست فى مقام اتهامه - وإنّما وكما نوّهت عنه، فإنه من باب جمع القرائن ليس غير، وإن لم يكن هو القائل غفر الله لنا وله - و الله تعالى هو العالم.

تحليل لما ورد

أياً كان المتحدث فى الحادثه الثانيه خاصه، وكل ما حصل من محاورات بين الأطراف

1- (1) . وورد ذلک أيضاً فِي: (منهاج السنه النبويه، ابن تيميه، ج5، ص471\ج8ص277- غوامض الأسماء المبهمه، ابن بشكوال، ج1، ص383- مقدمه فتح البارى، ابن حجر ص338- السيره النبويه ابن هشام ج6، ص78، ص79-تاريخ الخلفاء السيوطى، ص67-السيره الحلبيه، ج3، ص490- الإكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله، الكلاعى الأندلسى ج2، ص438، ص440- الصواعق المحرقه، ابن حجر الهيتمى، ج1، ص31- معارج القبول، الحكمى ج3، ص1132- فلک النجاه على محمد فتح الدين للحنفى ص117).
2- (2) . تفسير القسطلانى، ج11ص352.

المهتمه بصرف الخلافه عن أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه التى تنقل الكلام أولاً بأول لعمر بن الخطاب، وبين الأطراف التى ترغب عنه إلى غيره، وكذلک بين الثانيه وبين عمر بن الخطاب غير منظور فيها جانب السكوت والتقيه، فلم يجد عمر بن الخطاب بدّاً من ترتيب يصرف الأمر عن ذيه بواسطه أشخاص يتم تعيينهم لهذا الغرض، وقد نجح فعلاً هذا التيار، وبسبب ذلک دفعت الأمه الإسلاميه الثمن باهضاً نتيجه عدم التروى والتريث فى إلقاء الكلام وعدم تشخيص المقام. فلعله و الله العالم لو لم يذع أصحاب هذه المقالات ما كانوا يكنون فى صدورهم لما حصل ما حصل وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ (الحجرات: من الآيه5).

- فلا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم -

ص:148

الباب الخامس: جذور المواجهه

اشاره

ص:149

ص:150

ابتلى النبى الأكرم صلوات الله تعالى عليه وآله بثلاثه أنماط، وهم أعداء الله من الكفار من جهه وبزمره المنافقين الذين تلبسوا بلباس الإسلام من جهه ثانيه، والذين فى قلوبهم مرض من جهه ثالثه، قال تعالى فى عده مواضع من الكتاب العزيز: فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَهٌ (المائده:من الآيه52)، إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ (الأنفال:من الآيه49)، وَ أَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ (التوبه:125)، لِيَجْعَلَ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ فِتْنَهً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَهِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظّالِمِينَ لَفِى شِقاقٍ بَعِيدٍ (الحج:53)، وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً (الأحزاب:12)، لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَهِ لَنُغْرِيَنَّکَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَکَ فِيها إِلاّ قَلِيلاً (الأحزاب:60)، فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْكَمَهٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ (محمد:من الآيه20) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغانَهُمْ (محمد:29)، وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِكَهً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاّ فِتْنَهً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً كَذلِکَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّ هُوَ وَ ما هِىَ إِلاّ ذِكْرى لِلْبَشَرِ (المدثر:31)، وأما فى المنافقين فقد جاء فيه ما جاء، فعمل هؤلاء جاهدين لتدمير الدين، ولكنهم لم يتمكنوا من النيل منه.

ولم يقتصر ذلک على عصر النبوه، بل امتدَّ ذلک إلى عصر الإمامه، ولكنّه فى معظم الأحيان أخذ لوناً آخر من التنوع، فليس كل المخالفين للإمام يحكم بكفرهم فى الدنيا، ففى كثير من الحالات كانوا يتشهدون الشهادتين إلا النواصب والغلاه والخوارج، فهؤلاء حكمهم معلوم عند جميع طوائف المسلمين.

ففى عصر كل إمام من الأئمه صلوات الله تعالى عليهم نشاطاً ملحوظاً لتيار أو تيارات تقف بوجهه ووجه أتباعه، سواء أكان من الداخل أم الخارج أم كلاهما معاً وحتى يومنا هذا. هذه التيّارات تأخذ طابعاً دينيّاً وهو فى الحقيقه غطاء تتسّتر به، ولكن حقيقه التحرک ناشئه من دوافع سياسيه، وذلک إما بتوجيه الناس وحثهم على اتباع المدعين والمنحرفين أو ادعاء الإمامه لغير أهلها وما شاكل ذلک، نعم، قد يكون التحرک بسبب انحرافات عقائديه ولكنّها أخيراً تنجر إلى هذه النتيجه، وبالتالى تتركز مهمتها على التعرض للتشيع، فيرمى هذا المبدأ العظيم من قِبَلِ هذه الحركات أو بسببها بِتُهَمِ الغلو والقول بتحريف القرآن وفارسيه التشيع وانتهاج النفاق والزنا وشتم الصحابه وتكفير المسلمين وغير ذلک من التهم الواهيه المردوده على أصحابها، بل إنّ معظم هذه التهم مطلقها أولى بها من غيره.

ومن خلال تلک الانحرافات - كما تقدم - توجه الضربات لهذه المدرسه الأصيله بشكل أو بآخر من أجل إذابتها، ولكن ذلک ليس بيد أحد إنما هو التشيع وهو صنيعه الله تعالى ورسوله صلوات الله تعالى عليه وآله ولابد من حفظه إن شاء الله العزيز.

1. من تأريخ التشّيع

اشاره

لقد عاش أهل هذه الطائفه - أئمةً وأتباعاً - ظروفاً قاسيه ومعاناه لأقسى وأشد أنواع العذاب وأحلک الأيام فی کل مکان ومرّت وجرت علیهم الویلات.

وهذا التاریخ یحدثنا بما فیه، حیث امتلأت صفحاته بنزیف من الدماء وجرائم وهتک الحرمات بین أسطره، وإن لم یکن لیبدها بشکل مرکز وعلنی، إما خجلاً من هذا الفعل المشین أو تدلیساً ممن کتبه، علی أنه ظهر أیضاً مع کل هذا وذاک کما أشرت بین الأسطر مُعَلّلاً ذلک بحجج لا تخفی علی اللبیب. فکلما تأتی دوله تمسک دفه الحکم وتتولی زمام الأمور تقوم باستخدام هذا الأسلوب البشع الذی یأباه الدین وتأباه الإنسانیه.

وفی مثل هذه الظروف العصیبه لا اعتقد أنّ عاقلاً یأتی ویتکلم ویظهر عقیدته لمن عاداه ولا یتردد فی قتله، بل یتحیّن الفرص لذلک، فلا بد من طریق لحمایه النفس والعرض من هذه الذئاب البشریه التی لا یهمها سوی الجلوس علی الکرسی؛ لیکون خلیفه أو والیاً أو مدیراً أو مدرّساً أو موظفاً أو حتی مراقباً لصف أو لکی یشتری قمیصاً مستعملاً - وهذا هو دیدن عبده الأحزاب والکراسی الذین یفعلون کل شیء من أجل هذه المناصب - ولو کان ذلک علی حساب انتهاک حرمات الآخرین کما حصل ویحصل. وهذا هو الواقع وما جری علی آل محمد صلوات الله تعالی علیهم وعلی شیعتهم.

وکان سلاطین الجور من بنی أمیه وبنی العباس وولاتهم وغیرهم یُقتّلون الشیعه ویطاردونهم تحت کل حجر ومدر ومغاره، فأخافوهم وأرعبوهم وقطعت الأیدی منهم

والأرجل، وصلبوا فی جذوع النخل، وسملت أعینهم، وطوردوا وشرّدوا ونفوا. (1) بل حدثت أهوال کثیره حتی بعد وفاه النبی صلوات الله تعالی علیه وآله، حیث هجموا علی دار الزهراء وأسقطوا جنینها، وإن شئت التفصیل راجع کتاب السید جعفر مرتضی العاملی فی کتابه مأساه الزهراء علیها السلام، وتعاملوا مع علی بن أبی طالب صلوات الله تعالی علیهما أسوأ المعامله.

واعتدی فی زمن أحدهم علی عمار بن یاسر بالضرب المبرح، (2) وأما أبو ذر فما کان أقل نصیباً، حیث کانت حصته بعد الأذی النفی إلی أرض الربذه. (3)

وقتال أمیر المؤمنین علی وما فعلوه بابنیه السبطین الحسن والحسین صلوات الله تعالی علیهم أجمعین کافٍ فی قیاس القتل والقتال علی شیعتهم... .

وکتب معاویه إلی الأمصار أن برئت الذمه ممن روی حدیثاً فی فضل علی بن أبی طالب صلوات الله تعالی علیهما أو فی أهل بیته (4).

وسنّ لعن أخی رسول الله صلی الله تعالی علیه وآله، (5) بل وکما مرَّ سابقاً رفعوا الصلاه عن آل محمد صلوات الله تعالی علیهم.

کل ذلک یریدون أن یستأصلوا الشیعه فاستسهلوا فیهم کل شقوه وقسوه، واستقرؤوهم فی البلاد فطنب علیهم الخوف وأحاط بهم الهلع والرعب فی کل النواحی، بحیث لو کان

1- (1) . والتاریخ یعید نفسه کما هو حاصل الآن ویحصل قتل وتهجیر وتمثیل بالجثث.
2- (2) . الأنساب، للبلاذری، 48/5.
3- (3) . ملحق المصادر بعنوان نفی أبی ذر رضوان الله تعالی علیه، ص241.
4- (4) . راجع شرح نهج البلاغه، لابن أبی الحدید، ج11ص44 نقلاً عن کتاب الأحداث، للمدایینی. وللمزید قد جاء فی السیده فاطمه الزهراء محمد بیومی، ص89: وحتی بلغ من تقیه المحدث إذا ذکر حدیثا عن علی بن أبی

طالب عليه السلام ، كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش، وفعل رجل من قريش، ولا يذكر علياً عليه السلام ، ولا يتفوه باسمه. ومن ذلک - مثلاً - ما يرويه الحاكم فى المستدرک عن مالک بن بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير، فقلت: يا أبا عبد الله، من كان حامل رايه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؟ قال: فنظر إلىّ وقال: كأنک رخى البال، فغضبت وشكوته لإخوانه من القراء، فقلت: ألا تعجبون من سعيد: إنى سألته من كان حامل رايه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فنظر إلىّ وقال: إنک لرخى البال، قالوا: إنک سألته وهو خائف من الحجاج، وقد لاذ بالبيت فسله الآن، فسألته فقال: كان حاملها على، هكذا سمعته من عبد الله بن عباس. ويبدو لى فى أكبر الظن، أنّ معاويه لم يعد يأبه بأحد فى تطاوله على الإمام على وأهل البيت الطاهرين، حتى أعرف الناس به والإمام على من أكابر الصحابه، روى أنّ معاويه حج فمرّ بالمدينه فدعا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه - أحد العشره المبشرين بالجنه وبقيه أصحاب الشورى، وكان قد اعتزل الفتنه، ولم يبايع عليا - وأخذا بأطراف الحديث، وغرّ معاويه إقبال سعد عليه، فشرع فى سب الإمام على، وقال لسعد: ما يمنعک أن تسب أبا تراب، فبان...).. ثم يمكنک مراجعه كتب التحول إلى طريق أهل البيت فى هذه الأحداث وغيرها مما سيأتى كمعالم الفتن لسعيد أيوب وغيره.

5- (5) . راجع ملحق المصادر، ص241.

يقذف الشيعى باليهوديه لكان أسلم له من انتسابه إلى الأمه، (1) حتى أنّ الناس كانوا لا يتسمون باسم على أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه خوفاً من السفاحين.

وقد قتل بسر (2) بعد التحكيم ثلاثين الفاً عدا من أحرقهم بالنار. وأتلفت ذرارى رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله كذلک، وبنوا عليهم الاسطوانات وقتلوهم وشرَّدوهم، بل ومنهم من أراد أن يحرقهم بالنار ولم يرحم حتى الطفل الصغير ولا الشيخ الكبير. وما فعله سمره بن جندب فليس بقليل. (3)

وكان من أشدِّ العصور عصر زياد وابن زياد والحجاج، حيث قتل من الشيعه أكثر من مائه ألف، وهذا هو الذى قتل كميل بن زياد رضوان الله تعالى عليه عامل على عليه السلام على هيت فيمن قتل منهم.

وأما مصعب الذى سماهم الحسينيه، فهو الآخر تتّبع الشيعه بالكوفه وغيرها وقتلهم، وضيّق الأمر على أهلها، وظفر بالمختار وقتله واحتز رأسه، وقطّع أعضائه وجلس فى قصر الإماره.

كان الشيعه يعيشون هم والأئمه صلوات الله تعالى عليهم هذه الظروف القاسيه والعصيبه.

وأفتى نوح افندى فى وجوب مقاتله الشيعه وقتلهم ونهب أموالهم وسبى نسائهم وذراريهم، وهو معلوم من كتب التاريخ.

وكذا فعل أبو مسلم بهم، حيث كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى قتلهم وملاحقتهم وألقوا بأطفالهم فى نهر دجله، حتى ماتوا. إلى غير ذلک من المآسى التى صبّها العباسيون على المؤمنين، حتى أنه سم المأمون الرضا عليه السلام فقتله، وقد كان قتل الفضل بن سهل وجماعه من الشيعه.

ورمى الشيعه بالزندقه ليقتلوا تحت هذا الغطاء، وكان ذلک دأبهم ومن باب المثال فليراجع القارئ ما فعله المهدى العباسى بهذا الصدد.

ولا يخفى ما فعله المتوكل العباسى بزائرى مرقد الإمام الحسين صلوات الله تعالى عليه، وكذا بنفس القبر الشريف.

1- (1) . ولحد الآن يتصلون بإسرائيل فى الدول العربيه ويتفقون لا من أجل شىء إلا لكى لا يقال: بأغلبيه الشيعه فى العراق فيكون تمثيلهم فى مجلس النواب بالغالبيه.
2- (2) . للاطلاع على شخصيه بسر وما أحدثه راجع ملحق المصادر، ص233.
3- (3) . راجع ملحق المصادر، ص234.

وكان الجمهور يستعينون بالجند ضد الشيعه، حيث حصلت مجازر رهيبه وقتل جماعى بشكل وحشى كما فى إشعال النار فى أحيائهم السكنيه وأسواقهم، حتى قتل الكثيرون منهم كما فى سنه 363ه- من أجل إقامتهم لشعائرهم. (1)

كان أهل المدينه ثلاث طوائف شافعيه وهم الأقل، وحنفيه وهم الأكثر، وشيعه وهم السواد الأعظم، لأنّ أهل البلد كان نصفهم شيعه، وأما أهل الرستاق فليس فيهم ألا شيعه وقليل من الحنفيين، ولم يكن فيهم من الشافعيه أحد، فوقعت العصبيه بين السنه والشيعه فتضافر عليهم الحنفيه والشافعيه وتطاولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعه من يعرف، فلما أفنوهم وقعت العصبيه بين الحنفيه والشافعيه ووقعت بينهم حروب كان الظفر فى جميعها للشافعيه، هذا مع قله عدد الشافعيه إلا أن الله نصرهم عليهم وكان أهل الرستاق وهم حنفيه يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاک ويساعدون أهل نحلتهم فلم يغنهم ذلک شيئاً حتى أفنوهم، فهذه المحال الخراب التى ترى هى محال الشيعه والحنفيه، وبقيت هذه المحله المعروفه بالشافعيه وهى أصغر محال الرى ولم يبق من الشيعه والحنفيه إلا من يخفى مذهبه، ووجدت دورهم كلها مبنيه تحت الأرض ودروبهم التى يسلک بها إلى دورهم على غايه الظلمه وصعوبه المسلک؛ فعلوا ذلک لكثره ما يطرقهم من العساكر بالغارات ولولا ذلک لما بقى فيها أحد... . (2)

وقال ابن الأثير: (3) فى هذه السنه فى المحرم قتلت الشيعه بجميع بلاد أفريقيه، وكان سبب ذلک أن المعز بن باديس ركب ومشى فى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له، فاجتاز بجماعه فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضه يسبون أبا بكر وعمر، فقال رضى الله عنه: أبا بكر وعمر فانصرفت العامه من فورها إلى درب المقلى من القيروان وهى تجتمع به الشيعه فقتلوا منهم، وكان ذلک شهوه العسكر وأتباعهم طمعاً فى النهب، وانبصطت أيدى العامه فى الشيعه وأغراهم عامل القيروان وحرضهم، وسبب ذلک أنه كان قد أصلح أمور البلد فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده فقتل من الشيعه خلق كثير وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا فى جميع أفريقيه، واجتمع جماعه منهم إلى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به

1- (1) . راجع ملحق المصادر، ص243.

2- (2) . الأربعين البلدانيه، ابن عساكر117/3.
3- (3) . الكامل ابن الأثير114/8- ذكر قتل الشيعه بأفريقيه -.

فحصرهم العامه وضيقوا عليهم فاشتد عليهم الجوع، فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم، ولجأ من كان منهم بالمهديه إلى الجامع فقتلوا كلهم، وكانت الشيعه تسمى بالمغرب المشارقه نسبه إلى أبى عبد الله الشيعى وكان من المشرق وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثه فمن فرح مسرور ومن باک حزين.

والتاريخ المعاصر يكشف لنا ما قام به سلاطين الجور للدوله العثمانيه وكذا باقى الحكومات والدول التى بعدها، ولا أتصور أنه خاف على الناس، حتى أن التعيين فى الدوائر الحكوميه كان يبتنى فى كثير من الأحيان على الأسماء، على أنّ الظلم مستمر لحين أن يجعل الله تعالى لنا الفرج إنه جواد كريم.

المقابر الجماعيه للشيعه حصه الأسد منها

وقد أطلع أهل الأرض على جرائم صدام حسين وأتباعه من مجرمين أو مغرر بهم التى ارتكبتها أياديهم فى دفن الموالين لآل البيت - صلوات الله تعالى عليهم - فى مقابر جماعيه، هذه الجريمه التى راح ضحيّتها النساء والأطفال، الشيوخ والشباب، وكانت أعداد ضحايا هذا النظام من مهاجرين ومهجّرين ومن الذين أعدموا أو دفنوا أحياءً أو بعد قتلهم جماعياً بالأسلحه التقليديه وكذلک بالكيمياويه إلى الملايين، هذا من الشيعه العراقيين فقط غير الإيرانيين والكويتيين (1) - إلا أنه لم يكن الأمر مختصاً بالشيعه من شعب الكويت الشقيقه، حيث تسرب إلى السنه كذلک - هذا غير الذين قدموهم إلى الحيوانات المفترسه وهم أحياء وغير النساء التى اعتدى عليهن اغتصاباً. وكان هذا النظام يجرى تجارب الأسلحه الكيماويه على سجناء الشيعه أو يلقى بهم فى أحواض الأحماض الكيميائيه، وكان ذلک بموافقه وتحريض الغالبيه العظمى من دول العالم.

1- (1) . لا أدرى كيف يعتبر القوميون أن صداماً كان قومياً مع مهاجمته لجميع أهل قوميته، وإلا فإن كان الشيعه فرساً - كما يدعون - فإن الصواريخ والقذائف العراقيه التى ألقيت على الكويت وحفر الباطن لم يكن مكتوباً عليها للشيعه فقط. ولا أدرى لماذا يبقى شيعه العراق متشبثون بالقوميه العربيه، والأمه العربيه ترفضهم، ولماذا لا ينفصلون عن الجامعه العربيه ويشكلون أمه عراقيه شيعه وأكراداً فى اتحاد فدرالى أو كونفدرالى وأما

الأقليه إما يعجبهم أن يبقوا مع الغالبيه أو يرحلوا عن هذه الأرض.. تعسا لأمه تتنصل من أبنائها الذين هم على نهج النبى العربى وآله صلوات الله تعالى عليهم وتحتضن الراقصات، بل تجد أنّ العرب تصالحوا مع إسرائيل وامتنعت إيران. والعجيب يأتى من يريد إرجاع من حارب العرب إلى السلطه؛ لأنه لم يجد مؤيدين يرفعون قائمته لأنّ أحد القوائم اختزلت كل الشيعه فى الانتخابات كما يزعم، فهل يرضى أن تتعامل معه هذه القائمه بنفس ما تعامل معها إن كان هو الفائز؟ كلا...

فلا أتصور أنّ عاقلاً يقوم بإظهار نفسه فى هذا الخضم الموحش المدلهم بين قوم لا يشتهون إلا دماء الشيعه، فلو كان ما حصل مع الشيعه حاصلاً مع غيرهم لاستخدموا كل شىء للخلاص، ولا أعتقد أننا سنجد لهم أثراً أبداً، ولولا بركات آل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين لما كان عددنا الآن كما نحن عليه. فأى دين يرضى لأتباعه الهلاک ولا يجد لهم مفزعاً ومخلصاً من التورط مع مخلوقات فاقت حيوان الغاب وحشيه. (1)

هل من معتبر

هل رجع الذى ينادى بالقوميه العربيه أو غيره ممن يريد قتل الناس إلى التاريخ وتصفّح ما فيه من فضائح؟ هل راجع سنه التشريد والقتل على الهويه ما هى نتائجها؟ هل رأيت من قبلک كيف تسلّط عليهم من لا يرحمهم؟ أين الذين سبقوک؟ هل تقتل المؤمنين وتشرّد بهم؟

إن لم تعتبر فخذ هذه العبره واستفد، حيث قال الله تعالى إن كنت تعرفه: قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّکَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَکَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنا قالَ أَ وَ لَوْ كُنّا كارِهِينَ (الأعراف:88)، وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنا فَأَوْحى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمِينَ (إبراهيم:13)، بتعبير بسيط أرادوا أن يخرجوا المؤمنين من الأرض، والأرض لله وأمثالک السابقون إنما يرحمون بهؤلاء المؤمنين، فقال لهم الله تعالى: اخرجوا وسوف يرى هؤلاء كيف كنت أرحمهم بسبب وجودكم بينهم، فإذا خرج سبب نزول الرحمه حل سبب الغضب... فتمتع أنت حتى حين، وسوف ترى من الذى سيلقى حتفه أنت أم الذى أخرجته من أرض الله تعالى التى سخرها لعباده؟ وسوف ترى لمن تكون عاقبه الدار؟.

1- (1) . والتاريخ يعيد نفسه بارتكاب القتل والتشريد والتعذيب والسجن ضد أهل هذه المدرسه الإسلاميه دون غيرهم، ولا تعجب ففى مثل هذا الزمن حصل ما حصل بهم سوى أنه سابقاً كان بالسيف أما الآن فبالأسلحه الكيميائيه والبيولوجيه وسمّ مواكب الزوار، وحادثه جسر الأئمه التى استخدموا فيها السلاح الكيمياوى وهم ليسوا فى السلطه، فكيف كانوا يتصرفون وهم فيها؟ سؤال يتوجه إلى من يريد إعادتهم أو قد أعاد قسماً منهم إلى الحكم.

2. التعامل مع الأحداث

اشاره

عند تفحص تاريخ المعصومين الأربعه عشر صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فإننا نجد أنهم تعاملوا مع الأحداث تعاملاً يثير التساؤل واقعاً؛ لعدم إمكانيه إحاطتنا بما لديهم وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (الكهف:68). ولا شک أنّ ذلک کله کان طبقاً للمصلحه المشخصه من قبلهم، وفی الحقیقه أنا أعتقد جازماً أنّ من نعم الله تبارک وتعالی علینا أن ما تثار من تساؤلات فی أنفسنا عن سنتهم إنما هی تساؤلات استفهام لإنسان جاهل یرید التعلم منهم لا استفهام مستنکرین کبعضهم أو مبررین لأعدائهم، متخذین هذه التصرفات وردود الفعل منهم دلیلاً علی حقیه من عاداهم. فنراهم مره یدارون فی موقف نحسبه مهماً للغایه، فکیف صدر منهم رد الفعل الکذائی دون غیره وأخری قد نحسبه هیّناً.

ولکن من خلال التفحص نجد أنّ الحاکم فی ذلک هو مصلحه الدین لا المصلحه الشخصیه، فعندما لا تتوقف مصلحه الدین إلا علی التحمل فهو ذاک، کما فی الهجوم علی دار بنت النبی صلوات الله تعالی علیهم أجمعین. فإنّ من الجلی أن الإمام صلوات الله تعالی علیه لم یکن لیتهور ویتصرف تصرفاً یکون ثمنه محق الدین کل ذلک ثأراً لما حصل. والفرق بین الشجاعه والتهور واضح، فالشجاعه ملکه نفسانیه موجوده فی المتصف بها لا یمکن أن تتخلف إلا بزوال الملکه وکذا ضده وهو الجبن، وقد تتوطن النفس علیها فتکون حالاً، وأما التهور فلیس من الشجاعه، وکذلک لیس من العقل بشیء. وهذا هو الذی لم یفهمه من استشکل علی عدم نهوض (1) علی صلوات الله تعالی علیه - وإن کان وحیداً - بوجه من تعرض

1- (1) . هناک من یشکل فیقول: ألا تقولون بشجاعه علی علیه السلام فلماذا لم یستخلص حقه. وجوابه فی قوله تعالی علی لسان

لداره فآثر الصبر على النهوض لما فيه من مصالح للدين، هذا وكذلک تنفيذاً لوصيه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله له بالصبر.

وأنقل من أمثله ما تقدم من سيره النبى صلوات الله تعالى عليه وآله وتصرفه مع الأحداث مثالين، وذلک عندما ارتفع صوت الشيخين عنده فلم يتكلم ولم يغضب، لأنّ المسأله وإن كان مرجعها إلى احترام هذا الوجود المقدس ولكنه لو تكلم أو أبدى غضبه لقيل: إنه ثأر لنفسه وليس ذلک ببعيد، ولكنّ الله تعالى أنزل قرآناً بذلک، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (الحجرات:2) فَعُلِمَ ما حصل، وإن أردت مزيد اطلاع فراجع كتب التفسير لهذه الآيه المباركه، وجاء ذلک فى البخارى فليطلب فى محله 1. وأخرى نجده صلوات الله تعالى عليه وآله غضب عندما جاءه عمر بن الخطاب بصحيفه لليهود، فقرأها عليه صلوات الله تعالى عليه وآله: «فغضب وقال: أمتهوكون فيها يابن الخطاب، والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيه لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبونه». 2 وإلا فبمقتضى ما نراه نحن فإنّ الموقفين يقتضيان نفس ردود الفعل على حساباتنا.

ولم نر النبى الأعظم صلوات الله تعالى عليه وآله قد قتل من أراد قتله ليله العقبه وهم متلبسين بالجرم، وغير ذلک كثير. وهكذا جميع الحجج الطاهرين صلوات الله تعالى عليه وعليهم وذلک من خلال تتبع مواقفهم. فلم يتخذوا الجانب السلبى - كما يدعى - أو اتخذوا التخفى والخضوع بغطاء التقيه، ولم ينكمشوا على حال وسلوک واحد لم يتغير على مدى التاريخ، بل كانت مواقفهم تتغير وفقاً لتغير الموضوعات، فمره جهاد وأخرى تقيه وفى كلا الحالين كانت والتعذيب والتشريد هو النصيب الأوفر، وخير دليل على ذلک مواقف على سبيل المثال لا الحصر:

1. موقف الزهراء بعد وفاه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، وموقفان للإمام على صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فى هذه الفتره، وبعد توليه دفه الحكم.

2. موقفان للإمام الحسن صلوات الله تعالى عليه عند توليه الخلافه، ثم عقد الصلح. ثم الموقف الذى اتخذه الإمام الحسين وأصحابه وأهل بيته صلوات الله تعالى عليهم.

3. أما ثوراتنا فلم تقف، فثوره العشرين شارک فيها مراجع الشيعه من أى بلد، بل إنّ من علماء إيران من شارک فى ثوره العشرين، وشهداء الهيئه العلميه فى النجف الأشرف كالشهيد المرجع الدينى السيد محمد باقر الصدر وغيره من العلماء، من أمثال الشيهد عارف البصرى وخزعل السودانى وعبد الجبار البصرى وأخيه ناظم البصرى وآل المبرقع وآل دخيل وغيرهم كثير منذ بدء عصر الغيبه الكبرى، كانت هناک فترات نهدأ فيها فلا ترى لنا تحركاً ملحوظاً، وتاره تجد هناک ثورات ترتسم على جبين التاريخ بكل فخر واعتزاز، وكله - كما تقدم - كان خاضعاً للظروف التى نعيشها فى ظل الحكام، فاختلفت المواقف بين بلد وآخر وبين زمن وآخر.

الجهاد مره ابتداءً وأخرى دفاعاً

الجهاد مره يكون ابتداً لتوسيع رقعه الدين، وأخرى يكون دفاعاً عنه. ففى كلا القسمين تكلم الفقهاء فى عصر الغيبه فى جوازهما أو عدمه، ومن خلال فتوى أو إذن المجتهد الجامع للشرائط، لما فيه من مسؤوليات تترتب عليه، فقد ينكسر الجيش فينجم عنه كارثه لا تحمد عقباها، أو ينتصر ويبقى حصول مشاكل اجتماعيه واقتصاديه وغيرها أمراً محسوباً، والمعروف لدى الجميع أنّ من نتائج الحروب وقوع أسرى بيد العدو كما ينجم عنه وجود معوقين وشهداء، وهؤلاء لهم أَسَرٌ وعوائل كانوا يدبرون أمرها، ومثل هذه المخلفات لا يمكن تجاهلها، وعليه فإنّ هذا الأمر متوقف على دراسه الجوانب السلبيه للجهاد قبل الإيجابيه كون الفقيه غير معصوم فيمكن أن يرتكب خطأ يجر على الأمه الويلات، فمن مهام الدين أن يوازن بين ذلک كله، وإلا فإنه لا يمكن أن يسمح لقائد أن يتسبب فى هلاک الأتباع دون تعقل للأمور. أما بخصوص الثانى فهذا هو التاريخ بين يدينا، نقرأ فيه تسطير أروع الملاحم لثوراتنا وقوفاً بوجه المستكبرين والظالمين. ومن الملموس فى عصرنا هذا ثوره الجمعه التى فجرها السيد الشهيد المرجع محمد محمد صادق الصدر. وإنّ دخول المحتل

ص:161

كان مقرراً بحسب الاستقراء قبل التاريخ المعروف، وكان تأجيله متوقفاً على قتله وقتلها ومضى فتره لنسيانها. وإنّ لمن بركات هذه الثوره تعثر الاحتلال فى اتخاذ القرارات لوقوف بعض أنصار (1) هذه الثوره البيضاء الحمراء سداً منيعاً بوجه الظلم الذى يحاک ضد هذا البلد، بالرغم من ارتكاب بعض الأخطاء، فالذين ساروا على هذا النهج غير معصومين ولكن عليهم أن يستفيدوا من تجارب غيرهم ويسمعوا لنصح من أحبهم ذلک خير لهم.

ومن عظيم ما سطره الأبطال ممن أقامها كالشهيد الشيخ على الكعبى وغيره - قدست أرواحهم الطاهره - وأتباعهم، وكأهالى مدينه الصدر المنسيه وغيرها من المدن الفقيره الغنيه - التى تعانى من كل النواحى قبل سقوط النظام وبعده لأسباب عديده - فى الوقوف بوجه النظام الذى استخدم الإيرانيين الفارين المعادين للدين لقتل المؤمنين من أبنائنا، ووصل الحد بأنه لو خُيِّرَ أحد من قبل قوات الأمن بين اعتقاله أو إقامه الصلاه تنفيذاً لتوجيه السيد رحمه الله تعالى بإقامتها لاختار اعتقاله، وهذا ليس مدحاً أو تمجيداً لطرف - فقد ينحرف الإنسان آخر حياته - وهذا خير دليل على الثوره، الإقدام والذوبان فى ذات الله تعالى - على الأقل بحسب ظاهر المُقْدِم - فأرجو من الله تعالى للجميع الثبات وحسن العاقبه وعدم الركون إلى ما سبق من العمل لئلا يحرق.

1- (1) . وإن وجدت بعض الأخطاء فلم يدع أحد منهم العصمه.

3. فلسفه التقیه والکتمان

اشاره

ولکی نبقی لما هو أهم وکما فعل عمار رضوان الله تعالی علیه، وقد علمنا أنّ حال آل محمد صلوات الله تعالی علیه وعلیهم وحال أتباعهم فی زمن لم یبعد عن زمن النبی صلوات الله تعالی علیه وآله کثیراً، وقد جری علیهم ما جری وخیر مثال علی ذلک حادثه کربلاء، فقد عبرت أیّما تعبیر عن مجازاه آل البیت الأطهار ومواليهم، بل حرب الجمل وصفین، بل یوم الهجوم علی دار الزهراء، بل اتهام النبی صلوات الله تعالی علیه وآله بأنه یهجر وهو - روحی فداه - مسجی علی فراش الموت.

جاء فی علل الشرائع للشیخ الصدوق (1) عن زراره، عن أبی جعفر علیه السلام قال:

سألته عن مسأله فأجابنی قال: ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنی، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابنی وأجاب صاحبی، فلما خرج الرجلان قلت: یا بن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شیعتک قدما یسألان فأجبت کل واحد منها بغیر ما أجبت به الآخر! قال: فقال: یا زراره، إنّ هذا خیر لنا وأبقی لنا ولکم ولواجتمعتم علی أمر واحد لقصدکم الناس، ولکان أقل لبقائنا وبقائکم، قال: فقلت لأبی عبد الله علیه السلام : شیعتکم لو حملتموهم علی الأسنه أو علی النار لمضوا وهم یخرجون من عندکم مختلفین قال: فسکت فاعدت علیه ثلاث مرات فأجابنی بمثل أبیه. (2)

1- (1) . علل الشرائع، ج2ص395.
2- (2) . (شرح أصول الکافی؛ المازندرانی، ج2ص328- البحار، ج2ص236-الکافی، الشیخ الکلینی، ج1، ص65- وصول الأخیار إلی أصول الأخبار، والد البهائی العاملی، ص170- مستدرک سفینه البحار، الشیخ علی النمازی، ج3، ص157- درر الأخبار، حجازی خسرو شاهی، ص48). ومنه یتبیّن أن المهم هو أصل الإمامه، والإمام المشخص من قبل الله هو العالم بمصالح المؤمنین.

وخير دليل على تلک الظروف التى عاشها الأئمه، بحيث كانوا يتصرفون بهذه الدقه فى إيقاع الخلاف بين شيعتهم، ما نقله ابن حجر العسقلانى فى كتابه سبل السلام (1) فى الذين رفعوا الصلاه على الآل حقداً عليهم. فمتابعه سلاطين الظلم والجور لآل البيت صلوات الله تعالى عليهم ولأتباعهم بلغت مبلغاً يحتم هذا التأكيد على التقيه، فهى وقايه لنا وقد جاء فى البحار: (2) «عن ثابت مولى آل جرير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كظم الغيظ عن العدو فى دولاتهم تقيه حزم لمن أخذ بها، وتحرز من التعرض للبلاء فى الدنيا».

وقد تبيّن من كتب المسلمين أنّ للمؤمن حرمه عظيمه ولم يخول الله تعالى لأحد أن يلقى بنفسه إلى التهلكه، فوضع لنا مخرجاً فمن كان يعتقد بأنه على الحق أياً كان مذهبه على أن يتشهد الشهادتين ويكون مؤمناً بها، فقد جعل له هذا المُؤَمِّن لخلاصه وحسابه عند ربه تبارک وتعالى فعند الله تعالى تجتمع الخصوم.

دوافع التأكيد على التقيه بهذا النحو

من المعلوم أنّ العوامل النفسيه لها تأثير كبير على تصرفات الفرد ومن ثم على المجتمع، بشكل أنت تستطيع أن ترسم صوره للشخص من خلال ما ترى من سلوكه، وأمثلته كثيره من واقع الحياه يمكن لأى واحد منا أن يقع على ذلک، فالمطارد من قبل السلطات فى دوله تستطيع سلطاته النيل منه ترى منه أفعالاً تختلف عما لو كان فى بلد يعيش فيه بحريه تامه.

ومن المعلوم أنّ حياه الشيعه رافقت القتل والتشريد والتعذيب وغير ذلک. فالأجواء والظروف التى أحاطت بهم لم تكن كالتى تمتع بها غيرهم، وبناءً على ما تقدم كان هدف الأئمه من خلال هذا التركيز على التقيه خلق جو نفسى للمؤمنين من حولهم، بأن لا يظهروا أنفسهم مظهراً يدفع ثمنه حمله هذا الفكر إماماً ومأموماً قتلاً وإباده، فإنّ الشجاعه شىء والتهور شىء آخر، وعلى المؤمن أن يدخر نفسه ليوم أشد.

وهذا فى اعتقادى تابع للزمان والمكان، فنرى أنّ الإمام مره يبرز ظاهراً بين الناس، كما حصل فى الكوفه إبان فتره ضعف الدوله الأمويه وتوالى الثورات عليها وبدء نشاط الدوله العباسيه، ثم رجع كما لو لم يكن تحرک من قبل.

1- (1) . سبل السلام، ج1ص193.
2- (2) . بحارالانوار، ج72ص 399.

ولم يكن الإمام ليكتم كل شىء وعن كل أحد، فلو راجعنا كتب الرجال - الجرح والتعديل - الشيعيه لوجدنا بعض الرجال الذين وصفوا بأنهم من أصحاب الأئمه ورووا عنهم صلوات الله تعالى عليهم من أتباع المذاهب - العامه - فيقال فى أحدهم عامِىٌّ روى عن الإمام، وليس هذا فحسب، بل ووثقوهم وقبلوا روايتهم أيضاً. ومن هؤلاء (فى رجال النجاشى (1) أصرم بن حوشب البجلى عامى، ثقه، روى عن أبى عبد الله عليه السلام ، وكذلك (2) الفضيل بن عياض بصرى، ثقه، عامى، روى عن أبى عبد الله عليه السلام ، ويحيى بن سعيد القطان أبو زكريا، (3) عامى، ثقه، روى عن أبى عبد الله عليه السلام - وراجع باقى كتب الرجال - كالفهرست للطوسى وخلاصه الأقوال للعلامه الحلى أعلى الله تعالى مقام علمائنا جميعاً، وإنما أوردت ما تقدم للمثال وليس للحصر.

فالنتيجه إذن أن الأئمه صلوات الله تعالى عليهم كانوا من خلال ذلک يبتغون تعليم أتباعهم وترويضهم على تحمل مصاعب الكتمان، وهو أمر ليس بهيّن واقعاً؛ لأنک تسمع من يشتم سيدک ومولاک وصى النبى الأعظم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وتسلم عليه وتضحک معه، وإن علم ما أنک من محبيه تعرضت للقتل هذا أمر يحتاج إلى مران ومتابعه ليكون ملكه عند المعاصرين لتلک الفتره العصيبه، ولولا هذه الفسحه لما كان للتشيع من أثر وإنما نحن ثمار تلک المجاميع التى كانت تستضعف مشرقاً ومغرباً و الله المستعان. أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (البقره:157)، فالسلام عليكم يا أتباع آل محمد يوم ولدتم ويوم تموتون ويوم ترجعون أو تبقون ويوم تبعثون أحياء، على ما دفعتم من أثمان باهضه لقاء إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى (الشورى:من الآيه23)، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبه: من الآيه111).

ومن الدوافع أيضاً مواساه الأئمه صلوات الله تعالى عليهم لأتباعهم وطرح شبهه كون التقيه نفاقاً - من أذهانهم - والتى يرمى بها المؤمنون لكى يخلعوا هذا الدرع الواقى بعد تعييرهم، فينكشف أتباع أهل البيت الأطهار أمام الآخرين فيقتلوا تحت أنواع التهم.

وبهذا النحو من التأكيد وببركته تكاثر الشيعه إلى ما نحن عليه الآن، فلم يستطع أحد أن

1- (1) . ص107.
2- (2) . رجال النجاشی ص310.
3- (3) . رجال النجاشی ص443.

يطفئ نور الله تبارک وتعالی يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (التوبه:32).

وثمت أمر يجب ألا ننساه وقد قدمنا إليه فی الباب الأول وهو أنّ الظالم عنوان عام، فقد يكون هناک حاكم يلبس قناع التشيع ويجور على المسلمين وهو غير بعيد، بل هو أمر متوقع من كل غير معصوم، وقد يكون لابساً قناع أحد المذاهب الأخرى فيفعل ما فعله الأول وفی الحقيقه نجد أنّ كلاهما لا يمت إلى الدين بأی صله، فيسير المسلمون جميعاً معه بالتقيه، أعاذ الله تعالى المسلمين منهما.

4. البناء العظيم

اشاره

من يراجع التاريخ الشيعى يجد فرقاً مالت عنه، لا أتصور خفاءها على القراء ولو فى الجمله، فهناک الفطحيه والإسماعيليه والنصيريه والواقفيه وغيرهم كثير، بل نجد ذلک حتى فى تاريخنا المعاصر، حيث نسمع صيحات لهذا وذاک يدَّعون الانتساب إلى هذه المدرسه العظيمه، إلا أنه فى تصورى انتماء بالاسم فقط، نعم هناک تكفير وإخراج من المله والدين ولكن - ومع الأسف الشديد - من غير تأمل كما يحصل مع قسم من الشيعه لمجرد الاختلاف فى المنهج.

وعجبت من الذين اقتدوا بمن اتهم على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليه بشرب الخمر، بل ادعى هذا الرجل بأنّ مسأله شرب الخمر كانت من الأمور المتأصله فيه وفى باقى الصحابه، (1) بل يذكرون هذا الرجل بكل إجلال وتعظيم واحترام فى حين أنه لم يحترم البيت الذى تربى فيه الإمام عليه أفضل الصلاه والسلام.

تصحيح

والحقيقه أنّ - قسماً وليس جميعاً- من هؤلاء ليس لهم أىُّ علاقه بالتشيع بعد الميل عنه، فالتسميه تطلق عليهم بعلاقه ما كان ولا يمكن قبول الانتساب بعد ذلک عليهم. كيف أنّ الأحزاب السياسيه إذا انشق عنها فريق كان كل فريق له اتجاه وفكر يتبناه على غير ما كان عليه وإلا فلا يسمى منشقاً. ومثال ذلک أنّ فكر مدرسه أتباع المذاهب الإسلاميه الأربعه قائم على أساس نظريه عداله الصحابه وقبول خلافه من جاء بعد النبى صلوات الله تعالى عليه

1- (1) . راجع فى ظلال القرآن، سيد قطب، ص 665.

وآله، كما كان تسلسلهم من بعده، وكذلک على أساس صحه كتابى البخارى ومسلم، فمن خرج عن ذلک ولو فى الجمله لا يرضون إطلاق اسم التسنن عليه، فكذا نحن الشيعه لا يمكن قبول دعوى كون هذه الفرق من الشيعه بتاتاً.

تمييز المنشقين عن الإماميه

نعم،كان تمييز المنشقين عن أئمه أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم إلى الإمام العسكرى عليه أفضل الصلاه والسلام سهل يسير، وأما فى زمن الغيبه فيحتاج إلى التأمل والتدبر فى أفكار ذلک الشخص أو التجمع أو الحزب أو المرجعيه، والنظر فى أهدافهم وميولهم، وكلٌ يعرف نفسه بعد ذلک فى ميوله هل نصّب لنفسه معصوماً غير الأربعه عشر أم لا ! وقد يدل على نفسه بنفسه من خلال التشكيک بعقائد الشيعه والتعرض للأئمه والعقائد وغير ذلک، ولا أريد أن أذكر الأسماء - عسى أن يعود إلى جاده الصواب، فليس من ضامن لنفسه كى يتعرض لغيره و الله الموفق للخيرات -. وأما من كان من خارج التشيع فهو واضح. ولكن يبقى أمر مهم تجدر الإشاره إليه، وهو أن هناک مدارس أخرى وجدت فى قبال مدرسه التشيع لآل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، ولكنّها تمتاز بالهدوء وقبول التعايش مع الآخرين والاعتراف بوجود هذه الطائفه كوجود مشروع قائم على أسس ومبانٍ لا يمكن تجاهلها.

ومما يؤسف له أنّ هناک تيارات متشدده نشأت، همها التكفير والتعرض للشيعه مره بوجه خاص وأخرى لهم وللمذاهب الأخرى، ولكن بطريق مبطن ظاهره الود وباطنه العداء، ومن يراجع بعض الكتب والمؤلفات يجد البغض والعداء الحقيقيين قد ارتضعهما ضد التشيع لآل محمد صلوات الله تعالى عليهم وقد يلتمس العذر لبعض منهم، فقد يكون قد حمل فكره خاطئه ليس لها من الواقع شىء.

5. بعد التغيير فى إيران

بعد التغيير الذى حصل فى إيران ثارت ثائره دوائر الحقد على الدين، وتحركت أساطيلهم لشن حروب من جميع الجهات فى نطاق حمله همجيه على أتباع مدرسه آل محمد صلوات الله تعالى عليهم والسنه المحمديه التى جاءتنا عنهم، حيث نسبت التهم التى طبل لها وزمر شخصيات لم يكن لها أى اسم فى الدين والتديّن، وما كان ذلک إلا اجترار لتلک التهم التى توجهت إلينا عبر هذا التاريخ الطويل المرير، وتمّ دفع أموال طائله لهذا الغرض، هذا فى إطار الحمله الفكريه، كل ذلک ولم يدع أحد أن هذه الدوله هى دوله العدل الإلهى ولم يقل أحد بعصمه القائم بالثوره، بل لا يرضى هو (قدس سره) أن يوصف بهذا الوصف، (1) ومع هذا ظهرت صيحات تدعى التشيع لضربه من الداخل وتمثلت هذه الحركات بنشاطات لفلان وفلان ممن رمى الشيعه فى هذه الدوله بتهمه إنكار الإمام الحجه صلوات الله تعالى عليه وألف كتباً وخط مقالات تتضمن هذا المعنى لكى يضلل الناس، حيث توهم إنكار النص والمصير إلى الشورى، ولكنه هو الذى تبنى إنكار الإمام الحجه صلوات الله تعالى عليه، ومشكله صاحب هذه الأطروحه كانت ناتجه من خلافات تسربت إلى عقائده طلباً للرئاسه (2) فلما اختلف (3) معه

1- (1) . راجع الرسائل العمليه باب التقليد فى مسائل تخلف عداله مرجع التقليد. فماذا يفعل هؤلاء لو ظهر الإمام صلوات الله تعالى عليه؟
2- (2) . إشاره إلى ما جاء فى وسائل الشيعه للحر العاملى، ج27ص129: وفى (معانى الأخبار) عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن خالد، عن أخيه سفيان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : إياک والرياسه فما طلبها أحد إلا هلک، فقلت: قد هلكنا إذا ليس أحد منا إلا وهو يحب أن يذكر ويقصد ويؤخذ عنه، فقال: ليس حيث تذهب، إنما ذلک أن تنصب رجلا دون الحجه فتصدقه فى كل ما قال وتدعو الناس إلى قوله.
3- (3) . فقد يكون محقاً فى نفس الخلاف ولكن انحرافه العقائدى ممنوع، قال تعالى: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِن

انحرف عن جاده الصواب، والحقيقه فإنّ هذا ناشئ من سوء التوفيق - أعوذ بالله - فما هو ذنب الدين لتتحامل عليه وقد اختلفت مع شخص يماثلك فى عدم العصمه عن الوقوع فى الخطأ؟ وعلى كل فسأتطرق إلى ذلك فى كتاب غير هذا إن سمح لى الوقت إن شاء الله تعالى. وقد رمى - هذا وغيره - الشيعه بالغلو بدوافع سياسيه لا علاقه لها بالأمور العقائديه إما ترشيحاً عن تلك الأخطاء التى سجلها عنده على غيره أو مخالفه لهم لاستباحه حرماتهم.

وأما على النطاق العسكرى فمما لا يخفى على عاقل فقد تم خوض حروب وتصفيات ضدنا ولم يقف إلى جانب المؤمنين المخلصين إلا الله تعالى وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

وعن طريق الغزو الثقافى الغربى حاولت الدوائر المذكوره إدخال ثقافه التحلل الخلقى فى هذا المجتمع.

ولكن العنايه الإلهيه كانت بالمرصاد لجميع محاولات التدمير والهدم، وإن كانت هناك بعض الخسائر التى لا بد منها فى الواقع.

والنتيجه أنه اتضح مما تقدم أنّ هذا المبدأ - أعنى التقيه - كان متعرضاً للمد والجزر أن صح التعبير، وذلك بحسب ما تقتضيه المصلحه الشرعيه. فهناك مواقف يتطلب فيها العمل بها، وهناك مواقف يتم فيها تقديم الضحايا وإن كان الضحيه هو الإمام نفسه.

لا يمكن أن يعتبر الشيعه طبقه فيها نوع أناس يحيون تحت الظلم ويخضعون للظالمين تحت غطاء مبدأ التقيه.

وتمّ فتح باب العداء لمدرسه آل البيت صلوات الله تعالى عليهم وبأغطيه متعدده، وقد استحلت حرمات الشيعه على أساس ذلك وطُوردوا وعُذِّبوا وقُتِّلوا وطردوا من أعمالهم ووضائفهم عن طريق نسبه الغلو والتقيه والقول بالتحريف إليهم وباقى التهم المثيره للنفره والاشمئزاز، من قبل الحركات الهدامه المرتديه لباس التشيع أو غيرها والتى همها الوحيد إثاره الغبار.

ومما نسب إليهم فيما يخص هذا البحث: أن التقيه تساوى النفاق.

فاتضح مما تقدم أنّ هدف التيارات المعاديه هو هدف سياسى يتبنى إسقاط التشيع وأتباعه من بين المسلمين.

ص:170

الباب السادس: النتائج

اشاره

ص:171

1.نتائج البحث

النتيجه الأولى: أن الله تعالى لا يعبث

من ينكر هذا المبدأ فعليه أن يلتزم بلوازم باطله قطعاً، وبيان ذلک أن الأمر ينتهى إلى:

العبث: وهو أن يأكل الظالمُ المظلومَ، والمؤمن سيكون اللقمه السائغه لأى متجبر يناله وينال منه متى يشاء قال تعالى: وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِکَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا (صّ: من الآيه27)، وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (الأنبياء:16)، أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً (المؤمنون: من الآيه115)، وَ ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (الدخان:38). وكذلک عدم التفات المولى إلى إمكانيه انهيار هذا البناء الذى من أجله بعث الأنبياء والرسل، ونصب أئمه الهدى وسخر له كل شىء. وأنه يفرط بالمؤمن من أجل ظاهر لا يساوى شيئاً وعدم الاكتراث بما فى باطنه من عقيده خالصه. والأدله القطعيه ترد كل ذلک - أعوذ بالله تعالى من ذلک كله.

ولما كان المؤمن هو أساس هذا البناء - وهو الدين - ومع عدم المؤمن ينتفى الدين، وكذلک لما كان بقاؤه ووجوده متعلقاً بهذه الرخصه - لأن دائره تحرک الجائرين لا تحكمها أى قيم، فتسهل لهم عمليه فتنه المؤمنين، فقد يزل المؤمن أو يضعف إيمانه أو يقتل فى لحظه ما تحت ضغوط معينه -. وأما المؤمن فتحكمه الضوابط التى تمنعه من الرد بالمثل فى كثير من الأحيان - حينئذ تتضح أهميه التقيه ويأتى دورها، فأهميتها ليست ناشئه من حيث هى تقيه، بل من حيث هى حفظ لهذا البناء المقدس، وإلا فستبقى الأرض بيد الظالمين وأهل الجور والفساد وهذا خلاف الحكمه الإلهيه بالضروره.

ويتضح أيضاً أنها منحه من قبله تبارک وتعالى لعباده كما أجاز أكل الميته عند المخمصه فكذلک هنا.

نعم، نحن لا ندعى إنّ هذا المبدأ خاص بالشيعه فقط، بل ليكن هذا المبدأ سيّالاً فى كل حاله يعتقد المكلف أنه على حق فى دوله أو مجتمع ظالِمَينِ - وكما أسلفت من هو الذى على الحق فى الواقع ونفس الأمر هذا مسكوت عنه هنا - على أن السبب فى ظهور الشيعه فقط بالعمل بهذا الفرع هو تكالب سلاطين الجور عليهم، وهذا لا يعنى أنهم لم يستخدموها، وإلا فقد ظهر كيف استخدمها غيرهم من أتباع المذاهب من خلال ما تقدم.

النتيجه الثانيه: العامل بها ليس بمنافق

كما سبق من إيراد الأدله التى أباحت استخدام التقيه ومبدأ المداراه، فقد كان أول دليل هو الذى جاء عن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، فهل يجرؤ أحد على نسبه ما اتهموا به الشيعه إليه - وحاشا النبى - أو إلى المسلمين أو جميعاً؟

فإن لم يجرؤ فمنشؤه إما:

1. عملاً بالتقيه، فتتوجه لهم نفس التهمه وتنطبق عليهم القاعده التى أسسوها فيطلق عليهم وصف النفاق.

2. عدم مراعاه الدقه فى التعرض لأفكار الآخرين، فيوجب الخلل فى التديّن واقعاً.

3. إنّ التقيه من حيث المبدأ صحيحه ولكنهم تورطوا فى تسميتها نفاقاً.

النتيجه الثالثه: حمل النفاق على التقيه خطأ علمى

اشاره

ولغرض توضيح هذه النتيجه نحتاج إلى مقدمات:

المقدمه الأولى: جاء فى تعريف التقيه أنّها من التقوى ومن الوقايه، ومعلوم أنّ التقوى هى الإيمان والإيمان هو التقوى، والإيمان هو الدين والدين كله وقايه، فإنّه وقايه من النار ومن النجاسات ومن تسليم المرء نفسه للهلاک

اعتباطاَ (وهو التقيه)، ومن أكل المحرمات (إلا فى المخمصه خوف الموت)، وهكذا يكون (الدين كله تقيه فما لهم ينكرون هذا الفرد منها).

ومن ثم فإنّ الأئمه - صلوات الله تعالى عليهم - بأسلوب الحكيم أتوا للمستمع بهذا اللفظ - الذى له أفراد متعدده - فمنها المعنى المتبادر إلى ذهن السامع. أو كما لو شكى شخص

ص:174

فقره، فتقول له: كلنا فقراء إلى الله - تعالى - ترغيباً أو مواساه، فينتهى الإشكال. ولما تقدّم قد يتحصل معنى قولهم صلوات الله تعالى عليهم مرّه التقيه كل الدين وأخرى تسعه أعشاره، فكله وقايه من الفتنه عموماً أو خصوصاً فتأمل.

نعم، قد يُشكَل على ذلک: بأنّهم صلوات الله تعالى عليهم كانوا فى مقام بيان حكم المعنى الأخص والعامل بها دون الأعم. وجوابه: إنّه لا بأس من الإتيان بالعام وإراده العام بأفراده بضمنها الحصه الخاصه، فيكون المعنى: الدين كله تقيه فلا معنى لأن تكون حصه منها نفاق وأخرى إيمان.

وإن لم تقبل هذه المقدمه كنتيجه من رأس فحينئذٍ نحتاج إلى بيان المقدمات التى تلى.

المقدمه الثانيه: وفيها أمران:

الأول: عند أهل النظر كل قضيه يجب أن يتوفر فيها ركنان الأول الموضوع والثانى المحمول. فإذا تمّ حمل العام على الخاص من قبيل قولنا: (الأسد حيوان) فيطلق على هذا النوع من الحمل ب- (الحمل الطبعى). وأما إذا كان العكس أى حمل الخاص على العام من قبيل قولنا: (الحيوان إنسان) فهذا يطلق عليه ب- (الحمل الوضعى). وحيث إنّ الأول موافق للطبع سمى كذلک، وأنّ الثانِى لم يكن كذلک سمى بالوضعى. على أن كلا الحملين صحيح ومفيد علمياً ولكل دلالته الخاصه به.

الثانى: طريقه أهل اللغه فى تأليف الجمل: فإن كل جمله تامه يجب أن يتوفر فيها ركنان الأول المسند والثانى المسند إليه ويطلق عليهما ركنا الإسناد، ولا مانع من تقدّم أحدهما على الآخر؛ نظراً لما يريد المتكلم إظهاره من أهميه من خلال كلامه، وكلا الطريقين مفيد وضعاً فضلاً عن ذلک دلاله أسلوب الحصر فليراجع مفصلا فى محله، وإجمالاً وفى ما نحن فيه استخدام هذا الأسلوب بجعل أحد ركنى الإسناد منحصراً فى الآخر لبيان الأهميه كذلک، هذا فى اللغه العربيه طبعاً وقد تتوفر هذه الخاصيه فى لغات أخرى، ولكن أغلب اللغات ليس فيها جمل إسميه، وتقتصر على الفعليه منها فقط على التفصيل الذى فى محله من كون الفعل تاماً أو ناقصاً مساعداً.

المقدمه الثالثه: سبق أن تطرقنا فى الباب الخامس إلى أمر مهم فى شأن تأريخ الشيعه، وخلاصه ذلک: أنّ الأئمه صلوات الله تعالى عليهم كانوا بصدد

خلق جو نفسى للموالى يتوقى من خلاله تنكيل المخالف المتجبر - وقيد المتجبر يخرج المخالف المسالم.

ص:175

المقدمه الرابعه: وما تقدم فى المقدمه الثالثه لا يحصل إلا بإظهار أهميه التقيه بمظهر تحرک المعنيين باتجاه الحفاظ على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وكذلک حفظ المجتمع من التآكل، وذلک عن طريق دليل لفظى يخصها. وهذا الإظهار ستتبيّن وتتضح كيفيّته من خلال ما سيأتى لنتعرض إلى بيان الفروق بين ما تقدم من مفاهيم فى الباب الأول الفصل الأول منه وكذلک لبيان طريقه الحمل أو الإسناد بعد الاستفاده من المقدمات السابقه.

بيان الخطأ الذى وقع فيه القوم

أولاً: على ما جاء فى المقدمه الأولى لا إشكال أنّ المسأله محلوله من رأس، بأنّ التقوى إيمان وهى الدين وهما التقوى، نعم حصل تعويض لفظ بلفظ. وهذا كما ذكرت مبتنٍ على قبول هذه المقدمه، وأما بخلافه فنحتاج إلى (ثانياً) أدناه.

ثانياً: بعد أن نجمع بين المقدمات الثانيه والثالثه والرابعه نصل إلى بيان أنواع الحمل، وكذلک طرق الإسناد وما هو المستفاد منها معنىً، ومنه ستتضح الفروق بين التقيه والمداراه وبين غيرهما:

التقيه والمداراه: التقيه والمداراه هما إظهار ما يعتقد المدارى والمتقى بطلانه واستبطان ما يعتقد حقّيته - مع السكوت الآن فى هذا الكتاب عن قيد كونه حقاً فى الواقع أم لا - ويقع ذلک فى الأقوال والأفعال.

ثم إنّ الشخص يبقى على إيمانه ولا يمسه بسوء عند استخدامه التقيه، أى من دون تحمل أى إثم، بل قد يقع فى الإثم عند مخالفتهما.

ويصح إسناد أو حمل لفظ المتقى والمدارى - تمشياً مع اصطلاح العامه - على المؤمن، وكذا العكس كقولنا: (المتقى مؤمن، المؤمن متقٍ)، كما يصح إطلاق الوصفين (التقيه والمداراه) على وصف الإيمان وهو عليهما (التقيه إيمان، الإيمان تقيه) من باب الحمل الطبعى أو الوضعى أو من باب تقديم المسند أو المسند إليه.

ومن باب أولى يتضح عدم صحه حمل أو إسناد المداهنه والنفاق على التقيه، فهى عكس النفاق كما سيتضح تماماً.

الإذاعه: هى الإظهار بشكل عام، فإذا كانت إظهاراً للحق فى مقام يشرِّع فيه الإخفاء تقيةً فهى ضدٌ للتقيه، أو فى مقام الكتمان فتكون ضداً له. ويصح

حمل وصف الإذاعه على المؤمن وعلى الإيمان، مقيّداً بحال كون الإذاعه مشروعه فقط، نعم قد تقع ضداً للكتمان أيضاً.

ص:176

ومما تقدّم يتضح أنه لا يصح حمل وصف الإذاعه على شخص المتقى حال التلبس بوصف التقيه، وكذا الإسناد إليه. وكذا ذات الوصفين أحدهما على الآخر وله. بعباره أخرى أنه لا يصح الحمل والإسناد من حيث ارتكابهما أو من حيث هما طرداً وعكساً مطلقاً؛ لأنهما ضدان. ومن باب أولى عدم صحه ذلک مع المداهنه والنفاق، وإلا فإنه من باب حمل الإنسان على الحجر أو العكس.

وارتكاب الإذاعه قد يوقع بالإثم ولكن ليس بالعنوان الأولى، بل لمخالفه مقام العمل بالتقيه أو الأمر بالكتمان، هذا إذا لم يرد النهى عنها، ومعه فيكون الأُثم بمخالفه النهى المشار إليه وقد ورد.

المداهنه: أما المداهنه ومرادفاتها فهى معرفه الحق والإيمان به ومخالفته فى قول أوفعل أو فى كليهما، وارتكابها يوقع فى الإثم بالعنوان الأولى، ولا يخرج المرتكب من دائره الإيمان.

ويصح إطلاق المداهن على شخص المؤمن أو المتقى لا من حيث هو متقٍ، بل من حيثيه أخرى، فتقول: هذا المؤمن مداهن، ذمّاً لتصرف إدهان أوقع نفسه فيه، ولا يصح العكس (أى لا يصح قولنا: المداهن مؤمن ولا المداهن متقٍ) إلا مع اختلاف الحيثيه، وكذا لا يصح حمل وصف المداهنه على وصف الإيمان أو التقيه من حيث هما ولا العكس.

النفاق: والنفاق هو معرفه الحق دون الإيمان به ومعرفه الباطل واعتناقه وإظهار الأول واستبطان الثانى، فيتضح أنه خلاف الإيمان، ومنه يتضح أيضاً أنه عكس التقيه تماماً؛ لأنها إخفاء الأول وإظهار الثانى بقيود وليس دائماً.

ويصح حمل أو إسناد المداهن على المنافق وكذا العكس (المنافق مداهن) و (المداهن منافق) ولكن مجازاً وتوسعاً من باب الذم والتشبيه.

ولا يصح إطلاق لفظ المنافق على المؤمن أو المتقى فضلاً عن العكس، كما لا يصح حمل أحد الوصفين (التقيه أو الإيمان من جهه والنفاق من جهه أخرى) على الآخر، والمنافق أسوأ حالاً من الكافر والنفاق أشدّ من الكفر، قال تعالى: إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (النساء:145). نعم، عاملهم النبى صلوات الله تعالَى عليه وآله معامله المسلم رأفه بهم فى الدنيا، فهو مظهر اسم الرحمن، قال تبارک وتعالى: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (الأنبياء:107)، وكذلک لظروف الدين الحنيف

آنذاک و الله تعالی العالم بتشخیص المصلحه، وهو کذلک بإذن الله تعالی، حیث قال الله العزیز الحکیم: وَ ما کانَ

لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَهٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ (الرعد:من الأيه38)، و لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (إبراهيم:من الآيه1)، وَ ما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ (إبراهيم:من الآيه11), وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللّهِ (فاطر: من الآيه32)، وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِىَ بِآيَهٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ (غافر: من الآيه78).

المقدمه الخامسه: وفيها أمران:الأمر الأول: الفرق بين الحملين أو الإسنادين:

الأمر الثانى: الفرق بين الحملين أو طريقتِى الإسناد فى المعنى المستفاد من الأدله:

أما الحمل أو الإسناد بالطريقه الأولى فهو معلوم؛ لأنه طبعي وذلک واضح لا يحتاج إلى بيان، فإنّ التقيه مسأله من مسائل الدين فكما أننا نقول الصلاه إيمان والزكاه مثلها فالتقيه كذلک، مثاله (الإنسان حيوان)، (الصلاه عبادتى).

وأما الحمل أو الإسناد بالطريقه الثانيه فهو تابع إلى بيان الأهميه وكذا فى علم البلاغه من حيث التقديم والتأخير بين ركنى الإسناد (الدين المروءه).

ومن أراد إبطال ما قدّمناه فعليه أن يغض النظر عن علمى المنطق والبلاغه من رأس، فإنّ من حقنا إن أردنا أن نشدد ونركز على أمر معين نحمله على ما هو أعم منه، فكذا هنا عندما نقول: الإيمان الصلاه والإيمان الزكاه والدين الصلاه والدين التقيه ولا دين لمن لا تقيه أو لمن لا صلاه له وهكذا.

وأما قولهم عليهم أفضل الصلاه والسلام: (ولا دين لمن لا تقيه له) فهذا محمول على عده وجوه وكما يلى:-

الوجه الأول: إنّ منكرها منكر لتشريعها، ومن الواضح أنه إذا أنكر مكلف تشريعاً بعد ثبوته - والكلام فى الكبرى، وأعنى بذلک مع التسليم بتشريعها وهو صحيح - حكمه حكم من أنكر الضرورى.

الوجه الثانى: إنّ من لا يعمل بها وقت وجوبها يكون ارتكاباً للمحرم، فيكون المكلف على غرار (لايزنى المؤمن وهو مؤمن).

الوجه الثالث: إنّ من لا يعمل بها مع تشخيص الموقف ينصب النفى على كمال الدين. (1) ونفى الكمال تكلم فيها القوم على تفصيل فى كتبهم.

الوجه الرابع: للحث على الأخذ بها والتشديد على عدم تركها حفاظاً على أرواح المؤمنين.

ص:178

1- (1) . راجع مسأله الصلاه فى المسجد لجار المسجد فى الموسوعات الفقهيه.

الأمر الثانى: كونها كل الدين أو تسعه أعشار الدين

لما كانت نقاط الخلاف فى الأصول والفروع وفى الفروع عبادات ومعاملات كانت تسعه أعشار الدين أو كله فهى تابعه إما للظروف أو لتركيبه المجتمع. فمع الناصبى تكون كل الدين وأخرى تسعه أعشاره، فلماذا نتمسك بحديث كل الدين أو تسعه أعشاره فقط ونبدأ بالنقض لخلق الخلل المتوهم!!. وما سبق ذكره ليس معناه أن بين مذاهب المسلمين الأخرى يوجد وفاق 100% وإلا ما تعددت، ولكن المستهدف من الخلاف هم الشيعه، وإلا فقد استخدمها أحمد ومالک عندما استهدفتهما السلطه.

وأما إنكارها فكإنكار الصوم وغيره من الضروريات كما مر فى الفرق بين الحملين، وهو الواقع لما مر من الأدله التى أوردتها بهذا الصدد.

وأما كونها كل الدين فلأنها تبقى علينا فيبقى الدين، ومنه تكون هى الدين.

الخلط فى استخدام المصطلح

مما يؤسف له أنّ هناک إما خلط فى استخدام المصطلح أو تعمد استخدامه فى غير موضعه؛ لغرض بثّ الفكره الخاطئه وتثبيتها أو إذا فرضنا حمل هؤلاء القوم على محمل حسن، فإنه استخدام المعنى اللغوى لا المصطلح الشرعى، وهذا مما يتضح من نقل أقوال بعضهم كما ترى.

فقد جاء فى الجواب الصحيح لابن تيميه: (1) «فعامه أهل الأرض مع محمد إما مؤمن به باطناً وظاهراً وهم أولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون، وإما مسلمون له فى الظاهر تقيه وخوفاً من أمته وهم المنافقون».

وفى الصارم المسلول ابن تيميه: (2) «إلى المفسده فقال القاضى أبو يعلى وغيره وهو ممن أطلق الروايتين: التوبه غير محكوم بصحتها بعد قدره الإمام عليه؛ لجواز أن يكون إظهارها تقيه من الإمام والخوف من عقوبته...».

وفى مجموع الفتاوى ابن تيميه: (3) « وَ لَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ (التوبه:من الآيه18...) فإذا قيل الأعمال الظاهره تكون من موجب الإيمان تاره وموجب غيره أخرى كالتكلم بالشهادتين

1- (1) . الجواب الصحيح، 97/5.
2- (2) . الصارم المسلول، 942/2.
3- (3) . مجموع الفتاوى، 581/7.

تاره، يكون من موجب إيمان القلب وتاره يكون تقيه كإيمان المنافقين، قال تعالى: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (البقره:8)»

وفى تفسير الثعالبى: (1)

والحسن والسدى وغيرهم من المفسرين إن هذا الخدع هو أنّ الله تعالى يعطى لهذه الأمه يوم القيامه نوراً لكل إنسان مؤمن أو منافق، فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا، فإذا جاؤوا إلى الصراط طفىء نور كل منافق ونهض المؤمنون، فذلک قول المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم، فذلک هو الخدع الذى يجرى على المنافقين، ثم ذكر سبحانه كسلهم فى الصلاه وتلک حال كل من يعمل كارهاً غير معتقد فيه الصواب، بل تقيه أو مصانعه... .

وفى روح المعانى الالوسى: (2) «يحلفون أنهم مؤمنون مثلكم وَ ما هُمْ مِنْكُمْ (التوبه:من الآيه56) فى ذلک لكفر قلوبهم وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (التوبه:من الآيه56) أى: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الإسلام تقيه ويؤدونه بالأيمان الفاجره... وفيه أيضاً: (3) «وإنما أعدوه كذلک؛ لأنهم لا ينفقونه احتساباً ورجاءً لثواب الله تعالى ليكون لهم مغنما وإنما ينفقونه تقيه». وفيه كذلک: (4) «مما لا يليق بمقام النبوه والمانع من ذلک فيه عليه الصلاه والسلام عصمته كسائر الرسل الكرام عليهم السلام عن كتم الوحى المأمور بتبليغه والخيانه فيه وتركه تقيه والمقصود من ذلک تحريضه».

وفى السيره الحلبيه للحلبى: (5) «فأبى ذلک عليهم فنزل قوله تعالى: وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ (المائده:من الآيه49...) ومن اليهود من دخل فى الإسلام تقيه من القتل...».

رفع الحصانه الإسلاميه

بالجمع بين ما تقدّم وبين حديث الرفع نصل إلى نتيجه مهمه وهى أنهم أرادوا محاسبتنا على ما رفع عنا أصلاً. فهل يرضى بنفس النهج من يقوم بهذا الفعل لنفسه، وإن رضى بذلک فهل نصَّبَه الله تعالى المقياس أم لا؟ فإذا عرف كل منا حده انتهت المشكله. حينئذٍ نتساءل لماذا يتحول

1- (1) . تفسیر الثعالبی، 425/1.
2- (2) . روح المعانی،118/10.
3- (3) . نفس المصدر،5/11.
4- (4) . نفس المصدر،18/12.
5- (5) . السیره الحلبیه، 337/2.

عنوان التقيه إلى النفاق؟ الجواب لرفع الحصانه الإسلاميه، فأولاً يبرهن على عدم جوازها لک لأنک لست بمسلم، أو لا يجوز استخدامها مع المسلم وإلا كان المستخدم كافراً، عندها يرتفع الحاجز وتنتهى الحصانه فتستباح الحرمات. ولكن انتبه لنفسک، سوف يأتى يوم يتسلط عليک من يرفع حصانتک إما بسبب قتلک المؤمنين أو هكذا لمجرد السلطه أو الخلاف، فتستباح حرماتک فلماذا تضع نفسک هذا الموضع؟ لماذا تكفر الآخرين ثم تسمى من يكفرک (التكفيريون الجدد)؟ لماذا تضع غيرک بين خيار إما أن تصبر على قتلک ونهب ثرواتک ومنحها إلى الفنانات والراقصات أبداً أو إذا صدر منک ردّ فعل فأنت المليشيات يجب حلک وحلها... و الله عجيب. قل أنا أريد قتلک وأريد أن تبقى ساكتاً راضياً بكل ما أريد.

من الكافر ومن المسلم ومن المنافق؟

جوابه فى قوله صلى الله تعالى عليه وآله:

«تفترق أمتى...»، (1)أخبر بدخول واحده فى الجنه دون غيرها، فليس لأحد أن يدعى حقيته ما لم يكن معصوماً؛ لئلا يقع فى إشكال هتک الحرم الثلاث الدم والعرض والمال، وما دمنا نؤمن بصدور هذا الحديث فكل يرى أنه على الحق، وكل طائفه تقول بكفر غيرها، ولكن ثمت فرق بين من لا يقتل وبين من همه القتل والإباده فأين هذه من تلک، وعلى هذا تترتب أمور منها أنّ معبود كل طائفه غيره فى الأخرى؛ لأنه عند بعض له يد وعين والأخرى لا ترى ذلک، ونبى طائفه يبول واقفاً ويتأثر بالسحر وينطق بالكفر ويخطئ ويسهو ويصلى الظهر خمساً (2) وعند غيرها ليس كذلک، أما حكمهم فموكول إلى الله تعالى، ولكنّهم ألبوا على الشيخ المفيد (قدس) ونسوا أنفسهم. وعلى كل حال تنتفى تهمه النفاق بما ورد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (3) «خالطوا الأبرار سراً وخالطوا الفجار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم...). وهذا فعل يناقض النفاق الذى هو العكس، فمن حكم ببطلانها آمن بنقيضها فيحكم بنفاقه ويبرأ غيره من هذه التهمه فافهم وتأمل. وأما الأبرار بموازين الشرع فهم كما ستعرف صفاتهم فى الفصل التالى من الباب، وليس من تلبس بالخلافه الإسلاميه وشرب الخمور وقتل العباد الزهّاد وسرق أموال المسلمين

1- (1) . راجع ملحق المصادر، ص244.

2- (2) . مصادر ما ذكرت موجوده ومناقش فى تلک الدعاوى ومحله فى محله ليس هنا.
3- (3) . الكافى، للكلينى،117/2. تمام الحديث فى الفصل اللاحق إن شاء الله.

وفتح البلدان بالسيف وشوّه صوره الدين ولم يلتفت إلى قوله تعالى: لا إِكْراهَ فِى الدِّينِ (البقره:من الآيه256)؟ فالدعوه إلى الدين بالخلق القويم وإذا اعتدى علينا نرد بالمثل قال تعالى: فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ) (البقره :من الآيه 194 ، ولسنا بحاجه إلى فاتح يقتل آل محمد صلوات الله تعالى عليهم، بل كما أوصى الصادق عليه السلام نفراً من الكوفه (1) فقال:

أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه، وأداء الأمانه لمن ائتمنكم، وحسن الصحبه لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاه صامتين. فقالوا: يا بن رسول الله، وكيف ندعو إليكم ونحن صموت؟ قال: تعلمون ما أمرناكم به من العمل بطاعه الله، وتتناهون عما نهيناكم عنه من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانه، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطّلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه قالوا: هؤلاء الفلانيه، رحم الله فلاناً، ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه، وعلموا فضل ما كان عندنا، فسارعوا إليه، أشهد على أبى محمد بن على رضوان الله عليه ورحمته وبركاته، لقد سمعته يقول: كان أولياؤنا وشيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه، إن كان إمام مسجد فى الحى كان منهم، وإن كان مؤذن فى القبيله كان منهم، وإن كان صاحب وديعه كان منهم، وإن كان صاحب أمانه كان منهم، وإن كان عالم من الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم، فكونوا أنتم كذلک، حببونا إلى الناس، ولا تبغضونا إليهم.

وقال عليه السلام للمفضل: (2)

«أى مفضل قل لشيعتنا: كونوا دعاه إلينا بالكفّ عن محارم الله، واجتناب معاصيه واتباع رضوانه، فإنهم إذا كانوا كذلک كان الناس إلينا مسارعين» وعن المفضل قال: «قال لى أبو عبد الله عليه السلام : إنما شيعه جعفر من كفّ لسانه، وعمل لخالقه حتى يكون كالحنيه من كثره الصلاه، وكالصافى من الصيام، وكالأخرس من طول السكوت».

1- (1) . دعائم الإسلام، للنعمان المغربى،56/1.
2- (2) . شرح الأخبار، للنعمان المغربى، 506/3.

2. التقيه مشروع تكاملى لا يعطل

اشاره

التقيه كحكم شرعى هو مشروع تكاملى من جهات ثلاث، الأولى من جهه العلاقه مع الله تعالى، والثانيه من جهه العلاقه مع النفس، والثالثه من جهه العلاقه مع الناس، لذلک لا يمكن أن يعطل. ويستشف هذا من مجمل الشرع الإسلامى كدستور كامل ينظر إليه بلحاظ كماليته، فلا يمكن أن نستل هذا الحكم من الدستور ونحكم عليه بالنقص، لأنه سيكون ناقصاً فعلاً على الأقل فى وقت ما، ولكن باجتماعه مع غيره من الأحكام - وهذا اللحاظ هو الصحيح - يحكم عليه ببقائه.

وكل ذلک يكمن فى كتم السر عن الآخرين مع التحلى بخلق ينهى عن إضمار نيه الشر - كما مر سابقاً - فضلاً عن الاعتداء، ويأمر بالنصيحه والدعاء وقضاء الحاجات للآخرين والرفق بهم والعيش معهم بسلام، وكل ما تقدم يمكن أن تجده فيما يأتى من بحوث، فتابع على بركه الله تعالى.

التقيه والكتمان خفاء وتخلص من الرياء

الخفاء يعنى السر وهو بشكل عام يقيک السمعه والرياء والمدح والإطراء، وإلا فقد يقع الإنسان فى شراک الشرک الخفى، فإنّ ما تقدّم من أعظم المشاكل التى تواجه المؤمن، ومما يُمَكِّنُ التخلص مما ذكرت أمور منهنّ الرياضات، وهذا أمر قد يكون صعباً إن لم يكن هناک ما يدفعه نحو ذلک، فيحتاج المرتاض إلى الثانى منهنّ، وهو التوفيق والثالث منهنَّ وهو التكليف بذلک من الله تعالى، ومع هذا كله تجد قول العزيز الحكيم تعالى: وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (يوسف:106).ومما يحث على ذلک ما عن أبى عبد الله عليه السلام

قال: (1) «قال الله تعالى:إنّ من أغبط أوليائى عندى عبداً مؤمناً ذا حظ من صلاح، أحسن عباده ربه وعَبَدَ الله فى السريره، وكان غامضاً فى الناس، فلم يشر إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر عليه فعجلت به المنيه. فقل تراثه، وقلت بواكيه». وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (2)

«ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات: فأما المنجيات: فخوف الله فى السر والعلانيه، والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الغنى والفقر.وأما المهلكات:فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (3)

«جمع خير الدنيا والآخره فى كتمان السر، ومصادقه الأخيار، وجمع الشر فى الإذاعه، ومؤاخاه الأشرار».

وقد علمت أول الكتاب ما جاء فى الحديث القدسى:

وإنّ من عبادى المؤمنين لمن يشتهى الباب من العباده فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ذلک وإنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا... إنى أدبر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير).

والآخر: «وعزتى وجلالى وعلوى وبهائى وجمالى وارتفاع مكانى لا يؤثر عبد هواى على هوى نفسه إلا أثبت أجله عند بصره، وضمنت السماء والأرض رزقه وكنت له من وراء تجاره كل تاجر». فالله تعالى هو أعلم بما يصلح باطن المؤمن فيختار له ما يصلحه، ولو كان المؤمن يظهر كل عمل يقوم به يمتدح عليه لأصابه العجب، فيدخله الرياء ليفسد باطنه. ولو أنّ المؤمن أظهر ما عنده من علم أو عمل ظناً منه أنّ فى ذلک شجاعه بينما يكون أصله رياء وتهور واندفاع وفتنه إلى غيره يسبب تناحر المجتمع وتحاسده وتآكله، لكان كل ذلک قربه لا إلى الله تعالى، بل لغرض آخر كحب الظهور والأخير يؤدى إلى الهلكه أعاذنا الله تعالى منها. ثم إنّ الإيمان على درجات كما بين أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم أتباعهم، فعن (4) عبد العزيز القراطيسى قال:

قال لى أبو عبد الله عليه السلام : يا عبد العزيز، إنّ الإيمان عشر درجات بمنزله السلم يصعد منه مرقاه بعد مرقاه فلا يقولنّ صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شىء حتى ينتهى إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونک

فيسقطک من هو فوقک، وإذا رأيت من هو أسفل منک بدرجهٍ فارفعه إليک برفق ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتکسره، فإنّ من کسر مؤمناً فعليه جبره.

ص:184

1- (1) . وسائل الشيعه (الإسلاميه)، الحر العاملى، 56/1.
2- (2) . الحکايات، الشيخ المفيد، 98.
3- (3) . مستدرک الوسائل، الميرزا النورى، 328/8.
4- (4) . الکافى، للکلينى، 44/2، 45.

فالتقيه والكتمان المأمور بهما عمليه غرضها بناء الإنسان والمجتمع ظاهراً وباطناً، وهذه غايه صنع الإنسان الخليفه: إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً (البقره:من الآیه30). وجاء عن أبی عبدالله علَیه السلام قوله: (1)

إن الله تعالی جعل الدین دولتین دوله لآدم علیه السلام ودوله لإبلیس فدوله آدم هی دوله الله تعالی، فإذا أراد الله تعالی أن یعبد علانیه أظهر دوله آدم، وإذا أراد الله أن یعبد سراً کانت دوله إبلیس، فالمذیع لما أراد الله ستره مارق من الدین... . [أی خارج عن کمال الدین - کما ذکروا تعلیقاً علی الروایه-].

ومما ورد عن أبی الصباح الکنانی (2) أن بعض البلایا تصیب الإنسان المؤمن فی الدنیا لتخلصه من تبعات السمعه والشهره، فقال:کنت عند أبی عبد الله علیه السلام فدخل علیه شیخ ،فقال: یا أبا عبد الله، أشکو إلیک ولدی وعقوقهم وإخوانی وجفاهم عند کبر سنی، فقال أبو عبد الله علیه السلام : یا هذا، إنّ للحق دوله وللباطل دوله وکل واحد منهما فی دوله صاحبه ذلیل وإنّ أدنی ما یصیب المؤمن فی دوله الباطل العقوق من ولده والجفاء من إخوانه، وما من مؤمن یصیبه شیء من الرفاهیه فی دوله الباطل إلا ابتلی قبل موته، إما فی بدنه وإما فی ولده وإما فی ماله حتی یخلّصه الله مما اکتسب فی دوله الباطل ویوفر له حظه فی دوله الحق فاصبر وأبشر.

فیتضح أنّ کل ما یصیب المؤمن من رفاهیه وسمعه وثقل فی المجتمع یدفع ثمنه مما یصیبه لکی یصل إلی الله تعالی نقیاً، فاختر لنفسک ما ترید.

وقد ورد عنهم صلوات الله تعالی علیهم ما یحذر من الریاء والسمعه، إما عن طریق الدعاء أو النهی عن ذلک صراحه. فها هو السجاد صلوات الله تعالی علیه فی صحیفته یطلب منه تعالی أن یبعده عنهما فقال: «اللهم إنی أسألک إیماناً لا أجل له دون لقائک، أحینی ما أحییتنی علیه، وتوفنی إذا توفیتنی علیه، وابعثنی إذا بعثتنی علیه، وأبرأ قلبی من الریاء والشک، والسمعه فی دینک حتی یکون عملی خالصاً لک»، (3) و «اللهم إنی أعوذ بک من الغفله والقسوه والعیله والذله والمسکنه، وأعوذ بک من الکفر والفقر، ومن وسوسه الصدر وتشتیت الأمر، وأعوذ بک من الریاء والسمعه...»، (4) و: «اللهم إنی أعوذ بک من الریاء والسمعه والکبریاء والتعظیم والخیلاء والفخر والبذخ والأشر والبطر والإعجاب بنفسی...»، (5) و: «وأعذنا من الفشل

1- (1) . الکافی للکلینی372/2و158/8.
2- (2) . همان/447.
3- (3) . الصحیفه السجادیه للإمام زین العابدین علیه السلام 232.
4- (4) . همان، 281.
5- (5) . همان، 363.

والكسل والعجز، والعلل والضرر، والضجر والملل، والرياء والسمعه...»، (1) و:

اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلنى وجميع إخوانى بک مؤمنين، وعلى الإسلام ثابتين، ولفرائضک مؤدين، وعلى الصلوات محافظين، وللزکاه فاعلين، ولمرضاتک مبتغين، وللإخلاص مخلصين، ولک ذاکرين، ولسنه نبيک صلواتک عليه وعلى آله متبعين، ومن عذابک مشفقين، ومن عدلک خائفين، ولفضلک راجين، ومن الفزع الأکبر آمنين، وفى خلق السماوات والأرض متفکرين، ومن الذنوب والخطايا تائبين، وعن الرياء والسمعه منزهين. (2)

هذا کله فى جانب العباده والتقرب إلى الله تعالى، ناهيک عن المضار الأخرى فى باقى شؤون الحياه من خلال الإذاعه التى فى غير محلها، تعلمها من خلال عرض أقسام السر فتابع لاحقاً.

أقسام السر

يمکن تصنيف السر إلى ثلاثه: الأول منهن منّ جهه العلم أو المعرفه، (3) والثانى من جهه العمل، والثالث عام وهو ما يخص صاحب السر من شؤون حياته الأخرى. أما القسمين الأولين فلله رب من الرياء وأقرانه وکما مرّ وهما عباديان من جهه ورفق بالآخرين من جهه أخرى، وأما الثالث فلمنع الوقوع فى المصائد المعده للغافلين أو المغفلين. ويمکن أن يشمل الأخير جميع الأقسام، ولکن التفصيل فيه فائده کما ستطّلع إن شاء الله تعالى.

القسم الأول: السر من جهه العلم أو المعرفه

وقد وردت فى ذلک الآيه المبارکه مبينه هذا الأمر وحثت روايات على الکتمان، فقول الله تعالى: وَ فَوْقَ کُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (يوسف:من الآيه76)، و قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله:

«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نکلم الناس على قدر عقولهم» ، وکما جاء فى مقدمه مسلم:عن عَبْدِ اللهبْنَ مَسْعُودٍ قَالَ:

«مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا کَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً». (4)وجاء کذلک عن عائشه أنها قالت: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَه صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله]

1- (1) . الصحيفه السجاديه للإمام زين العابدين عليه السلام ، 470.
2- (2) . همان، 491.
3- (3) . الفرق بين العلم والمعرفه أنک قد تعلم بالشىء ولا تعرفه كما لو كنت غائباً عن أهلک سنين طوال فى الأسر وتعلم أنک رزقت ولداً ولم تصل إليک صورته، وحينما ترجع إلى أهلک ترى أبناء الأخ وأبناء الأخت وغيرهم يستقبلونک ومنهم ابنک ولكن لا تستطيع أن تميز بينهم إلا بالإخبار.
4- (4) . فهل كان كل من عبد الله بن مسعود وعائشه ممن كتم عندک فكانا من الملعونين أم ممن فى أعلى درجات العداله؟

وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ مَعَ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ قَوْلِ الله تَعَالَى: وَ فَوْقَ كُلِّ ذِی عِلْمٍ عَلِیمٌ ». و: «ما حدث أحد قوماً بحدیث لم تبلغه عقولهم إلا کان فتنه علیهم»، 1 ولو لم تکن التقیه إلا هنا فهو دلیل کاف علی ضروره الکتمان والتقیه علی حد سواء، فإن الآیه والروایه بیّنتا أنّ فوق کل ذی علم هناک علیم، ولو تساووا فی العلم لما کان هناک ذو علم وعلیم، ویبقی قسم من علم العلیم الذی هو فوق الأول محجوب عنه لسبب ما، وأحد الأسباب أن یکون فتنه له فیخفی العلیم عمن تحته لمصلحته هو ومصلحه الآخرین. ولو رجعت إلی مدرسه القرآن الکریم لحکمت بنفسک، فراجع ما جری بین موسی وهو نبی من أنبیاء أولی العزم وبین العبد الصالح علی نبینا وآله وعلیهما وعلی جمیع المصطفین الأخیار أفضل الصلاه والسلام فی سوره الکهف المبارکه. وقد ذُکِرت التقیه یوماً عند الإمام علی بن الحسین علیه السلام فقال: (و الله لو علم أبو ذر ما فی قلب سلمان لقتله ولقد آخی رسول الله صلی الله علیه وآله بینهما، فما ظنکم بسائر الخلق؟ إن علم العالم صعب مستصعب لا یحتمله إلا نبی مرسل أو ملک مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإیمان قال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه أمرؤ منا أهل البیت علیهم السلام فلذلک نسبه إلینا. 2 وعن أبی عبد الله علیه السلام قال:

اتقوا الله علی دینکم، واحجبوا بالتقیه، فإنه لا إیمان لمن لا تقیه له، إنما أنتم فی الناس کالنحل فی الطیر، لو أنّ الطیر تعلّم ما فی جوف النحل ما بقی فیها شیء إلا أکلته، ولو أنّ الناس علموا ما فی أجوافکم أنکم تحبوننا أهل البیت لأکلوکم بألسنتهم ولنحلوکم فی السر والعلانیه، رحم الله عبداً منکم کان علی ولایتنا. 3

فهی الدرع الواقی للمؤمن، حیث قال أبو عبد الله علیه السلام :

«إنّ أبی کان یقول: ما من شیء أقر لعین أبیک من التقیه» . وزاد فیه الحسن بن محبوب، عن جمیل أیضاً قال:

«التقیه جنه المؤمن». 4وعن زید 5 قال:

قلت لأبى عبد الله عليه السلام : نخشى أن لا نكون مؤمنين! قال: ولم ذاک؟ فقلت: وذلک أنّا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده آثر من درهمه وديناره ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاه أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال: كلا إنكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونون مؤمنين كاملين، ولو لم يكن فى الأرض مؤمنين كاملين إذاً لرفعنا الله إليه وأنكرتكم الأرض وأنكرتكم السماء، بل والذى نفسى بيده إن فى الأرض فى أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضه، ولو أنّ الدنيا بجميع ما فيها وعليها ذهبه حمراء على عنق أحدهم ثم سقط من عنقه ما شعر بها أى شىء كان على عنقه ولا أى شىء سقط منه لهوانها عليهم، فهم الخفى عيشهم المنتقله ديارهم من أرض إلى أرض الخميصه بطونهم من الصيام، الذبله شفاههم من التسبيح، العمش العيون من البكاء، الصفر الوجوه من السهر، فذلک سيماهم ضربه الله مثلا فى الإنجيل لهم وفى التوريه والفرقان والزبور والصحف الأولى وصفهم فقال: سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِکَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاهِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ. (1)

وقدعنى بذلک صفره وجوههم من سهر الليل، هم البرره بالإخوان فى حال اليسر والعسر، المؤثرون على أنفسهم فى حال العسر كذلک وصفهم الله فقال:

وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، (2) فازوا والله وأفلحوا، إن رأوا مؤمناً أكرموه، وإن رأوا منافقا هجروه، إذا جنهم الليل اتخذوا أرض الله فراشاً والتراب وساداً واستقبلوا بجباههم الأرض يتضرعون إلى ربهم فى فكاک رقابهم من النار، فإذا اصبحوا اختلطوا بالناس لم يشر إليهم بالأصابع، تنكبوا الطرق واتخذوا الماء طيباً وطهوراً، أنفسهم متعوبه وأبدانهم مكدوره والناس منهم فى راحه، فهم عند الناس شرار الخلق وعند الله خيار الخلق.

إن حدثوا لم يصدقوا وإن خطبوا لم يزوجوا، وإن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفقدوا، قلوبهم خائفه وجله من الله، ألسنتهم مسجونه وصدورهم وعاء سر الله، إن وجدوا له أهلاً نبذوه إليه نبذاً، وإن لم يجدوا له أهلاً ألقوا على ألسنتهم أقفالاً غيبوا مفاتيحها وجعلوا على أفواههم أوكيه صلباً صلاب أصلب من الجبال لا ينحت منهم شىء، خزان العلم ومعدن الحلم والحكم وأتباع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، أكياس يحسبهم المنافق خرساء وعميا وبلهاء وما بالقوم من خرس ولا عمى ولا بله، إنهم لأكياس

فصحاء حلماء حكماء أتقياء بررہ صفوہ الله، أسكنتهم الخشيه لله وأعيتهم ألسنتهم خوفاً من الله وكتمانا لسره، فوا شوقاه إلى مجالستهم ومحادثتهم، ويا كرباه لفقدهم، ويا كشف كرباه لمجالستهم، اطلبوهم فإن

1- (1) . الفتح: من الآيه29.
2- (2) . الحشر: من الآيه9.

وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتم فزتم بهم فی الدنیا والآخره هم أعزّ فی الناس من الکبریت الأحمر، حلیتهم طول السکوت بکتمان السر والصلاه و الزکاه والحج والصوم والمواساه للإخوان فی حال الیسر والعسر، فذلک حلیتهم ومحبتهم یا طوبی لهم وحسن مآب، هم وارث الفردوس خالدین فیها ومثلهم فی أهل الجنان مثل الفردوس فی الجنان، وهم المطلوبون فی النار المحبورون فی الجنان، فذلک قول أهل النار: ما لَنا لا نَری رِجالاً کُنّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ ، (1) فهم أشرار الخلق عندهم فیرفع الله منازلهم حتی یرونهم فیکون ذلک حسره لهم فی النار، فیقولون یا لیتنا نرد فنکون مثلهم فلقد کانوا هم الأخیار وکنا نحن الأشرار فذلک حسره لأهل النار.

وعن أبی عبد الله علیه السلام : فی قول الله: وَ یَقْتُلُونَ الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ ، (2) فقال: «أما و الله ما قتلوهم بالسیف ولکن أذاعوا سرهم وأفشوا علیهم فقتلوا». وعن إسحاق بن عمار قال: «تلا أبو عبد الله علیه السلام هذه الآیه: ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کانُوا یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللّهِ وَ یَقْتُلُونَ النَّبِیِّینَ بِغَیْرِ الْحَقِّ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ ، (3) فقال: و الله ما ضربوهم بأیدیهم ولا قتلوهم بأسیافهم ولکن سمعوا أحادیثهم فأذاعوها فأخذوا علیها، فقتلوا فصار ذلک قتلاً واعتداء ومعصیه». وعن أبی بصیر (4) قال: «سألت أبا عبد الله علیه السلام عن حدیث کثیر فقال: هل کتمت علیّ شیئاً قط؟ فبقیت أتذکر، فلما رأی ما بی قال: أما ما حدثت به أصحابک فلا بأس، إنما الإذاعه أن تحدث به غیر أصحابک». وعن الرضا علی بن موسی علیهما السلام قال: (5) «لا یکون المؤمن مؤمناً حتی یکون فیه ثلاث خصال: سنه من ربه، وسنه من نبیه، وسنه من ولیه. فأما السنه من ربه فکتمان السر، قال الله تعالی: عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً* إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ ، (6) وأما السنه من نبیه فمداراه الناس فإن الله تعالی أمر نبیه صلی الله علیه وآله بمداراه الناس فقال: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ ، (7) وأما السنه من ولیه فالصبر علی البأساء والضراء یقول الله تعالی: وَ الصّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . (8)

1- (1) . ص: من الآیه62.
2- (2) . آل عمران: من الآیه112.
3- (3) . البقره: من الآیه61.
4- (4) . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقی، 258/1.

5- (5) . معانی الأخبار، الشیخ الصدوق، 184.
6- (6) . الجن:26، 27 من الآیه.
7- (7) . الأعراف:199.
8- (8) . البقره: من الآیه177.

القسم الثانی: من جهه العمل

قد یشمل هذا القسم جانب المستحبات نسبه کبیره منه، ولقد ورد فی ما یشیر إلی ذلک من الروایات کالتی حثت علی التصدق فی السر، وعن رسول الله صلوات الله تعالی علیه وآله لأبی ذر رحمه الله : (1) «یا أبا ذر، اذکر الله ذکراً خاملاً، قلت:یا رسول الله وما الذکر الخامل؟قال: الذکر الخفی». وعن أمیر المؤمنین علیه السلام : (2) «من ذکر الله تعالی فی السر فقد ذکر الله کثیراً إن المنافقین کانوا یذکرون الله علانیه ولا یذکرونه فی السر، فقال الله تعالی: یُراؤُنَ النّاسَ وَ لا یَذْکُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِیلاً ». (3) وعن أبی عبد الله عن، أبیه علیهما السلام قال: (4)

«قال رسول الله صلی الله علیه وآله:صدقه السر تطفئ غضب الرب» . وعن عمار الساباطی قال: (5) «قال لی أبو عبد الله علیه السلام : یا عمار، الصدقه و الله فی السر أفضل من الصدقه فی العلانیه، وکذلک و الله العباده فی السر أفضل منها فی العلانیه».

القسم الثالث: ما یشمل شؤون الحیاه الأخری

وغالباً ما یکون هذا القسم فیما یخص عامه أمور الإنسان، فمن کلام لأمیر المؤمنین علیه السلام مع کمیل رحمه الله : (6)

یا کمیل، لا تطرق أبواب الظالمین للاختلاط بهم والاکتساب معهم، وإیاک أن تعظمهم وأن تشهد فی مجالسهم بما یسخط الله علیک، وإن اضطررت إلی حضورهم فداوم ذکر الله والتوکل علیه واستعذ بالله من شرورهم وأطرق عنهم وأنکر بقلبک فعلهم واجهر بتعظیم الله تسمعهم، فإنک بها تؤید وتکفی شرهم. یا کمیل؛ إنّ أحب ما تمتثله العباد إلی الله بعد الإقرار به وبأولیائه التعفف والتحمل والاصطبار. یا کمیل، لا تر الناس إقتارک واصبر علیه احتساباً بعز وتستر. یا کمیل، لا بأس أن تعلَم أخاک سرک، ومن أخوک؟ أخوک الذی لا یخذلک عند الشدیده ولا یقعد عنک عند الجریره ولا یدعک حتی تسأله ولا یذرک وأمرک حتی تعلمه، فإن کان مِیلا فأصلحه... .

1- (1) . الأمالی، الشیخ الطوسی، 530.
2- (2) . وسائل الشیعه (الإسلامیه)، الحر العاملی، 1189/4.
3- (3) . النساء: من الآیه142.

4- (4) . الكافى، الشيخ الكلينى، 7/4.
5- (5) . الكافى، الشيخ الكلينى، 8/4.
6- (6) . تحف العقول، ابن شعبه الحرانى، 173.

وعن زيد قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (1) (اكتم سرک عن كل أحد ولا يخرج سرک إلى اثنين فإنه ما جاوز الواحد فهو إفشاء، وإذا دفنت فى الأرض شيئاً تودعه الأرض فلا تشهد عليها شاهداً، فإنه لا تؤدى الأرض إليک وديعتک أبدا.).وعن أبى عبد الله عليه السلام قال: (2)

إن المشوره لا تكون إلا بحدودها فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له، فأولها أن يكون الذى يشاور عاقلا، والثانيه أن يكون حراً متدينا، والثالثه أن يكون صديقا مآخياً، والرابعه أن تطلعه على سرک، فيكون علمه به كعلمک بنفسک، ثم يستر ذلک ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً جهد نفسه فى النصيحه لک، وإذا كان صديقا مآخيا كتم سرک إذا أطلعته على سرک، وإذا أطلعته على سرک فكان علمه به كعلمک تمت المشوره وكملت النصيحه.

وعن معاويه بن وهب عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (3)

سمعته يقول: كان أبى عليه السلام يقول: قم بالحق ولا تعرض لما فاتک واعتزل ما لا يعنيک وتجنب عدوک، واحذر صديقک من الأقوام إلا الأمين، والأمين من خشى الله، ولا تصحب الفاجر، ولا تطلعه على سرک ولا تأتمنه على أمانتک واستشر فى أمورک الذين يخشون ربهم.

وقال الصادق عليه السلام : (4)

«لا تثقنَّ بأخيک كل الثقه، فإنَّ صرعه الاسترسال لن تستقال». وقال عليه السلام لبعض أصحابه:

«لا تطلع صديقک من سرک إلا على ما لو اطّلع عليه عدوک لم يضرک، فإنّ الصديق قد يكون عدواً يوماً ما». وعن أبى الحسن صلوات الله عليه قال: (5)

«إن كان فى يدک هذه شىء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل; قال: وكان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعه، فقال: احفظ لسانک تعز، ولا تمكن الناس من قياد رقبتک فتذل...»، وما ورد فى هذه الروايه كمثال، وإلا فإنّ فى حفظ اللسان العزه عند الناس والأهم عند الله تعالى فتدخل باقى الأقسام من خلال المثال فى مصاديق هذه الروايه المباركه.

هم أهل خُلَقٍ حسن كونهم يتحملون الذين يُكذِّبونهم ويتحاملون عليهم، بل ويقتلونهم لماً

1- (1) . الأصول السته عشر، عده محدثين، 8.
2- (2) . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقى، 602/2.
3- (3) . علل الشرائع، الشيخ الصدوق559/2.
4- (4) . الأمالى الشيخ الصدوق، 767.
5- (5) . الكافى، للكلينى225/2.

يحملونه من عقيده، ومع ذلک کله لا يضمرون نيه الشر إليهم، بل ويعظونهم ويوصون بالإحسان إليهم.

أما فی القرآن الکريم فهاک قول الله تعالی: وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (النور:من الآيه22)، قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (الجاثيه:14). وأما سيره أهل البيت صلوات الله تعالی عليهم أجمعين فهذا أمير المؤمنين علی عليه السلام قد أمر أصحابه فی معارکه التی خاضها ضد من عاداه فی الجمل وصفين والنهروان أن: (1) «إياکم أن تبدؤوا القوم بقتال حتی يبدؤوکم حتی تلقوهم فتدعونهم فتسمعون منهم، ولا يجرمنّکم شنآنهم علی قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مره بعد مره...» ولما قطعوا الماء عنه وعن أصحابه ثم استردوه بالسيف لم يمنعهم الإمام منه... وفی بعض ما قال: «لا تقاتلوهم حتی يقاتلوکم وأنتم بحمد الله علی حجه، وترککم قتالهم حجه أخری، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا علی جريح ولا تکشفوا عوره ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلی رحال القوم فلا تهتکوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا تهيجوا امرأه، وإن شتمن أعراضکم وسببن أمراءکم وصلحاءکم». فلم يتعامل مع أموالهم علی أنها غنائم ولا ذراريهم علی أنها من السبی... وحتی مع الخوارج لم يحکم فيهم بإباحه أموالهم وسبيهم وسبی أعراضهم، وکان يقول لهم قبل قتالهم: إنّ لکم علينا إن لا نمنعکم مساجدنا ولا حقکم من فيئنا... و لما قتله ابن ملجم قال: إن عشت فأنا ولیّ دمی، وقال: لا تقتلوا الرجل فإن برئت فالجروح قصاص وإن مت فاقتلوه، فقال: إنک ميت قال: وما يدريک قال: کان سيفی مسموماً... وعن أبی أمامه قال:«شهدت صفين فکانوا لا يجهزون علی جريح ولا يطلبون موليا ولا يسلبون قتيلاً». (2) وفی السيل الجرار

1- (1) . کما ورد عن أهل البيت فی الدعاء بالمغفره لمن شتمهم، وکذلک لم نجدهم قد بدؤوا أحداً بقتال إلا بعد إلقاء الحجه وکذلک بعد أن يقاتلهم القوم کما حصل فی الجمل وصفين والنهروان - ورد ذکر هذا الأمر فی ملحق المصادر- وکربلاء، فراجع کتب سيره أهل البيت صلوات الله تعالی عليهم أجمعين وکيف لا وقد کان منهلهم من نزل بحقه قوله عزّوجل: وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم:4). کما سيأتی فتابع.

2- (2) . بغيه الطلب فى تاريخ حلب، ابن العديم،1912/4و3948/9- الكامل، ابن الأثير147/3و165و169- الفتنه ووقعه الجمل، الضبى165- المنتظم (حتى752ه-) ابن الجوزى،101/5- البدء والتاريخ، مطهر بن طاهر المقدسى، 235/5- الإمامه والسياسه، لابن قتيبه الدينورى،87/1- السيره الحلبيه،498/2- تاريخ اليعقوبى،187/2- الطبرى،6/4- الكامل، لابن الأثير149/3- منهاج السنه النبويه،ابن تيميه245/5- منهاج السنه النبويه،ابن تيميه،405/7.السيل الجرار، الشوكانى559/4: منار السبيل، ابن ضويان، 354/2: الكامل، ابن الأثير،147/3و165و169.

للشوكانى: (1) «وأخرج أيضاً عن أبى فاخته أنّ علياً أتى بأسير يوم صفين فقال: تقتلنى صبراً فقال: لا أقتلك صبراً إنى أخاف الله رب العالمين ثم خلى سبيله...» وفى الباب آثار كثيره عن على لأنه ابتلى بقتال البغاه على اختلاف أنواعهم... وعن ابن الصباغ المالكى (2) روى عن سفيان قال:

جاء رجل إلى على بن الحسين عليه السلام فقال له:إن فلانا قد وقع فيک بحضورى، فقال له: انطلق بنا إليه، فانطلق معه الرجل وهو يرى أنه يستنصر لنفسه، فلما أتاه قال له: يا هذا، إن كان ما قلت فىَّ حقاً فأنا أسأل الله تعالى أن يغفره لى، وإن كان ما قلت فىَّ باطلاً فأسأل الله تعالى أن يغفره لک.

وفى صفه الصفوه لابن الجوزى: (3) «وعن سفيان قال: جاء رجل إلى على بن الحسين صلى الله عليه و آله فقال له: إنّ فلاناً قد آذاک ووقع فيک، قال: فانطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلما أتاه قال: يا هذا، إن كان ما قلت فىَّ حقاً فغفر الله لى، وإن كان ما قلت فىَّ باطلاً فغفر الله لک» وعن أبى يعقوب المدنى قال:

كان بين حسن بن حسن وبين على بن الحسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلى على بن الحسين وهو مع أصحابه فى المسجد فما ترک شيئاً إلا قاله له، قال: وعلىّ ساكت فانصرف حسن، فلما كان فى الليل أتاه فى منزله فقرع عليه بابه، فخرج إليه فقال له على: يا أخى، إن كنت صادقاً فيما قلت لى فغفر الله لى، وإن كنت كاذبا فغفر الله لک السلام عليكم وولى، قال: فاتبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال: لا جرم لا عدت فى أمر تكرهه، فقال على: وأنت فى حل مما قلت لى.

وفيه أيضاً: (4) «وكلمه رجل فافترى عليه فقال: إن كنا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لک، فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال: جعلت فداک ليس كما قلت أنا فاغفر لى قال: غفر الله لک، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته». وفيه كذلک: (5)

وعن عبد الغفار بن القاسم قال: كان على بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالى، فقال على بن الحسين: مهلاً عن الرجل ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنک من أمرنا أكثر ألک حاجه نعنيک عليها؟ فاستحيا

1- (1) . السبيل الجرار،557/4.
2- (2) . الفصول المهمه184.
3- (3) . صفه الصفوه، 94/2.
4- (4) . صفه الصفوه، ص95.
5- (5) . نفس المصدر، ص100.

الرجل فألقى عليه خميصه كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلک يقول:أشهد أنک من أولاد الرسول.

وكذلک: «عن رجل من ولد عمار بن ياسر قال: كان عند على بن الحسين قوم فاستعجل خادما له بشواء كان له فى التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً وسقط السفود من يده على بنى لعلى أسفل الدرجه فأصاب رأسه، فقتله فقال على للغلام: أنت حرّ لم تعمده وأخذ فى جهاز ابنه». وفى نفس المصدر (1) قال: «موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على أبو الحسن الهاشمى عليهم السلام، كان يدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريماً حليماً إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال». وحمى الإمام على بن الحسين صلوات الله تعالى عليهما نساء بنى أميه وذراريهم بعد أن احتمى به مروان بن الحكم يوم الحره، ولم يفعل بن عمر ذلک، وقد علم ما فعل هؤلاء بآل محمد صلوات الله تعالى عليهم. (2)

وفى الوصيه بحسن الخلق والمعامله برفق جاء عنهم عليهم السلام: (3)

«مَنْ عامل بالرفق غنم»، «مَنْ عامل بالعنف ندم»، «مَنْ لانت كلمته وجبت محبته»، «مَنْ ساءت سيرته سرت منيته»، «مَنْ صبر خفت محنته»، «مَنْ دارى الناس سلم»، «مَنْ أحسن إلى جواره كثر خدمه». فلا يكونن أحدنا سيئ الخلق، لأن ذلک أول ما يأتى على صاحبه بالخسران، فقد جاء عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (4) «إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»، وعنهم صلوات الله تعالى عليهم:

«مَنْ أساء خلقه عذب نفسه» ، وعن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن جبرائيل الروح الأمين نزل علىَّ من عند رب العالمين فقال: يا محمد، عليک بحسن الخلق فإنه ذهب بخير الدنيا والآخره، ألا وإن أشبهكم بى أحسنكم خلقا». وعن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال:

«قال على عليه السلام لأبى أيوب، الأنصارى: يا أبا أيوب ما بلغ من كرم أخلاقک؟ قال: لا أوذى جارا فمن دونه، ولا أمنعه معروفاً أقدر عليه، ثم قال عليه السلام : ما من ذنب إلا وله توبه، وما من تائب إلا وقد تسلم له توبته، ما خلا سيئ الخلق، لا يكاد يتوب من ذنب إلا وقع فى غيره أشر منه»، وكذلک عنهم صلوات الله تعالى عليهم:

«أبى الله تعالى

ص:194

1- (1) . نفس المصدر، ص184.
2- (2) . الأغانى، الأصفهانى، 30/1-التحفه اللطيفه فى تاريخ المدينه الشريفه، السخاوى، 251/2.
3- (3) . عيون الحكم والمواعظ، على بن محمد الليثى الواسطى،429، 430.
4- (4) . البحار296/70.

لصاحب الخلق السيئ بالتوبه، قيل: وكيف ذاک؟ قال: لأنه لا يخرج من ذنب حتى يقع فيما هو أعظم منه»، وكذلک قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«خصلتان لا تجتمعان فى مسلم: البخل وسوء الخلق»، وعن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام فى وصيته لابنه محمد بن الحنفيه: إياک والعجب وسوء الخلق وقله الصبر، فانه لا يستقيم لک على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لک عليها من الناس مجانب، والزم نفسک التودد». (1)وعن سفيان الثورى قال: (2)

لقيت الصادق بن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، أوصنى فقال لى: يا سفيان، لا مروءه لكذوب، ولا أخ لملول ولا راحه لحسود، ولا سؤدد لسيئ الخلق، فقلت: يا بن رسول الله زدنى، فقال لى: يا سفيان ثق بالله تكن مؤمناً، وارض بما قسم الله لک تكن غنياً، وأحسن مجاوره من جاورته تكن مسلماً، ولا تصحب الفاجر فيعلمک من فجوره، وشاور فى أمرک الذين يخشون الله تعالى، فقلت: يا بن رسول الله، زدنى، فقال لى: يا سفيان، من أراد عزاً بلا عشيره وغنى بلا مال وهيبه بلا سلطان فلينقل من ذل معصيه الله إلى عز طاعته، فقلت: زدنى يا بن رسول الله، فقال لى: يا سفيان، أمرنى والدى عليه السلام بثلاث ونهانى عن ثلاث، فكان فيما قال لى: يا بنى من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملک لسانه يندم، ثم أنشدنى عليه السلام :

عود لسانک قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت يعتاد

موكل بتقاضى ما سننت له فى الخير والشر فانظر كيف تعتاد

وقال أبو جعفر عليه السلام :

«فى حكمه آل داود ينبغى للمسلم أن يكون مالكاً لنفسه مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه...»، (3)فملک النفس هو حسن الخلق ومعامله الآخرين برفق. ومن كلام له عليه السلام مع عنوان البصرى: (4) «وأما اللواتى فى الحلم: فمن قال لک: إن قلت واحده سمعت

1- (1) . الروايات جميعها فى البحار،70/296-299.
2- (2) . علل الشرائع، للشيخ الصدوق، 559/2 الخصال للشيخ الصدوق/169.. تحف العقول، ابن شعبه الحرانى،293- وسائل الشيعه (طبعه آل البيت)، الحر العاملى، 32/12، 48- وسائل الشيعه (الإسلاميه)، الحر العاملى419/8، 430- مستدرک الوسائل، الميرزا النورى،334/8- الاختصاص،الشيخ المفيد/230- مشكاه الأنوار، على الطبرسى/137- البحار، للمجلسى[191/71، 196-99/72-172/75، 192- مستدرک سفينه البحار، الشيخ على النمازى، 171/6- نهج السعاده، الشيخ المحمودى260/7.
3- (3) . الكافى، للكلينى، 224/2.
4- (4) . الروايه وردت فى البحار للمجلسى، 224/1 ولئلا تحرمها ذكرتها هنا: (عن عنوان البصرى - وكان شيخا كبيرا قد أتى عليه أربع وتسعون سنه - قال: كنت أختلف إلى مالک بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينه اختلفت إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالک، فقال لى يوما: إنى رجل مطلوب ومع ذلک لى أوراد فى كل ساعه من آناء الليل والنهار، فلا تشغلنى عن وردى وخذ عن مالک واختلف إليه كما كنت تختلف إليه،فاغتممت من ذلک،

عشراً فقل: إن قلت عشراً لم تسمع واحده، ومن شتمک فقل له: إن کنت صادقاً فیما تقول فأسأل الله أن یغفر لی، وإن کنت کاذباً فیما تقول ف- الله أسأل أن یغفر لک، ومن وعدک بالخنی [أی الفحش] فعده بالنصیحه والرعاء».

ومن حسن خلق المؤمن الحلم والتغافل لا الغفله، قال أمیر المؤمنین علیه السلام لهمام: (1)

یا همام، المؤمن هو الکیس الفطن، بشره فی وجهه، وحزنه فی قلبه، أوسع شیء صدراً وأذل شیء نفساً، زاجر عن کل فان، حاض علی کل حسن، لا حقود ولا حسود، ولا وثاب، ولا سباب، ولا عیاب، ولا مغتاب، یکره الرفعه ویشنأ السمعه،

1- (1) . الکافی للکلینی226/2.

طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، وقور ذكور، صبور، شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقه، ليّن العريكه، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفك ولا متهتك. إن ضحک لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامه تعلم، ومراجعته تفهم. كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمه، لا يبخل، ولا يعجل، ولا يضجر، ولا يبطر، ولا يحيف فى حكمه، ولا يجور فى علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع ولا عنف ولا صلف... .

كما أمرنا أئمتنا الأطهار صلوات الله تعالى عليهم بالتغافل مداراةً للآخرين، قال أميرالمؤمنين عليه السلام :

ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم وعوّدوها الحلم، واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تحمدون عنه قليلاً من كثير، ولا تداقوا الناس وزنا بوزن، وعظموا أقداركم بالتغافل عن الدنىء من الأمور، وأمسكوا رمق الضعيف بالمعونه له بجاهكم إن عجزتم عما رجاه عندكم، فلا تكونوا بحاثين عما غاب عنكم فيكثر عائبكم، وتحفظوا من الكذب فإنه من أدنى الأخلاق قدراً، وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءه، وتكرموا بالتعامى [وروى بالتعامس أى التغافل] عن الاستقصاء... . (1)

وعن مولانا الإمام السجاد لمولانا الباقر صلوات الله عليهما:

«يا بنى، إنّ صلاح الدنيا بحذافيرها فى كلمتين: إصلاح شأن المعايش ملأ مكيال، ثلثاه فطنه، وثلثه تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شىء قد عرفه ففطن له». (2)وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أشرف خصال الكرم غفلتک عما تعلم». (3)وعنه عليه السلام قال:

«إن العاقل نصفه احتمال، ونصفه تغافل». (4)وعنه عليه السلام :

«تغافل يحمد أمرک». (5)وكذلک عنه عليه السلام :

«أشرف أخلاق الكريم تغافله عما يعلم». (6)وعنه عليه السلام :

«من أشرف أعمال [أحوال] الكريم غفلته عما يعلم». (7)وعن الإمام على عليه السلام :

«من لم يتغافل ولا يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته». (8)و:

«لا حلم كالتغافل، لا عقل كالتجاهل». (9)

ص:197

1- (1) . مشكاه الأنوار، على الطبرسى، 317.
2- (2) . مستدرک سفينه البحار، لعلى النمازى، 5/8.
3- (3) . همان.
4- (4) . غرر الحكم، 2378.
5- (5) . همان، 4570.
6- (6) . همان، 3256.
7- (7) . نهج البلاغه، الحكمه222.
8- (8) . غرر الحكم، 9149.
9- (9) . غرر الحكم، 10502.

ومن عظيم خلق الأئمه الأطهار صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وصيتهم أتباعهم بالنظير فى الخلق وبالأخ فى الدين وبالأخ فى الإيمان وبقضاء حوائجهم والدعاء لهم، بالرغم مما كانوا يلقونه ممن تسمى بالإنسانيه وبالدين وبالإيمان، فأى خلق كريم هذا الذى تحلوا به وأمروا به. ففى عهد أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه لمالک الأشتر رحمه الله لما ولاه مصر كتب له مما كتب:

...وأشعر قلبک الرحمه للرعيه والمحبه لهم واللطف بهم. ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لک فى الدين وإما نظير لک فى الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ، فأعطهم من عفوک وصفحک مثل الذى تحب أن يعطيک الله من عفوه وصفحه، فإنک فوقهم ووالى الأمر عليک فوقک، و الله فوق من ولاک... . (1)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (2)

«ابذل لأخيک دمک ومالک، ولعدوک عدلک وإنصافک، وللعامه بشرک وإحسانک. سلم على الناس يسلموا عليک». وعن أبى عبد الله عليه السلام (3) قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (4) فطرک لأخيک المسلم وإدخالک السرور عليه، أعظم أجراً من صيامک». وعنه عليه السلام قال: (5)

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا وكل الله به ملكا يقول له: ولک مثل ما دعوت لأخيک» . وعن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: (6)

«لا تبدى الشماته لأخيک فيرحمه الله ويصيرها بک، وقال: من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن». وعنه عليه السلام قال: (7)

حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسى ويعرى أخوه، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم، وقال: أحب لأخيک المسلم ما تحب لنفسک، وإن احتجت فسله، وإن سألک فأعطه، لا تمله خيراً، ولا يمله لک، كن له ظهراً فإنه لک ظهر إذا غاب فاحفظه فى غيبته، وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه فإنه منک وأنت منه، فإن كان عليک عاتباً فلا تفارقه حتى تسل

1- (1) . نهج البلاغه، 84/3.
2- (2) . تحف العقول، لابن شعبه الحرانى، 212.
3- (3) . المحاسن أحمد بن محمد بن خالد البرقى،412/2.
4- (4) . كتاب النوادر، قطب الدين الراوندى، 176.
5- (5) . مشكاه الأنوار، على الطبرسى، 569.
6- (6) . الكافى، للكلينى، 359/2.
7- (7) . وسائل الشيعه ط(آل البيت)، للحر العاملى، 206/12.

سخيمته [تنتزع غضبه] وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلى فاعضده، وإن تمحل له فأعنه، وإذا قال الرجل لأخيه: أف انقطع ما بينهما من الولايه، وإذا قال له: أنت عدوى كفر أحدهما، فإذا اتهمه انماث الإيمان فى قلبه كما ينماث الملح فى الماء.

أما الإمام السجاد عليه السلام فكان يقول: (1)

«إن الملائكه إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيک تدعو له بالخير وهو غائب عنک وتذكره بخير قد أعطاک الله تعالى مثلى ما سألت له وأثنى عليک مثلى ما أثنيت عليه ولک الفضل عليه...» وقال أبو أيوب الأنصارى: (2) «يا رسول الله، أوصنى واقلل لعلى أن أحفظ، قال: أوصيک بخمس: باليأس عما فى أيدى الناس، فإنه الغنى الحاضر، وإياک والطمع، فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاه مودع، وإياک وما تعتذر منه، وأحب لأخيک ما تحب لنفسک». وقال الصادق عليه السلام للمفضل: (3) «أوصيک بست خصال تبلغهنّ شيعتى، قلت:وما هن يا سيدى؟ قال: أداء الأمانه إلى من ائتمنک، وأن ترضى لأخيک ما ترضى لنفسک، واعلم أن للأمور أواخر، فاحذر العواقب، وأن للأمور بغتات، فكن على حذر، وإياک ومرتقى جبل سهل، إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدنّ أخاک وعداً ليس فى يدک وفاؤه». وعن (4) المفضل، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«أيّما مسلم لقى مسلما فسره سره الله تعالى». وعن (5) بكر بن محمد، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«ما قضى مسلم لمسلم حاجه إلا ناداه الله تبارک وتعالى: علىَّ ثوابک ولا أرضى لک بدون الجنه». وعن (6) إسحاق بن عمار، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«من طاف بهذا البيت طوافاً واحدا كتب الله تعالى له سته آلاف حسنه ومحا عنه سته آلاف سيئه، ورفع الله له سته آلاف درجه حتى إذا كان عند الملتزم فتح الله له سبعه أبواب من أبواب الجنه، قلت له: جعلت فداک! هذا الفضل كله فى الطواف؟ قال: نعم وأخبرک بأفضل من ذلک، قضاء حاجه المسلم أفضل من طواف وطواف وطواف حتى بلغ عشراً».

1- (1) . وسائل الشیعه ط(الإسلامیه)، للحر العاملی، 1149/4.
2- (2) . مستدرک سفینه البحار، الشیخ علی النمازی، 213/3.
3- (3) . مستدرک سفینه البحار، الشیخ علی النمازی458/4.
4- (4) . الکافی، للکلینی192/2.
5- (5) . الکافی، للکلینی194/2.
6- (6) . الکافی، للکلینی194/2.

وفى النهى عن معاداه الرجال قال (1) صلى الله عليه وآله:

«ما نهيت عن شىء بعد عباده الأوثان ما نهيت عن ملاحاه الرجال». وقال (2) أمير المؤمنين عليه السلام لبنيه: يا بنى، إياكم ومعاداه الرجال فإنهم لا يخلون من ضربين: من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجل عليكم، والكلام ذكر والجواب أنثى، فإذا اجتمع الزوجان فلا بد من النتاج ثم أنشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا

ومن هاب الرجال تهيَّبُوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

وعن (3) أبى عبد الله عليه السلام قال:

«إياكم والخصومه، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق و تكسب الضغائن». وعن (4) الوليد بن صبيح قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما عهد إلىّ جبرئيل عليه السلام فى شىء ما عهد إلىّ فى معاداه الرجال». وقال أبو عبد الله عليه السلام :

«من زرع العداوه حصد ما بذر». وعن (5) الصادق عليه السلام قال:

«إياک وعداوه الرجال، فإنها تورث المعره وتبدى العوره». وعنهم صلوات الله تعالى عليهم:

«أربعه القليل منها كثير: النار القليل منها كثير: والنوم القليل منه كثير، والمرض القليل منه كثير، والعداوه القليل منها كثير». وعن (6) أمير المؤمنين عليه السلام :

«من استحلى معاداه الرجال استمر معاناه القتال»، و (7)

«من سوء الاختيار مغالبه الأكفاء و معاداه الرجال» ، و (8)

«معاداه الرجال من شيم الجهال» ، وقال (9) السجاد عليه السلام :

«لا تعادينّ أحداً وإن ظننت أنه لا يضرک، ولا تزهدنّ فى صداقه أحد وإن ظننت أنه لا ينفعک، فإنک لا تدرى متى ترجو صديقک، ولا تدرى متى تخاف

عدوک، ولا یعتذر إلیک أحد إلا قبلت عذره وإن علمت أنه کاذب».

وأخیراً لم یطرد الإمام الصادق صلوات الله تعالی علیه من کان علی غیر مله الإسلام ویحضر بین أهل الطواف، وکلمه بلطف ولم یقل له غادر المکان فأنت رجس نجس، ولم

1- (1) . تحف العقول، ابن شعبه الحرانی42.
2- (2) . الخصال، للصدوق72.
3- (3) . الکافی، للکلینی، 301/2.
4- (4) . همان.
5- (5) . مستدرک الوسائل، للنوری، 78/9.
6- (6) .عیون الحکم والمواعظ، للواسطی،461.
7- (7) . همان، 469.
8- (8) . همان، 488.
9- (9) . البحار، للمجلسی، 180/17.

يأمر بقتله أو يتآمر عليه، فعن (1) أحمد بن محسن الميثمى قال:

كنت عند أبى منصور المتطبب فقال: أخبرنى رجل من أصحابى قال: كنت أنا وابن أبى العوجاء وعبد الله بن المقفع فى المسجد الحرام، فقال ابن المقفع: ترون هذا الخلق - وأومأ بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيه إلا ذلک الشيخ الجالس - يعنى أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام - فأما الباقون فرعاع وبهائم، فقال له ابن أبى العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنّى رأيت عنده ما لم أره عندهم، فقال له ابن أبى العوجاء: لابد من اختبار ما قلت فيه منه، قال: فقال ابن المقفع: لا تفعل فإنى أخاف أن يفسد عليک ما فى يدک، فقال: ليس ذا رأيک ولكن تخاف أن يضعف رأيک عندى فى إحلالک إياه المحل الذى وصفت، فقال ابن المقفع: أما إذا توهمت علىَّ هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل، ولا تثنى عنانک إلى استرسال فيسلمک إلى عقال وسمه مالک أو عليک؟ قال: فقام ابن أبى العوجاء وبقيت أنا وابن المقفع جالسين، فلما رجع إلينا ابن أبى العوجاء قال: ويلک يا بن المقفع، ما هذا ببشر وإن كان فى الدنيا روحانى يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا، فقال له: وكيف ذلک؟ قال: جلست إليه فلما لم يبق عنده غيرى ابتدأنى، فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون - يعنى أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون - وليس كما تقولون - فقد استويتم وهم، فقلت له: يرحمک الله، وأى شىء نقول وأى شىء يقولون؟ ما قولى وقولهم إلا واحد، فقال: وكيف يكون قولک وقولهم واحداً؟ وهم يقولون: إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بأن فى السماء إلها وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد، قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟ فقال لى: ويلک وكيف احتجب عنک من أراک قدرته فى نفسک: نشؤک ولم تكن وكبرک بعد صغرک، وقوتک بعد ضعفک وضعفک بعد قوتک، وسقمک بعد صحتک وصحتک بعد سقمک، ورضاک بعد غضبک وغضبک بعد رضاک، وحزنک بعد فرحک وفرحک بعد حزنک، وحبک بعد بغضک وبغضک بعد حبک، وعزمک بعد أناتک وأناتک بعد عزمک، وشهوتک بعد كراهتک وكراهتک بعد شهوتک، ورغبتک بعد رهبتک ورهبتک بعد رغبتک، ورجاءک بعد يأس ويأسک بعد رجائک، وخاطرک بما لم يكن فى وهمک وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنک، وما زال يعدد علىَّ قدرته التى هى فى نفسى التى لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بينى وبينه... .

1- (1) . الکافی، للکلینی، 74/1.

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (1)

طلبه العلم ثلاثه فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطاله والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار متعرض للمقال فى أنديه الرجال بتذاكر العلم وصفه الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطاله والختل، ذو خب وملق، ويستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء، من دونه، فهو لحلوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره، وصاحب الفقه والعقل ذو كآبه وحزن وسهر، قد تحنک فى برنسه، وقام الليل فى حندسه، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامه أمانه... .

وأيضاً قال عليه السلام :

«خالطوا الأبرار سراً وخالطوا الفجار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنه سيأتى عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوى الدين إلا من ظنوا أنه أبله وصبّر نفسه على أن يقال [له]: إنه أبله لا عقل له.. . (2) وعن أبى عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لعبد نومه، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أولئک مصابيح الهدى وينابيع العلم ينجلى عنهم كل فتنه مظلمه، ليسوا بالمذاييع البذر ولا بالجفاه المرائين..». (3)وعن أبى عبد الله عليه السلام قال: (4)

قال أمير المؤمنين عليه السلام : طوبى لكل عبد نومه لا يؤبه له، يعرف الناس ولا يعرفه الناس، يعرفه الله منه برضوان، أولئک مصابيح الهدى ينجلى عنهم كل فتنه مظلمه ويفتح لهم باب كل رحمه، ليسوا بالبذر المذاييع ولا الجفاه المرائين وقال:قولوا الخير تعرفوا به واعملوا الخير تكونوا من أهله ولا تكونوا عجلاً مذاييع، فإن خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر الله وشراركم المشاؤون بالنميمه، المفرقون بين الأحبه، المبتغون للبرآء المعايب... .

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (5)

«طوبى لعبد نومه، عرف الناس فصاحبهم ببدنه ولم يصاحبهم فى أعمالهم بقلبه، فعرفهم فى الظاهر ولم يعرفوه فى الباطن..».

ص:202

1- (1) . الكافى، للكلينى49/1.
2- (2) . همان117/2.
3- (3) . همان/225.
4- (4) . همان.
5- (5) . الخصال، الشيخ الصدوق27.

صَبْرُ المتقين

إنّ أحد ركائز الإيمان هو الصبر، وهذا أمر مفروغ منه قرآنياً، ويبحث عنه فى محله فى علم الأخلاق، فعن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«أمر الناس بخصلتين فضيعوهما فصاروا منهما على غير شىء كثيره الصبر والكتمان». (1)عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله: أُولئِکَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا (القصص: من الآيه54)، قال:

«بما صبروا على التقيه» «وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَهِ السَّيِّئَه» قال:

«الحسنه التقيه، والإذاعه السيئه». (2)وفى قول الله: وَ لا تَسْتَوِى الْحَسَنَهُ وَ لاَ السَّيِّئَهُ (فصلت:من الآيه34)، قال:

«الحسنه التقيه، والسيئه الإذاعه» ، وقوله: اِدْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ (فصلت:من الآيه34)، قال:

«التى هى أحسن: التقيه» ، فَإِذَا الَّذِى بَيْنَکَ وَ بَيْنَهُ عَداوَهٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (فصلت:من الآيه34). (3)

أين أنت من القرآن الكريم

فتلک آيات الحث على الصبر والعفو وترک العداوه والبغضاء قال الله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيّامَ اللّهِ لِيَجْزِىَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (الجاثيه:14)، وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (النور: من الآيه22)، وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ (البقره:109)، وَ لا تَسْتَوِى الْحَسَنَهُ وَ لاَ السَّيِّئَهُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَکَ وَ بَيْنَهُ عَداوَهٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (فصلت:34)، وَ ما يُلَقّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (فصلت:35)، وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً (الفرقان:63)، فمهمتنَا هى مهمه الأنبياء وليس لنا أن نقتل كما نشاء ونفرض رأينا كما نشاء، هذا مع فرعون: فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى (طه:44)، ومع الكفار وغيرهم: اُدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (النحل:125)، اِدْفَعْ بِالّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ نَحْنُ

1- (1) . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقی، 255/1.
2- (2) . همان/257.
3- (3) . همان.

أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ (المؤمنون:96)، وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاّ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنّا بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُکُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (العنکبوت:46)، لا إِکْراهَ فِی الدِّینِ قَدْ تَبَیَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَیِّ فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقی لاَ انْفِصامَ لَها وَ اللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (البقره:256)، وقال تعالی: وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ اسْتَجارَکَ فَأَجِرْهُ حَتّی یَسْمَعَ کَلامَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَعْلَمُونَ (التوبه:6) هذا مع المشرکین فکیف مع من أسلم، فهب أنک متعلم فهلا علّمت کما أُمِرتَ فتکون من العلماء العاملین؟

تذکر عنوان رفع الحصانه الإسلامیه

فإن قیل: إنّ هؤلاء الرافضه أشدُّ من الیهود والنصاری. ویقولونها ورتبوا علیها آثار الکفر مِنْ قتلٍ واعتداءٍ علی الأعراض وتشرید وتعذیب وسرقه أموال.. فقد قال لغیره رسول الله صلوات الله تعالی علیه وآله من قبل: هلاّ شققت عن قلبه؟ ولکی یتذکر هؤلاء أنقل لهم ما حصل مع زید بن حارثه وخالد بن الولید.

أما زید بن حارثه فقد قتل من قال لا إله إلا الله، فلم تنفعه صحبته ومحله من النبی صلی الله تعالی علیه وآله، ولمّا وصل خبره إلی النبی صلی الله تعالی علیه وآله أنّبه، فقال:

«إنما قالها متعوذا قال: فهلا شققت عن قلبه!! قال ما کان یعلمنی، هل قلبه إلا مضغه من لحم؟ قال: فأنت قتلته لا ما فی قلبه علمت ولا لسانه صدقت؟ ثم قال: من لک ب- (لا إله إلا الله) یوم القیامه؟ قال: فما زال یکرر ذلک علیَّ حتی وددت أن أنی أسلمت یومئذ». (1)وفی قوله صلی

1- (1) . زاد المعاد، ابن قیم الجوزیه،361/3- منهاج السنه النبویه، ابن تیمیه،453/4- الصارم المسلول، ابن تیمیه،618/2- مجموع الفتاوی، ابن تیمیه،213/7- الإیمان، ابن منده، 206/1- الغنیه عن الکلام وأهله، الإمام الخطابی، /41- المفارید، أبو یعلی،43- شعب الإیمان، البیهقی،339/4- الإحیاء، الغزالی، 18/1- ریاض الصالحین، النووی،119- مسند أبی عوانه الأسفرائینی،67/1- عون المعبود، محمد آبادی،217/7- مصباح الزجاجه، البوصیری،162/4- معتصر المختصر، أبوالمحاسن،217/1، 314/2- الدیات،

ابن أبى عاصم،11- خلاصه البدر المنير، ابن الملقن،297/2- مسند، الرويانى،147/2- معجم شيوخ بكر الإسماعيلى،788/3- مسند الحارث، (زوائد الهيثمى)،150/1- تاريخ جرجان، الجرجانى،472- التدوين فى أخبار قزوين، القزوينى، 48/4- الاستيعاب، ابن عبدالبر،785/2، 1387/3- غوامض الأسماء المبهمه،ابن بشكوال،741/2- البيان والتعريف، ابن حمزه الحسينى، 126/1، 231/2- التمهيد، ابن عبد البر،161/10- تفسير، ابن كثير، 535/1، 310/2-بغيه الطلب فى تاريخ حلب، ابن العديم،2792/6- المنتظم (حتى752ه-) ابن الجوزى،303/3-الفائق، الزمخشرى،409/2- بدائع السلك، الأزرق،35/2- تفسير الصنعانى،169/1- تفسير أبى السعود،219/2-تفسير البغوى،466/1-أحكام القرآن، الجصاص،30/1، 218/3، 223، 276-روح المعانى، الألوسى،113/5، 119-السيره الحلبيه، الحلبى،192/3، 207- كتاب المواقف، الإيجى،528/3، 534- كتب ورسائل

الله تعالى عليه وآله هلاّ شققت عن قلبه دليل على أن الحكم إنما يجرى على الظاهر وأن السرائر موكوله إلى الله تعالى. ولم يقبل قوله إنما كان ذلک مخافه السلاح والقتل.. فمن لک ب- (لا إله إلا الله) أنت يا من تقتل المسلم أياً كنت.

وأما خالد:

فعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِىُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآلهِ] وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِى جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَ الله، لَا أَقْتُلُ أَسِيرِى وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِى أَسِيرَهُ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِىِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآلهِ] وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِىُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآلهِ] وَسَلَّمَ يَدَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّى أَبْرَأُ إِلَيْکَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ. (1)

وعاب عبد الرحمن بن عوف على خالد ما صنع، فقال: «يا خالد، أخذت بأمر الجاهليه قتلتهم بعمک الفاکه قاتلک الله وأعانه عمر بن الخطاب على خالد فقال خالد أخذتهم بقتل أبيک، فقال عبد الرحمن بن عوف كذبت (2) و الله، لقد قتلت قاتل أبى بيدى وأشهدت على قتله...»

1- (1) . الصواعق المرسله، ابن قيم الجوزيه،376/1- زاد المعاد، ابن قيم الجوزيه،415/3- إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزيه،106/1، 8/3- منهاج السنه النبويه، ابن تيميه،486/477/4، 518/5، 261/6، 347/7- مجموع الفتاوى، ابن تيميه،551/8- الأربعين البلدانيه، ابن عساكر،214/4- معتصر المختصر، أبو المحاسن،216/1- مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد،239- الاستيعاب، ابن عبد البر،428/2- تغليق التعليق، ابن حجر،482/2، 146/4- السيره النبويه، ابن هشام،95/5- تفسير، ابن كثير،536/1- بغيه الطلب فى تاريخ حلب، ابن العديم،3156/3144/7- المنتظم، (حتى752ه-) ابن الجوزى،331/3- تاريخ، اليعقوبى،61/2- الفائق، الزمخشرى،116/4- تخريج الدلالات السمعيه، الخزاعى،653- كتاب حسن السلوک الحافظ دوله الملوک، ابن الموصلى،96- الدرر، ابن عبد البر،222- السيره، الحلبيه،210/3- الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله، الكلاعى الأندلسى،236/2- البخارى (السيره)،1577/4- الروض الأنف أبو محمد

المعارفى المدخله،227/4- العقائد الإسلاميه، ابن باديس،29- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى العقيده، ابن تيميه،551/8- الفروع، ابن مفلح، 6 200/- كنز العمال، للمتقى الهندى،185/1، 385/5، 343/12، 276/116/13- محمد صلى الله عليه وسلم، لمحمد رضا، 283- الإمامه وأهل البيت، محمد بيومى مهران، 74/1- ثم اهتديت، الدكتور محمد التيجانى،186- أزمه الخلافه والإمامه، أسعد وحيد القاسم،200- معالم الفتن، سعيد أيوب،357/1- منهج فى الانتماء المذهبى، صائب عبد الحميد، 299- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، صالح الوردانى،150- الصحابه فى حجمهم الحقيقى، الهاشمى بن على، 69- إمتاع الأسماع، المقريزى، 7/2.

2- (2) . هاهم الصحابه يشهد بعضهم على بعض بالكذب ويقسم على ذلك فأين العداله المطلقه؟

وقال بعض أصحاب السير: «إنما كان وجد عمر عليه فيما صنع بمالك ابن نويره من قتله إياه وتزوج امرأته (1) وما كان فى نفسه قبل ذلك من أمر بنى جذيمه..»

وفى أخرى مع خالد:

بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ رَضِى اللهِ عَنْه إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِى أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَهِ نَفَرٍ بَيْنَ عُيَيْنَهَ بْنِ بَدْرٍ وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَهُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِىَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَقَالَ أَلَا تَأْمَنُونِى وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِى السَّمَاءِ يَأْتِينِى خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً قَالَ فَقَامَ: رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهَهِ كَثُّ اللِّحْيَهِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ، اتَّقِ الله، قَالَ: وَيْلَكَ، أَوَ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِىَ الله، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّى، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِى قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: إِنِّى لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّهِ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ. (2)

تابع القرآن أخى المسلم تجد أن كل إباده جماعيه لم يتبناها أى نبى أو رسول على نبينا وآله وعليهم أفضل الصلاه والسلام، بل كانت من الله تعالى ينفذها الملائكه عليهم السلام... فانظر إلى نفسك وضعها حيث تشاء... .

المرء مع من يحب

إن كان الذى فيک محسوب من العيوب فغيره، لأنه خير لک، وفى هذا الأمر جاء عنهم عليهم السلام: (3)

«مَنْ بصَّرَکَ عيبَک فَقَدْ نصحک» ، وكذلک:

«مَنْ نصحک فقد أنجدک» ، وكذلک: «مَنْ

1- (1) . كما مر ذلک فی ص .. والواقع أن الزواج من المرأه إنما هو بشروط فالتی نزا علیها لا هی بمطلقه أو أرمله أنهت عدتها ولا هی بخالیه من رأس من أی مانع، فهو إذن الزنا بعینه.
2- (2) . حکم تارک الصلاه، ابن قیم الجوزیه،32- زاد المعاد، ابن قیم الجوزیه،415/3- الصارم المسلول، ابن تیمیه،425/1، 618/2- مجموع الفتاوی، ابن تیمیه،480/7- شرح العمده، ابن تیمیه،64/4- الغنیه عن الکلام وأهله، إمام الخطابی،41- تحفه المحتاج، ابن الملقن، 576/1- البیان والتعریف، ابن حمزه الحسینی، 285/1- السیره الحلبیه، الحلبی،88/3- صحیح البخاری (الجزء الخاص فی السیره)،1581/4- کتب ورسائل وفتاوی ابن تیمیه فی العقیده، 480/7- معارج القبول، الحکمی،155/1، 609/2- کنزالعمال، للمتقی الهندی،181/11- الصواعق الإلهیه، سلیمان بن عبد الوهاب،58.
3- (3) . ما سألقیه علیک من حکم قائلا: (جاء عنهم) فهو عنه صلوات الله تعالی علیه وآله ثم عنهم، والحق أن ما عندهم واحد

خالف النصح هلک». وجاء عنهم أيضاً عليهم السلام:

«مَنْ حذرک کمن بشرک» ، و

«مَنْ ذکرک فقد أنذرک». (1)ولکن إياک أن تضع فی ذهنک أننی أريد منک أن تعتنق التشيع عقيده فإنّ هذا غير القصد، لأننی مؤمن بأن قوانين الآخره تختلف عن قوانين الدنيا، فليس التشيع يحتاج إلی المؤيدين، بل معتنقه محتاج إليه، وفی الآخره من کان مؤيدوه من القله يفوز بالغلبه، قال الله تعالی فی الواقعه: وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ* أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ* فِی جَنّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ..وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ ..ثُلَّهٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ* وَ ثُلَّهٌ مِنَ الْآخِرِينَ* وَ أَصْحابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ فيتضح أنّ المقربين وأصحاب اليمين هم القله علی کل حال، فمن يعتقد بأنه علی حق لا يسعی للحصول علی مؤيدين، نعم يسعی للتبليغ فتکون مهمته مهمه الأنبياء فقط..

أقول: إياک أن تحب أو تؤيد عمل غير المعصوم 100% وبشکل خاص ما لا تعلم منه، ففی ذلک بدء وقوع الفتن وها أنت تراها کل يوم، فقد جاء عن أبی جعفر عليه السلام قوله:

خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: (2) أيها الناس، إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحکام تبتدع، يخالف فيها کلام الله، يقلد فيها رجال رجالاً، ولو أنّ الباطل خلص لم يخف علی ذی حجی، ولو أنّ الحق خلص لم يکن اختلاف، ولکن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً، فهنالک استحوذ الشيطان علی أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنی.

فلماذا لا نفکر فی أن نکون ممن سبقت لهم من الله تعالی الحسنی قبل فوات الأوان؟ ففی ذلک اليوم قال تعالی: قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ کَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (السجده:29)، فَلَمْ يَکُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْکافِرُونَ (غافر:85)... .

1- (1) عيون الحکم والمواعظ، علی بن محمد الليثی الواسطی،429.

2- (2) . المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقى،218/1.

ولأن المرء مع أحب هذا أولاً ولأن من تحب غير معصوم فتحشر يوم القيامه وأنت راض بقتل فلان أو اغتياب فلان وبهتان فلان، نعم مطلوب منک حب الآخرين ولكن ليس أن تحبه هو وعمله مطلقاً من دون قيد..

أما لو أحببت المعصوم مطلقاً فهذا لا غبار عليه، بل هو مطلوب؛ لأنه القدوه، ولا تقل لا يوجد معصوم، فإنک لم تصب الحق حينذاک، فقد ورد ما يدل على العصمه فى الحديث (1) عن حذيفه رحمه الله فى من خلال قوله:

«فإن كان لله فى الأرض يومئذ خليفه جلد ظهرک وأخذ مالک فالزمه» ، ولک أن تحب من طلب منک المعصوم أن تحبه مطلقاً كما فى سلمان وأبى ذر وعمار وحذيفه - عليهم وعلى أمثالهم الرحمه والرضوان - لما ورد فيهم من نصوص تدل على ذلک.

وقد ورد فى البخارى (2) كتاب الأدب عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله تعالى عَلَيْهِ وآله بثلاث صيغ: الأولى:

«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وفى الأخرى:

«جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَقُولُ فِى رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وفى الثالثه: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ:

الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ قَالَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». فاللفظ الأول مطلق وأما اللفظان الآخران فمنهما تستشف من قول السائل:

«وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ» أو

«وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ» أن المحب إما لم يلحق ولن يستطيع ذلک؛ للفارق الزمنى، وأما الثانى أنه يمكنه ولكنه لم يلحق بهم لحد الآن، فكان الجواب أنه ما دام أحب عملهم فهو معهم. ولذلک جاء فى الكتاب العزيز فى خطاب بنى إسرائيل: وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها وَ اللّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (البقره:72)، وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ (البقره:87)، وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ

وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (البقره:91).

1- (1) . المحاسن، ص126 من هذا الكتاب، وقد نوهت إلى هذا الأمر هناک ولا بأس بالتأكيد عليه.
2- (2) . وفى غيره من مئات المصادر من كتب أتباع المذاهب هذا المعنى، وكذلک من مصادرنا وأكتفى بهذا المصدر ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب التفسير ويبحث عن الآيات التى من خلالها يخاطب الله عزّوجل من كان فى زمن الأنبياء بتحمل كفر سابقيهم.

وها هو النبى صلى الله تعالى عليه وآله قد تبرأ من فعله خالد وأنكر على زيد فعلته، وكذلک عمر بن الخطاب أنكر على خالد فعلتيه وكذلک عبد الرحمن بن عوف، وذكر صاحب وفيات الأعيان: (1) «عن عمر بن شبه فى أخبار البصره، أن العباس بن عبد المطلب قال لعمر بن الخطاب: إن رسول الله [صلى الله تعالى عليه وآله] أقطعنى البحرين، فقال: ومن يشهد لک بذلک؟ قال: المغيره بن شعبه، فأبى أن يجيز شهادته...». (2)

فهل تستطيع أن تبرأ الآن إلى الله تعالى من فعله خالد أم لا؟ وتقبل بتعامل عمر بن الخطاب مع شهاده المغيره؟

نعم لک أن تحب المسلم أو المؤمن وأن تضمر له ذلک وتدعوَ له، (3) وله عليک من الحقوق ما

1- (1) . وفيات الأعيان، ابن خلكان، 367/6.
2- (2) . فإن كان المغيره عادلاً فليس من حق عمر بن الخطاب أن لا يجيز شهادته، نعم، من حقه أن يطلب شاهداً آخر، والعباره صريحه فى عدم الإجازه، وإلا فقد ثبت المطلوب، فلا بسيره عمر بن الخطاب يسير بعض ولا بسيره النبى صلى الله تعالى عليه وآله يقبلون.. وإن أنت حكمت بعداله المغيره فقد جرحت بعداله عمر وإلا فأين هى عداله الصحابه... .
3- (3) . ولكن إياک والمدح فإنه الذبح، وهذا ما ورد عنهم عليهم السلام: البحار،295/70 قال عليه السلام : (رب مفتون بحسن القول فيه). فعن النبى صلى الله عليه وآله: (لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يثنى عليه فى وجهه... (المحجه البيضاء:284/5)، وعنه صلى الله عليه وآله: إذا مدحت أخاک فى وجهه فكأنما أمررت على حلقه الموسى (المحجه البيضاء:283/5). وعن الإمام على عليه السلام : من مدحک فقد ذبحک.(غرر الحكم:7766). وعن الإمام الحسن عليه السلام : لما سأله رجل أن يعظه فأجابه بأن: إياک أن تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منک، أو تَكْذُبَنى [بالتخفيف] فإنه لا رأى لكذوب، أو تغتاب عندى أحداً. فقال له الرجل: ائذن لى فى الانصراف، فقال عليه السلام : نعم إذا شئت. (تحف العقول:236). وأمر رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله) أن يحثا فى وجوه المداحين التراب.. وجاء رجل فأثنى على عثمان فى وجهه، فأخذ المقداد بن الأسود تراباً فحثا فى وجهه، وقال: قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله): إذا لقيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب..(سنن ابن

ماجه:3742)(سنن أبى داود:4804). وروى أن رجلاً مدح رجلا عند النبى (صلى الله تعالى عليه وآله)، فقال: ويحک! قطعت عنق صاحبک لو سمعها ما أفلح، ثم قال: إن كان لا بد أحدكم مادحا أخاه فليقل: أحب فلاناً ولا أزكى على الله أحداً، حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلک.(المحجه البيضاء:283/5.). وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: لا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتكبر وتجبر وتعجب بعملک، فإنّ أفضل العمل العباده والتواضع.(تحف العقول:208، 304).. وعن الإمام على عليه السلام : أجهل الناس المغتر بقول مادح متملق، يحسن له القبيح، ويبغض إليه النصيح.(غرر الحكم:3262)، وعنه عليه السلام : كم من مغرور بحسن القول فيه، كم من مفتون بالثناء عليه.(غرر الحكم:6932- 6931)، وعنه عليه السلام : كثره الثناء ملق يحدث الزهو ويدنى من العزه.(غرر الحكم:7119)، وعنه عليه السلام قال: احترسوا من سَوره الإطراء والمدح، فإنّ لهما ريحاً خبيثه فى القلب.(غرر الحكم: 2539)، وعنه عليه السلام : الإطراء يحدث الزهو ويدنى من الغره.(غرر الحكم:1367)، وعنه عليه السلام : حب الإطراء والمدح من أوثق فرص الشيطان.(غرر الحكم:4877). وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: حب الإطراء والثناء يعمى ويصم عن الدين، ويدع الديار بلاقع.(تنبيه الخواطر:122/2)، وعن الإمام على عليه السلام فى صفه المتقين: إذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسى من غيرى، وربى أعلم بى منى بنفسى! اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون، واجعلنى أفضل مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون.(نهج البلاغه: الخطبه193). وعن الإمام زين العابدين عليه السلام : المؤمن يصمت ليسلم، وينطق ليغنم... إن زكى خاف مما يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، لا يغره قول من جهله، ويخاف إحصاء ما عمله.(الكافى:3/231/2). وعن الإمام الباقر عليه السلام - لجابر بن يزيد الجعفى -: إن مُدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع وفكر

لو علمت لحكمت على نفسک بالتقصير.. ولكن الحذر الحذر من أن تحب كل عمله؛ فإنه ليس بمعصوم، والذى يؤيّد ذلک أنّ الذى عليک هو الظاهر لا الباطن، والله تعالى يعلم ما فى باطنه.

ولما كانت هناک فتن كما مرّ فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكذلک الحديث الوارد عن حذيفه رحمه الله وقد يصعب التمييز بين الحق والباطل، احتجت المعصوم ليدلّک على الصواب لئلا تطيع غيرک فى معصيه، فعن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«من أطاع رجلاً فى معصيه فقد عبده»، (1)وجاء عن أبى بصير (2) قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ (التوبه:من الآيه31)، فقال: أما و الله، ما دعوهم إلى عباده أنفسهم ولو دعوهم إلى عباده أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون»، فلأن التابع كان قاصداً اتباع واضع تلک الأحكام والآمر بها، فرجعت عبادتهم إليه من حيث لا يشعرون.

1- (1) . وقوله عليه السلام : (فى معصيه) يحتمل وجهين: الأول: أن يكون وصفاً ل-(رجلا) فيكون معناه من أطاع رجلاً هذا الرجل المطاع كان عاصياً فإن العاصى معبود لمن أطاعه مطلقاً، سواء أطاعه فى المعصيه أم فى غيرها كما يدل عليه قول الله تعالى فى الركون إلى الظالمين: وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (هود:113)، والوجه الثانى: أن يكون (فى معصيه) متعلق ب-(أطاع) وعليه فمعناه أنّ المطيع قد أطاع العاصي فى معصيه ما، فالعاصى معبود لمن أطاعه فى المعصيه، سواء أفعلها أيضاً أم رضى بها ومدحه عليها أم دعا له أم لم ينكرها، والسر فى ذلک أنّ العباده هى خضوع وتذلل وطاعه وانقياد، لذلک جعل اللهِ سبحانه اتباع الهوى وطاعه الشيطان عباده للهوى والشيطان، فقال: أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ (الجاثيه:من الآيه23)، وقال: أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (يّس:60)، وإذا كان اتباع الآخرين عباده لهم فأكثر الخلق مقيمون على عباده غير الله جل جلاله وهو النفس والشيطان وأهل المعصيه والكفران، وهو أحد مصاديق الشرک الخفى على أقل تقدير نعوذ بالله منه، قال الله سبحانه وتعالى وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (يوسف:106).

ولذلک جاء النهی عن طاعه المخلوق فی معصیه الخالق کما ورد فی نهج البلاغه، ج4ص14 قال علیه السلام : (لا طاعه لمخلوق فی معصیه الخالق.
2- (2) . الکافی398/2.

فلنكفّ عن عباده الناس من الجنه والناس، أفمن العقل عباده الدانى وترک العالى؟!: أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ (الجاثيه:من الآيه23)، وقال: أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (يّس:60).

وأيضاً عن أبى جعفر عليه السلام (1) قال:

«من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدى عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدى عن الشيطان فقد عبد الشيطان». ومن هذه الروايه المباركه نجد أن مجرد الإصغاء عباده، فكيف إذا بک ترضى أفعاله من دون تمحيص.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: (2)وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا* كَلاّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (مريم:82، 81)، قال عليه السلام :

«ليس العباده هى السجود والركوع إنما هى طاعه الرجال، من أطاع المخلوق فى معصيه الخالق فقد عبده». وعنه عليه السلام فى قول الله تعالى: (3)وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ (يوسف:106)، قال عليه السلام :

«شرک طاعه وليس شرک عباده».

وهذا هو الحارث بن حوت أتى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال:

أترانى أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلاله؟ فقال عليه السلام : يا حارث، إنک نظرت تحتک ولم تنظر فوقک فحرت، إنک لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه. فقال الحارث: فإنى أعتزل مع سعيد بن مالک وعبد الله بن عمر، فقال عليه السلام : إن سعيداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل. (4)

فهل تريد أن تكون كذلک فهذا شأنک. لا تقل: فلان صحابى وفلان تابعى، فإنه وإن كان مقدساً عندک ولكن ليس كل مقدس معصوم أو قدوه، فلا أريد أن أكرر عليک ما مضى من القول، استفد مما مرّ به من تجارب؟ فلا تكن أنت حقل تجارب جديد، وأنا لا يهمنى أنک اتبعته أم لا، فهذا شأنک أنت وحدک، ولكن من حقک علىّ النصح لک، إنما الحق قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ (الحجرات: من الآيه13).

1- (1) . الکافی434/6.
2- (2) . الوسائل، للحر العاملی،155/16(طبعه آل البیت).
3- (3) . همان، 127/27(طبعه آل البیت).
4- (4) . نهج البلاغه،63/4.

لما كان المتقون يمشون بين غيرهم بالتقيه خائفين كانت درجتهم على ما صبروا كما قال الله تعالى: تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْکَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (هود:49)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ (الحجر:45)، وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ (النحل:30)، و جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ كَذلِکَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ (النحل:31).. وصريح آيتين من سوره مريم المباركه فيها طرفان المتقون والمجرمون قال الله تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً* وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً (مريم:86، 85). و كذلک: فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِکَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا (مريم:97)، وقال في تعالى القصص: تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)، وفي ص: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّارِ (28)، و الله تعالى ولي المتقين: إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْکَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ إِنَّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (الجاثيه:19)، وهم: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقامٍ أَمِينٍ (الدخان:51)، وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (قّ:31)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ (الذريات:15)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَعِيمٍ (الطور:17)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَهَرٍ (القمر:54)، إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ (القلم:34)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ (المرسلات:41)، إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً (النبأ:31). وغير ما تقدم من الآيات الكريمه كثير فارجع إلى كتاب الله تعالى وانظر فيه وتدبر..

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى يقول:

ويل للذين يختلون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيه، أبى يغترون أم على يجترئون، فبى حلفت لأتيحن لهم فتنه تترک الحليم منهم حيران. (1)

فيتضح أنّ الله تعالى هو الذي يتبني الدفاع عنهم، قال الله تعالى: إِنَّ اللّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ كَفُورٍ (الحج:38).

1- (1) . الکافی2/299.

فتعلم وتعود على الامتثال ولا تشكک فی أحکام الله تعالی تنجو من الهلکه، و الله تعالی هو الموفق، و الله تعالی هو العالم.

هب أنّک لا تعمل بها، ولکن أین تذهب ممن سیقتل وتنتهک حرماته بسبب إذاعتک؟ فقد جاء عن أبی عبد الله علیه السلام فی قول الله تعالی: وَ یَقْتُلُونَ الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ (آل عمران:من الآیه112)، فقال:

«أما و الله ما قتلوهم بالسیف ولکن أذاعوا سرهم وأفشوا علیهم فقتلوا». (1)وتلا أبو عبد الله علیه السلام هذه الآیه: ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کانُوا یَکْفُرُونَ بِآیاتِ اللَّهِ وَ یَقْتُلُونَ الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ (آل عمران:من الآیه112). فقال:

و الله ما ضربوهم بأیدیهم ولا قتلوهم بأسیافهم ولکن سمعوا أحادیثهم فأذاعوها فأخذوا علیها فقتلوا فصار ذلک قتلاً واعتداء ومعصیه. (2)

وقال أبو عبد الله علیه السلام : إن الله عیر قوماً بالإذاعه، فقال: وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ (النساء: من الآیه83) فإیاکم والإذاعه م. (3)

مستویات التقیه

بحسب ما نقرأ فی القرآن الکریم نجد إنّ التقیه - شرعاً - فعل یصدر من المتقی، شرط کونها تصدر منه وهو فی حال الإیمان، وهذا یعنی أنّه علی الحقّ لا مطلقاً، وعلیه فإنّها - کفعل - لا تخرج عن وجهین: إمّا أن یتساوی فیها باطن العبد وظاهره وهذه علی مرتبتین وذلک بحسب الإضافه مرّه إلی لفظ الجلاله، کقوله تعالی: وَ لَقَدْ وَصَّیْنَا الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ إِیّاکُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ (النساء:من الآیه131)، ومره أخری إلی اسم الرب: یا أَیُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ (النساء: من الآیه1)، والثانی أدنی المراتب والأول أسماها، وهذا المستوی لا یتصور فیه اختلاف باطن الإنسان عن ظاهره لأن الله ربنا تعالی لا یخفی علیه شیء، قال تعالی: إِنَّ اللَّهَ لا یَخْفی عَلَیْهِ شَیْ ءٌ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ (آل عمران:5)، وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ (الأنعام:59)، إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَیْبِ السَّماواتِ

1- (1) . المحاسن أحمد بن محمد بن خالد البرقى256/1.
2- (2) . همان.
3- (3) . همان.

(فاطر:من الآیه38)، إِلی رَبِّکُمْ مَرْجِعُکُمْ فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ (الأنعام: من الآیه164)، وإما ألا یتساوی فیها ظاهر العبد وباطنه فلا یعقل إلاّ وجه واحد، وهو أنّه یخفی الحقّ ویظهر الباطل تلافیاً لوقوع ضرر أشد.

وهناک إخفاء بین المؤمنین أنفسهم، وهذا لا یتلازم مع إظهار الخلاف، نعم یتلازم مع الصمت وهو الکتمان کما مرّ، ویحصل عاده بین المؤمنین أنفسهم، وذلک بحسب درجات العلم والإیمان، ویمکن أن تسمی تقیه توسعاً و اعتماداً علی الروایه التی عن السجاد علیه السلام التی تحدثت عن سلمان وأبی ذر رضوان الله تعالی علیهما کما سبق فی هذا الفصل، فإذا کُتِم عن المؤمن فمن باب أولی یکتم عن غیره، وغیر المؤمن یشمل المسلم والکافر والمنافق فیدخل فی التقیه من رأس، أما أن یشمل المسلم فکقوله تعالی: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا یَدْخُلِ الْإِیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ (الحجرات: من الآیه14)، وأمّا الکافر والمنافق فمعلوم ضرورةً.

وممّا تقدم یعلم أفراد التقیه وحصصها فمنها علی مرتبه اسم الله تعالی وحصه منها علی مرتبه اسم الرب تعالی وحصه منها من العبد. أما دلیل الأنقسام علی هذه الحصص فمره جاءت التقیه مطلقه کما فی قول الله تعالی: زُیِّنَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا الْحَیاهُ الدُّنْیا وَ یَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ (البقره:من الآیه212)، قُلْ أَ أُنَبِّئُکُمْ بِخَیْرٍ مِنْ ذلِکُمْ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ (آل عمران:من الآیه15) لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللّهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ (المائده:93)، وأخری جاءت مضافه وکما مر إلی لفظ الجلاله أو اسم الرب. فإن قیل: إن هذا الفعل المطلق المذکور فی القرآن الکریم له حصتان فقط وکما مذکور بحسب الإضافه فمن أین لک أن تثبت الحصه الثالثه؟ وجوابه أنه لا یسع إنکار الثالثه خاصه بعد أن ورد اللفظ علی لسان النبی صلوات الله تعالی علیه وآله فی البخاری: (1) (..إن شر الناس منزله عند الله من ترکه أو ودعه الناس اتقاء فحشه) فثبت المطلوب... و الله تعالی هو العالم بالصواب..

1- (1) . باب المداراه کتاب الأدب 102/7و103.

ومما يتضح كذلک أن تقوى الله تعالى قبول أحكامه ومنها حكم التقيه التى هى على مراتب كما بينته الآيه المباركه من سوره المائده الكريمه، قال الله تعالى: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (المائده:93) فانظر إلى مقام المتقين وانظر إلى مقام غيرهم حيث قال تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً* وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْداً (مريم:86، 85)، وغيرهم من يمشى بينهم المؤمن بالتقيه.

الكتمان والتقيه ليسا تغطيه الرأس فى التراب

ومنه تعلم أنهما ليسا من النفاق بل هو نقيضهما وليسا من تغطيه الرأس أو دسه فى التراب كما يقال، بل هما عمل دؤوب ومتواصل إلا أنه فى الخفاء، وما يصدر من بعض بأن من يعمل بالتقيه فحسنى النهج والثائر حسينيه هذا كلام غير صحيح من جهتين الأولى عدم التأدب فى مقام ذكر أحد سيدى شباب أهل الجنه، والإمام الحسن عليه السلام هو الممهد لثوره الإمام الحسين عليه السلام فهو ممن شارک فيها وليست موافقته على بنود الصلح إلا لحقن الدماء وهذا بحث موكول إلى محله، ومن جهه كونه مع تركها وعدم العمل بها يوجب التشريع فافهم.

فلو اتبع هؤلاء الحق وعملوا بالتقيه لكان المجتمع الإسلامى مجتمعاً مثالياً لا يؤكل من الخارج ولا يتآكل من الداخل، ولكن التعصب والجهل أخذا من الناس مأخذا عظيماً فتركوا حكم الله تعالى إما خجلاً لأنهم حسبوه عاراً أو عناداً لأنهم على خلاف مع من يؤمن به تصريحاً، فحصل ما حصل ويحصل والتأريخ يعيد نفسه.

وكما رأيت فإن ذلک يصب فى رافد الحلم والذى يرفع من شأنه تطبيق هذا الحكم الشرعى وإن لم يكن هناک طاقه على حمل وتحمل أمانه ما فما فائده الإيمان إذن؟ وأكرر القول: إنما التقيه مع عدم إضمار نيه الشر إلا خلق قويم وسعه صدر وتحمل الآخر المتشدد بالرغم من اعتقاد المظلوم بأن هذا ظالم، فهو يتقيه ولا يحقد عليه ولا يستبيح حرماته، (1) بخلافه فى النفاق يضمر الشر ويتفق مع أهله ويظهر الإيمان ويخفى الكفر وأين هذا من ذاک. ولكن الويل كل الويل ممن يظلم الآخرين ويتسلط عليهم لمجرد اختلافهم معه.

وإن كنت متقياَ كاتماَ عمّن يعاديک ما تعتقد معرضاَ عما يصدر عنه فيما لا يرضى الله

ص:215

1- (1) . إلا بحدود، بخلافه فى الظالم المستبيح مطلقاً.

تعالى متعاوناً معه فى غيره كأنه بالنسبه إليک ولى حميم يتحير بک عدوک ولا يعلم كيف تعمل فلا تفضح نفسک وتكشف ظهرک لمن يريد أن ينال منه فيقضى عليک بمجرد أن تغفل، أو يتابع عملک فيهدم ما شيدت.

حكم من لا يعمل بهما

قد يقول قائل أفهم من خلال ما تقدّم بأنک تحكم على كل من لا يعمل بهما فهو مراء ليس بصاحب أخلاق وغير صبور لا يتحلى بالحلم ولا يحمل العلم.

وجوابه أن هذا اتهام لا أساس له من الصحه مطلقاً، فأنا لم أكن الصراط المستقيم ولن أكون ولم أدع ذلک ولن أدعيه إن شاء الله تعالى ، سوى أنه كل منا يشخص تكليفه الشرعى، فيتصرف بما يراه هو مناسباً والحكم لله تعالى هو الذى يعلم ما فى الصدور، وليس لأحد أن يوجه التهمه إلى باطن المؤمنين فيضل عن الصواب.

وهناک من يدعى بأن السيد الامام الخمينى (قدس سره) رفع شعار: (لا تقيّه بعد اليوم)، وذلک مردود من خلال رسالته العمليه (رحمه الله تعالى) فراجع. (1) ولست بصدد الدفاع عنه فإنه ليس بمتهم لأقوم بذلک، ولكنى على علم بأن أفعال المكلفين يكمل بعضها بعضاً. فالحياه بحاجه إلى من يتصدى لأمر لا يسعنى القيام به وأقوم أنا بعمل لم يتصد له غيرى وهكذا، وكل مسؤول أمام الله تعالى عن أعماله وتشخيصه للمصلحه بحسب علمه لا مطلقاً، وكلٌ منّا عليه أن يعلم تكليفه ما هو لا أن يشغل نفسه بالتفتيش عن تكليف الآخرين. إنما الكلام فيمن يكفر غيره ويلغيه ويحمل عليه ويشرع كما يشتهى ويقتل كما يشتهى لأنه غير معصوم فيستحل الحرمات كما يهوى.

استغفر الله تعالى لكل مؤمن ومؤمنه وأرجو منه تعالى أن يهدى المسلمين جميعاً إلى كل خير، وكل الخير هم محمد وآل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين:

وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (الأنبياء:107)

ذلِکَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (الشورى:23)

قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولَوا أسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ

ص:216

1- (1) . تحرير الوسيله للسيد الخمينى (قدس سره)151/1، 287، 441.

وَ إِنْ تُطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (الحجرات:14).

ص:217

ملحق المصادر

مصادر الحديث القدسى من الفريقين

هناک نکات فى الحديث القدسى تتبين من خلال التدبر فيه حيث ورد بألفاظ منها:

من آذى لى ولياً فقد استحل محاربتى وما تقرب إلىَّ عبدى بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلىَ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها وأذنه التى يسمع بها ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به... .

أما معنى هذا الحديث الكريم من خلال قوله «كنت كذا...» فيمكن أن يتصور فيما يلى:-

قوله: «كنت عينه»: فيكون مطلعاً على كل شىء... وأىُّ عين هذه التى يمكن أن يرى بها كل شىء؟ فيكون مظهر اسم (البصير).

قوله: (أذنه..): كذلک ولكن يكون مظهر اسم (السميع).

قوله: (يده): مظهر اسم (القادر).

قوله: (رجله): لا يحده مكان فيمكن أن يتواجد فى أىِّ مكان فى أىِّ لحظه، هذا من جهه. ومن جهه أخرى لا يكون له أثر إلا فى الخير تبعاً للطريق الذى يسلكه وهو الصراط المستقيم.

قوله: (فؤاده الذى يعقل به): الفؤاد المادى أحد أدوات الإدراک وأما الذى للنفس فهو قوه من قواها حينها يكون كل علمه حق مظهر اسم (الحق).

قوله: (لسانه الذى ينطق به): كل قوله حق مظهر اسم (الحق).

فلا يشكل علينا مشكلٌ أنكم تقولون شعراً فى علىِّ بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليه مضمونه أنه عين الإله أو هو عينه وما إلى ذلک، فهذا يثبت لأىِّ مؤمن بموجب هذا الحديث

المبارک. هذا کله ولکن کل بحسب ما یؤدی کماً ونوعاً. أما المصادر الناقله له فهی فی الهامش. (1)

ص:219

1- (1) . الاثنا عشریه الحر العاملی74- جامع السعادات النراقی166/2- شرح إحقاق الحق ج1 السید شهاب الدین المرعشی ص180\ج7ص461- العقائد الاسلامیه ج2 مرکز المصطفی ص413- المسانید ج1 محمد حیاه الأنصاری ص55، 179، 251- المنتخب من الصحاح السته محمد حیاه الأنصاری ص106، 249، 287- قره العینین من أحادیث الفریقین محمد حیاه الأنصاری ص 51،50،49،48- أصول الکافی الکلینی(336/2)الباب/331ح 3- الکلینی(337/2) ح/5الباب/331- المفید فی الأمالی ص/177م/22 ح/7- معجم المحاسن والمساوئ أبو طالب التجلیل التبریزی ص117- معجم الرجال والحدیث ج1 محمد حیاه الأنصاری ص52، 126، 18، 4، 329- الفتوحات المکیه ج4 ابن العربی ص449، 529- صحیح شرح العقیده الطحاویه حسن بن علی السقاف ص619، 620- الدرر السنیه ج4 أحمد زینی دحلان ص5- إتحاف أهل الزمان عمر غامسوری ص11- الحقائق الاسلامیه حاج مالک بن الشیخ داود ص13، 20- کاسح الألغام الکفریه عبد الله بن بن أبی بکر الحسینِی ص28- لماذا اخترت مذهب أهل البیت الشیخ محمد مرعی الأنطاکی ص59- معالم الفتن ج1 سعید أیوب ص225، 226\ج2ص157- منهج فی الإنتماء المذهبی صائب عبد الحمید ص227- إمتاع الأسماع ج9 المقریزی ص216- ونقل عن البخاری وکذلک رواه الحاکم وقال حدیث صحیح علی شرط الشیخین ورواه ابن عساکر، وأحمد وأبو یعلی والطبرانی والبیهقی والطبرانی وابن أبی عاصم وقال الألبانی حدیث صحیح - روضه المحبین ابن قیم الجوزیه ص409- مدارج السالکین ج3 ابن قیم الجوزیه ص24- مفتاح دار السعاده ج1 ابن قیم الجوزیه ص66- الفتاوی الکبری ج1 ابن تیمیه ص238\ج2ص303، 343\ج5ص255- العقود الدریه ابن عبد الهادی ص78- الاستقامه ج2 ابن تیمیه ص73- الجواب الصحیح ج3ابن تیمیه ص22، 170، 334، 335\ج5ص109- الصارم المسلول ج1 ابن تیمیه ص317\ج2ص727- الرد علی المنطقیین ابن تیمیه ص519- العقیده الأصفهانیه ابن تیمیه ص70، 174- قاعده فی المحبه ابن تیمیه ص50، 71- مجموع الفتاوی ج3 ابن تیمیه ص416\ج7ص442\ج8 ص143\ج10ص305\ج11ص159، 161- الرد علی البکری ج1 ابن تیمیه

ص347- التحفه العراقيه ابن تيميه ص37- الزهد والورع والعباده ابن تيميه ص115، 182- أمراض القلوب ابن تيميه ص36- الكبائر الذهبى ص213، 236- الإتحافات السنيه بالأحاديث القدسيه المناوى ص62، 63، 65- كرامات الأولياء اللالكائى ص94- الأولياء ابن أبى الدنيا ص9، 23، 48- الأربعون الصغرى البيهقى ص75- كتاب الزهد ج1 ابن أبى عاصم ص61، 65- آداب الصحبه السلمى ص118- حليه الأولياء ج1 الأصبهانى ص4، 5، 11\ج8ص318- الإحياء ج3 الغزالى ص212- صفه الصفوه ابن الجوزى ج1ص39، 42\ج2ص506- جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلى ص357، 358، 359، 360- رياض الصالحين النووى ص42، 116، 117- العلل المتناهيه ج1 ابن الجوزى ص44- أبجد العلوم ج2 القنوجى ص372، 374- نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ج2 الترمذى ص232، 233\ج3ص91- الفردوس بمأثور الخطاب ج3 إلكيا ص167، 168- كتاب الزهد الكبير البيهقى ص269، 270- التحبير فى المعجم الكبير ج1 أبى سعد عبدالكريم التميمى ص363- علل الحديث ج2 ابن أبى حاتم ص126- مقدمه فتح البارى ابن حجر،ص400-التمهيد،ج17،ابن عبدالبرص432-تفسيرابن كثير،ج1،ص133،134\ج2،ص580\ج3ص147\ج4ص84- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ج8 إبن العديم ص3636- طبقات الشافعيه الكبرى ج9 السبكى ص316- المنتظم (حتى752ه-)ج1 ابن الجوزى ص341- الديباج المذهب ابن فرحون ص104- طبقات الحنابله ج2 ابن أبى يعلى ص251- معرفه القراء الكبار ج1 الذهبى ص442- بدائع السلك ج1 الأزرق ص389- التبيان فى آداب حمله القرآن النووى ص15- تفسير البغوى ج 3 ص543 \ ج4 ص127- روح المعانى ج11 الألوسى ص 149\ ج 25 ص91- الصواعق المحرقه، ج1، إبن حجرالهيتمى، ص132-كتب و رسائل و فتاوى ابن تيميه فى العقيده ابن تيميه ج3 ص416 ج7 ص442 ج 8 ص143- شرح العقيده الطحاويه ابن أبى العز الحنفى ص406، 562- معارج القبول ج3 الحكمى ص1001- البرهان المؤيد الرفاعى الحسينى ص25- أصول الإيمان محمد بن عبد الوهاب ص56- الإمام العز بن عبد السلام ص174- الموافقات ج2 الشاطبى ص184- العهود المحمديه للشعرانى ص218- أحكام القرآن الجصاص195/4- نوادر الأصول فى أحاديث الرسول الترمذى71/1، 408 - حاشيه البجيرمى ج2 ص189- فقه العبادات على المذهب الحنفى للحاجه نجاح الحلبى ص167- كنز العمال ج1 للمتقى الهندى ص136، 137، 223\ ج7 ص439- مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى ص23، 24، 588- معارج اليقين فى أصول الدين الشيخ محمد السبزوارى ص514- أعلام الدين فى صفات المؤمنين الديلمى ص240- الجواب الكافى ابن قيم الجوزيه ص130- مدارج السالكين ابن قيم الجوزيه

مصادر حديث من قتل مسلماً أو مؤمناً

راجع هذه المصادر. (1)

ص:220

1- (1) . الجواب الكافى ابن قيم الجوزيه 104، 113- روضه المحبين ابن قيم الجوزيه 117- حكم تارک الصلاه ابن قيم الجوزيه31، 34، 36- زاد المعاد5 ابن قيم الجوزيه46- أحكام أهل الذمه ابن قيم الجوزيه2/729و3/1447- الصارم المسلولابن تيميه1/85 و2/580، 592، 612، 812- مجموع الفتاوى ابن تيميه4/368و7/482و18/274- حاشيه ابن القيم12/57- الكبائر الذهبى14- الفتن نعيم بن حماد1/163، 184، 186- الإيمان العدنى92- الإيمان ابن منده1/413- ناسخ الحديث ومنسوخه أبو حفص405- حديث خيثمه الطرابلسى71- الفوائد الرازى2/33 - السنه ابن أبى عاصم1/30و2/434- كتاب الزهد ابن أبى عاصم2/67، 68- شعب الإيمان البيهقى4/342، 345، 346، 347، 348- حليه الأولياء الأصبهان5/62، 74، 250و7/270و9/15- كتاب الفتن نعيم بن حماد1/81، 149، 163، 165، 184، 186- الإحياء الغزال2/285و3/137و4/133، 149- جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلى88، 123، 124، 127، 128- الترغيب والترهيب للمنذرى3/186، 201، 202- جمهره خطب العرب أحمد زكى صفوت2/53- مسند أبِى عوانه4/97، 98- سنن سعيد بن منصور4/1333، 1338- شرح معانِى الآثار الطحاوى3/159- مصباح الزجاجه البوصيرى3/121، 122و4/163، 164- المنتقى ابن الجارود212، 213- أخبار مكه الفاكه2/278- معتصر المختصرأبو المحاسن1/230و2/141، 142، 146، 147، 151- الديات ابن أبى عاصم2، 3، 8، 10، 26- تحفه المحتاج ابن الملقن2/441- الدرايه فى تخريج أحاديث الهدايه ابن حجر2/96، 240، 259، 262، 286- خلاصه البدر المنير ابن الملقن2/261، 296، 345- التحقيق فى أحاديث الخلاف ابن الجوزى2/309- اختلاف الحديث الشافعى206- الأحاديث المختاره ضياء الدين المقدسى1/443، 444، 445، 490، 497، 498- مسند الربيع292، 367، 368- مسند عمر بن الخطاب يعقوب بن شيبه73- مسند الشاشى1/383، 384، 385، 386- مسند البزار2/10، 35- مسند الروياني2/143- المسند الحميد1/65- مسند الحارث (زوائد الهيثمى)2/898- مسند الشاميين الطبران2/396- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا3/373، 454، 582و4/66و5/110- التاريخ

الصغير(الأوسط)البخارى1/151- جامع التحصيل العلائى245- الاستيعاب ابن عبد البر2/698- علل الترمذى للقاضى 219، 322- علل الحديث ابن أبى حاتم1/449و2/125- كشف الخفاء1العجلونِى/531، 2/119، 198، 385، 494- العلل الوارده فى الأحاديث النبويه الدارقطنِى3/50، 5\60ص253، 255- الإرشاد2أبو يعلى القزوينِى ص539 - موضح أوهام الجمع والتفريق2الخطيب البغدادى/260، 434- فضائل الصحابه1ابن حنبل/464، 465، 495، 496، 508 - التمهيد 2 ابن عبد البر ص4\23ص5\241ص313، 15\318ص290- تفسير ابن كثير1/38، 535، 2\3/536\190ص4\39ص213- وفيات الأعيان 2 إبن خلكان/3\41ص288- المنتظم (حتى752ه-)6 ابن الجوزى ص40- التحفه اللطيفه2السخاوى ص215- مسائل الإمام أحمد د. فضل الرحمن دين محمد ص417- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى2أبو العباس الناصرى/37، 42- الكامل3ابن الأثير/4\85ص293- طبقات الحنابله 2 ابن أبِى يعلى/24- مآثر الإنافه1 القلقشندى/59 - الفائق2الزمخشرى/244- مقتل الشهيد عثمان المالقِى/125، 163، 167- الأحكام السلطانيه السرجانِى/44- الإمامه والسياسه 1 الدينورى ص39- معانِى القرآن2النحاس/162، 4\300ص148- تفسير الثعالبِى1/402- تفسير أبِى السعود2/217- الناسخ والمنسوخ النحاس/347، 348، 390، 391- تفسير البغوى3/113- أحكام القرآن1الجصاص/168، 3\174ص45و4/47، 50، 55و5/104، 105، 147- تفسير النسفى1/241- روح المعانى5 الآلوسى/9\116ص94-السيره الحلبيه1/267- التنبيه والرد على أهل الأهواء أبِى الحسين محمد الملطِى ص48- كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الباقلانى/523- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى العقيده4/7\368/482- شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبد الله ص38- شرح العقيده الطحاويه ابن أبِى العز الحنفى/427- معارج القبول2الحكمى/3\628/1168- الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادى/343- الفصل فى الملل4ابن حزم/116- شرح السنه البربهارى/33- السنن الوارده فى الفتن 1 أبو عمرو الدانى/149، 163، 165، 184، 186- التاج والإكليل6المواق/230، 277- الفواكه الدوانى2النفراوى/98، 178- الشوكانِى الدرارى المضيه/444، 448- عمده الأحكام4ابن دقيق العيد/84، 85، 86- المبدع 3 ابن مفلح/8\240/324، 9\32/267، 146، 148، 173، 189-

لو تمعنت فی قول أبی بکر لعمر فی خالد: (تأوّل فأخطأ) تجد أن نفس قوله هذا مردود بنفسه لأنه یحتمل الخطأ، فهذه القاعده لو صدرت من معصوم فلا غبار علیها وإذ لم یقل أحد بعصمه أبی بکر فقد یکون هو الآخر تأول فی إصدار هذه القاعده فأخطأ، فلا یمکن العمل بها من رأس.. وعلی کل حال اطلع علی ما ذکروه بشأن مالک بن نویره فی المصادر المؤشره فتابع. (1) والجدیر بالذکر أنه هو الذی بشره النبی صلوات الله تعالی علیه وآله بالجنه، وقد وداه أبو بکر وأمر خالداً بطلاق زوجته - وإن کان الصحیح أن تبین عنه - ورد السبی والمال... . (2)

1- (1) . تاریخ الطبری242/3، 280، 476، 504 و502/5- کنز العمال 32/3ح228، ص132- وفیات الأعیان66/5 و14/6- فوات الوفیات627/2- تاریخ ابن شحنه بهامش الکامل114/11- تاریخ ابن الأثیر357/2- تاریخ دمشق115/5- تاریخ ابن کثیر321/6- تاریخ الخمیس211/2- شرح النهج لابن أبی الحدید179/1 أو54/1و15/6و22/20- الإصابه414/1 و336/3، 357 و36/6- الغدیر للأمینی158/7- تاریخ الیعقوبی12/2، 110- کتاب (الصدیق أبو بکر) للأستاذ هیکل ص151- الثقات ابن حبان169/2- تاریخ مدینه دمشق ابن عساکر256/16، 274- أسد الغابه295/4- تاریخ أبی الفداء158/1- الکامل358/2، 359- العقاد فی عبقریه الصدیق - معالم الفتن سعید أیوب359/1- الفتنه ووقعه الجمل الضبی ص115- المعیار والموازنه للإسکافی 27- تاریخ خلیفه بن خیاط/68 تحقیق د سهیل - الامامه والسیاسه ابن قتیبه تحقیق الشیری71/1تحقیق الزینی 51/1- الاستغاثه ابو القاسم الکوفی9/2- لسان العرب ابن منظور669/11- تاج العروس الزبیدی141/8- الکامل ابن الأثیر100/3- السیره الحلبیه356/3- فلک النجاه علی محمد فتح الدین الحنفی129- ثم اهتدیت للتیجانی139- حقیقه الشیعه الاثنی عشریه أسعد وحید القاسم65- أزمه الخلافه والامامه أسعد وحید القاسم103- الانحرافات الکبری سعید أیوب460.

2- (2) . عندها یصح زواج أمیر المؤمنین علی صلوات الله تعالی علیه من أم محمد بن الحنفیه ولا یکون ذلک إقراراً لما فعله أبو بکر وخالد بن الولید، وقد تعرضت لذلک کتب السیر فلا حاجه للإعاده.

فى مصباح الزجاجه البوصيرى: (1)

وقال بعضهم كل حديث ورد فيه الحميراء ضعيف واستثنى من ذلک ما أخرجه الحاكم من طريق عبد الجبار ابن الورد عن عمار الذهبى عن سالم بن أبى الجعد عن أم سلمه قالت ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشه فقال انظرى يا حميراء ألا تكونى أنت ثم التلفت إلى على فقال إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها قال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم.

وفى كنز العمال للمتقى الهندى: (2) «إن وليت من أمرها شيئا فأرفق بها [يعنى عائشه]، قاله لعلى. وفى المستدرک للحاكم: (3) هذا حديث صحيح وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.» وفى البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى: (4)

وكانت عائشه تؤلّب على على وتطعن فيه وترى أنه سينخلع وكان هواها فى طلحه فبينا هى قد أقبلت من الحج راجعه استقبلها راكب فقال ما وراءک قال قد قتل عثمان قالت كأنى أنظر إلى الناس يبايعون طلحه وأن إصبعه يحسن أيديهم فجاء راكب آخر فقالت ما وراءک قال بايع الناس علياً قالت واعثماناه ما قتله إلا على ولليله من عثمان خير من على الدهر كله وانصرفت إلى مكه وضربت فسطاطا فى المسجد.

وفى وفيات الأعيان لابن خلكان: (5)

وقيل وقعت بين حيين من قريش منازعه فخرجت عائشه على بغله تصلح بينهما فلقيها ابن أبى عتيق فقال إلى أين جعلت فداک فقالت أصلح بين هذين الحيين فقال والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل بعد فكيف إذا قيل يوم البغل فضحكت وانصرفت.

وباقى مصادر الواقعه تجدها هنا. (6)

1- (1) . مصباح الزجاجه، 81/3.
2- (2) . كنزالعمال، 77/12ح34371.

3- (3) . 3المستدرک،119.
4- (4) . البدء و التاريخ، 209/5.
5- (5) . وفيات الأعيان، 17/3.
6- (6) . وفيات الأعيان لابن خلكان59/7- المنتظم (حتى752ه-) لابن الجوزى75/5وما بعدها - تاريخ اليعقوبى180/2 وما بعدها- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أبو العباس الناصرى99/1وما بعدها - الخصائص الكبرى السيوطى232/2و235- الصواعق المحرقه ابن حجر الهيتمى348/1- إمتاع الأسماع المقريزى227/13-228- معالم الفتن سعيد أيوب368/1- الاستيعاب لابن عبد البر36/1.)

ولو أردت أن تعلم من المحرض على عثمان بن عفان فانظر فى وفى إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه (فلما كانت خلافه عثمان اختلفوا فى مسائل يسيره صحب الاختلاف فيها بعض الكلام واللوم كما لام على عثمان فى أمر المتعه وغيرها ولامه عمار بن ياسر وعائشه فى بعض مسائل قسمه الأموال والولايات). (1)

ودليل آخر أقدمه بين يديک وهو ما ورد على لسان النعمان بن بشير أحد أتباع معاويه بن أبى سفيان حيث دار بينها وبينه حوار من خلاله يتضح أنها كانت من رأس المحرضين على عثمان.. فعن النعمان بن بشير عن عائشه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعثمان: يا عثمان إن الله تعالى لعله أن يقمصک قميصاً فإن أرادوک على خلعه فلا تخلعه... فلما أخبر معاويه بن أبى سفيان بذلک لم يرض إلا أن تكتبه ففعلت ومن ضمن ما ذكر قال لها: غفر الله لک يا أم المؤمنين أفلا ذكرت هذا حين جعلوا يختلفون إليک؟ فقالت: نسيته حتى بلغ الله فيه أمره. (2) والمهم أن هذه الروايه قد صححها ابن أبى عاصم (3) على اختلاف ألفاظها وما جاء فيها من زيادات فى بعض طرقها فراجع هناک..

والعجيب أن كل من طالب بدم عثمان هو الذى شرک فى دمه، فقد روى المدائنى (4) فى كتاب مقتل عثمان إن طلحه منع من دفنه ثلاثه أيام، وأن علياً عليه السلام لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسه أيام، وأن حكيم بن حزام أحد بنى أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلى عليه السلام على دفنه، فأقعد طلحه لهم فى الطريق ناسا بالحجاره، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينه يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما صار هناک رجم سريره، وهموا بطرحه، فأرسل على عليه السلام إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا، فانطلقوا به حتى دفنوه فى حش كوكب... وروى الطبرى نحو ذلک، إلا أنه لم يذكر طلحه بعينه، وزاد فيه أن معاويه لما ظهر على الناس، أمر بذلک الحائط فهدم

1- (1) . إعلام الموقعين، 259/1.
2- (2) . فهذا يدل على أن الناس كانوا يختلفون إليها وهى تحرضهم ضده لأنه قال لها حين جعلوا يختلفون ولم يقل لها حين يختلفون إليک فالثانى يدل على المستقبل والأول يدل على الماضى، وهناک من رفع كلمه جعلوا ولكن

يبقى احتمال الماضى ماضٍ لقولها: حتى بلغ الله فيه أمره .. فلا ابن سبأ ولا هذا النبأ وسيعلم من كذب وتجرأ...
3- (3) . فى كتابه السنه559/2-561. ويمكنک متابعه باقى المصادر فى: (موارد الظمآن الهيثمى539- السنه الخلال326/2و227- تهذيب الأسماء النووى300/1- علل الحديث ابن أبى حاتم361/2- تاريخ الخلفاء السيوطى152- الموافقات الشاطبى265/2- كنز العمال للمتقى الهندى 344/11و27/13- إمتاع الأسماع المقريزى202/13 و203).
4- (4) . نقل ذلک الكلام صاحب شرح النهج ابن أبى الحديد فى6/10و7.

حتى أفضى به إلى البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلک بمقابر المسلمين. وروى المدائنى قال دفن عثمان بين المغرب والعتمه، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنه عثمان وثلاثه من مواليه، فرفعت أبنته صوتها تندبه، وقد جعل طلحه ناسا هناک أكمنهم كمينا، فأخذتهم الحجاره، وصاحوا: نعثل نعثل فقالوا: الحائط الحائط فدفن فى حائط هناک. وروى الواقدى قال: لما قتل عثمان تكلّموا فى دفنه، فقال طلحه: يدفن بدير سلع... . (1)

مصادر معركه صفين

فى معركه صفين قال ابن قيم الجوزيه فى مدارج السالكين: (2)

وقد تقاتل أولياء الله فى صفين بالسيوف ولما سار بعضهم إلى بعض كان يقال: سار أهل الجنه إلى أهل الجنه وكون ولى الله يرتكب المحظور والمكروه متأولا أو عاصيا لا يمنع ذلک من الإنكار عليه ولا يخرجه عن أصل ولايه الله.. .

بينما نقل فى جمهره خطب العرب (3) خطبه الإمام على عليه السلام فقال:

وقام الإمام على خطيبا على منبره يحرض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام، فقال سيروا إلى أعداء الله، سيروا إلى أعداء القرآن والسنن، سيروا إلى بقيه الأحزاب وقتله المهاجرين والأنصار.. .

وكذلک فيه: (4)

خطبه عمار بن ياسر وقام عمار بن ياسر يوم صفين فقال انهضوا معى عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم ظالم إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لأحداثه فقالوا إنه لم يحدث شيئا وذلک لأنه مكنهم من الدنيا... .

فأنت حرّ فيمن تصدّق، أتصدقّ قول أمير المؤمنين على عليه السلام أم غيره !.-

وللمزيد حول صفين وأطرافها يمكنک التعرف أكثر من خلال قراءه المصادر التاليه. (5)

ص:224

1- (1) . الغدير، ج9، ص 93.
2- (2) . مدارک السالکين، 500/1.
3- (3) . جمهره خطب العرب، أحمد زکی صفوت 314/1.
4- (4) . نفس المصدر، السابق 357/1.
5- (5) . بغيه الطلب فی تاريخ حلب ابن العديم279/1 وما بعدها..- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسی217/5 وما بعدها..- المنتظم (حتی752ه-) ابن الجوزی97/5 وما بعدها..- العبر فی خبر من غبر الذهبی38/1 وما بعدها..- تاريخ اليعقوبی187/2- الکامل ابن الأثير161/3 و167 و172/3 و200/3 و225/3- الجامع الأزدی235/2- أبو نعيم فی حليه الأولياء 86/2- کذبواعلی الشيعه سيد محمدرضوی 197-الخطط السياسيه أحمد حسين يعقوب 56 و225 و309 و354 و365- نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب46- الدر المنثور فی التفسير المأثورد71- مروج الذهب للمسعودی14/3- وراجع العقد الفريد29/4- وقعه صفين لنصر بن مزاحم82وما بعدها- شرح النهج256/1و361- تذکره الخواص للسبط الجوزی63- المواجهه أحمد حسين يعقوب93- جمهره الرسائل49/2و57- کتاب صفين360- شرح النهج504/1- خلاصه المواجهه أحمد حسين يعقوب29- صفين لنصر بن مزاحم112- العقد الفريد290/2- کتاب صفين20-24- الکامل للمبرد221/1- شرح النهج 136/1-138- تاريخ اليعقوبی161/2- قصص العرب363/2- أين سنه الرسول وماذا فعلوا بها؟ أحمد حسين يعقوب99- صفين لنصر بن مزاحم118-119- لقد شيعنی الحسين عليه السلام إدريس الحسينی46- لقد شيعنی الحسين عليه السلام إدريس الحسينی82.- لقد شيعنی الحسين عليه السلام إدريس الحسينی241- حقيقه الشيعه الاثنی عشريه أسعد وحيد القاسم69- أزمه الخلافه والإمامه أسعد وحيد القاسم113- الإمامه والقياده الدکتور أحمد عز الدين115- الطريق إلی مذهب أهل البيت دکتور أحمد راسم النفيس74- الانحرافات الکبری سعيد أيوب468- معالم الفتن سعيد أيوب456/1و19/2- وجاء الحق سعيد أيوب60- منهج فی الانتماء المذهبی صائب عبد الحميد235- الخدعه صالح الوردانی71- الشيعه فی مصر صالح الوردانی88- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين صالح الوردانی27- عقائد السنه وعقائد الشيعه صالح الوردانی32- دعوه إلی سبيل المؤمنين

طارق زين العابدين135- بنور فاطمه (عليها السلام) اهتديت عبد المنعم حسن163- قراءه فى مسار الأموى مروان خليفات14- الصحابه فى حجمهم الحقيقى الهاشمى بن على9-إمتاع الأسماع المقريزى 298/5 و216/6- الإصابه54/5). شذرات الذهب ابن العماد44/1- تاريخ الدوله العثمانيه محمد فريد27- تاريخ خليفه بن خياط 191 و193-تخريج الدلالات السمعيه الخزاعى96- الإمامه والسياسه ابن قتيبه الدينورى 88/1 و119- السيره الحلبيه الحلبى463/1 و263/2 و265- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى الطبرى98- الخصائص الكبرى السيوطى 234/2 و239- فصول من السيره ابن كثير212- وسيله الإسلام ابن قنفذ القسنطينى79.

(1)

أما من شهد مع على عليه السلام فكان من الصحابه ألفين وثمانمائه، منهم ما لا يقل عن ثمانين أو تسعين بدرياً، مائتين وخمسين أو ما لا يقل عن مائتين ممن بايع تحت الشجره، وما لا يقل عن مائتين وهناک من قال إنهم سبعمائه، وأربعمائه من سائر المهاجرين والأنصار، والباقى من سائر من ثبتت له مع النبى صلوات الله تعالى وآله صحبه، وشهد معه من التابعين ثلاثه شهد لهم رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله بالجنه وهم: أويس القرنى وزيد بن صوحان وجندب الخير، فأما أويس القرنى فقتل فى الرجاله يوم صفين وأما زيد بن صوحان فقتل يوم الجمل.. وعن الأصبغ بن نباته عن على بن أبى طالب رحمه الله أنه قال يوم صفين: من يبايعنى على الموت فقام تسعه وتسعون رجلاً فبايعوه فقال أين التمام الذى وعدت فقام إليه رجل من أخريات الناس محلوق الرأس عليه أطمار من صوف فبايعه فإذا هو أويس القرنى (2)

1- (1) . بغيه الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم312/1- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى211/5- تاريخ اليعقوبى188/2- الانحرافات الكبرى سعيد أيوب468- مروج الذهب41/3- البدايه255/7- معالم الفتن سعيد أيوب74/2- مروج الذهب361/2- معالم الفتن سعيد أيوب74/2- السيف والسياسه صالح الوردانى127- التدوين فى أخبار قزوين القزوينى193/1- تالى تلخيص المتشابه الخطيب البغدادى503/2- شرح الزرقانى158/3- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى210/5- بغيه الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم311/1و312.
2- (2) . المستدرک الحاكم النيسابورى403/3- سير أعلام النبلاء الذهبى33/4- الإصابه ابن حجر361/1 - انساب الأشراف

فقاتلوا فقتلوا.. وممن كان معه صلوات الله تعالى عليه عمّار وخزيمه ذو الشهادتين (1) ولم يسل سيفه حتى استشهد عمار فجرد سيفه فقاتل حتى قتل عليه وعلى جميع الشهداء الرحمه والرضوان. (2)

أمّا من كان مع معاويه من الأنصار فالنعمان بن بشير ومسلمه بن مخلد، وكان معه أيضاً عمرو بن العاص والمغيره بن شعبه وأبو هريره الذى لم يكن مع المقاتلين وكان ملتزماً بثّ الأحاديث لأنه جهاز دعايته... .

وأمّا أهل الشام (3) ففيهم غفله وقله فطنه، يجهلون الدين وتاريخه ومن بناه، ولا يعرفون من ذلک إلا ما زقهم به أميرهم، فكان يأمرهم فيطيعوا، 4 لذلک صدقوا قول عمرو بن العاص أن علياً عليه السلام هو الذى قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته. ومما يثير الدهشه أن معاويه تحدّث عن أتباعه أن: «أبلغ علياً أنى أقاتله بمائه ألف ما فيهم من يفرق بين الناقه والجمل». وفعلا هم كذلک بل لا يفرقون بين الجمعه والأربعاء إذ أنه صلى بهم الجمعه يوم الأربعاء 5 وذلک عند مسيره إلى صفين.. وقد أشار إلى هذا الأمر المقريزى 6 ولم يصرح به ولكن نقل هذا الأمر غيره بصراحه تامّه.

وعلى هذا فأنت تحكم على ابن تيميه عندما تعرض إلى أصحاب على عليه السلام وأصحاب معاويه الذين أطلق عليهم العثمانيون والذين هم طلبوا بدم عثمان. 7

1- (1) . والواقع أن أرض المعركه هى بنفسها محكمه فإذا لم ينفع عمار ذو الشهاده الواحده أتاكم ذو الشهادتين وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام نفس الرسول بموجب القرآن ولا يحتاج إلى شاهد ولكن إذا قبلنا ذلک تنزلاً فكم شاهد تريدون؟
2- (2) . الاستيعاب ابن عبد البر2/448- موضح أوهام الجمع والتفريق الخطيب البغدادى1/264- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم7/3250و3254- الكامل ابن الأثير3/200- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهران1/393- الإصابه1/426- معالم الفتن سعيد أيوب2/100.
3- (3) . هذا الكلام قاله بحقهم أهل السير وليس كلامى فقد آليت على نفسى ألا جرح مشاعر الآخرين.

(1)

قال الحسينى فى الإكمال عند الحديث عن عمار: (2) حرف الغين أبو الغاديه الجهنى (3) واسمه يسار بن سبع وقيل غير ذلک سكن الشام ونزل واسط عداد فى الشاميين أدرک النبى عليه السلام [صلوات الله تعالى عليه وآله] وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان محباً لعثمان وهو قاتل عمار بن يسار وكان إذا استأذن على معاويه وغيره يقول قاتل عمار بالباب يتبجح بذلک فانظر إلى العجب يروى عن النبى عليه السلام [صلوات الله تعالى عليه وآله] النهى عن القتل ثم يقتل مثل.

وجاء فى علل الحديث لابن أبى حاتم: (4)«.. سألت أبى عن حديث رواه هشام بن عمار عن سعيد ابن يحيى اللخمى عن حسان بن دينار عن كلثوم بن جبر عن أبى الغاديه عن النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم قال قاتل عمار فى النار وهو الذى قتله».

ورد فى البخارى كتابى الصلاه والجهاد والسير:ح/ (428، 2601) (5)، وفى مسلم كتاب الفتن ح/ (5193، 5194):

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ مُخْتَارٍ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ لِى ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِىٍّ انْطَلِقَا إِلَى أَبِى سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِى

1- (1) . (البلاذرى الأنساب ج5ص54- تاريخ اليعقوبى ج2ص150، 162، 172- الكامل فى التاريخ ج3ص56، 113- تاريخ الطبرى ج4ص283- مروج الذهب للمسعودى ج2ص339، 341- الطبقات الكبرى لابن سعد ج4ص232- فتح البارى ج3ص212، 213- أنساب الأشراف للبلاذرى ج5ص52، 55- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج3ص52وج8ص252، 262).
2- (2) . الإكمال، ص541 وللمزيد راجع أطراف الحادثه فى الهامش اللاحق.

3- (3) . منهاج السنه النبويه ابن تيميه205/6، 333- منهاج السنه النبويه ابن تيميه55/7- صفه الصفوه ابن الجوزى446/1- الكنى والأسماء مسلم669/1- المقتنى فى سرد الكنى الذهبى3/2- الاستيعاب ابن عبد البر1139/3- علل الحديث ابن أبى حاتم421/2- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم4548/10، 4671 - مسائل الإمام أحمد د . فضل الرحمن دين محمد/193- مقتل الشهيد عثمان المالقى/224- الروض الأنف أبى محمد المعارفى المدخله117/4- جواهر العقود الأسيوطى287/1- معالم الفتن سعيد أيوب359/1، 97/2- منهج فى الانتماء المذهبى صائب عبد الحميد/296- وقفه مع الدكتور البوطى هشام آل قطيب/145- مسند أبى داود الطيالسى ص223، 293- مسند ابن راهويه146/4- الآحاد والمثانى الضحاك172/5- السنن الكبرى النسائى155/5، 156- خصائص أمير المؤمنين عليه السلام النسائى/132، 133، 135- مسند أبى يعلى209/3 و455/12 و123/13، 331- مسند ابن حبان555/15- المعجم الأوسط الطبرانى 291/7 و44/8- المعجم الكبير الطبرانى221/5 و /23، 363- الجامع الصغير جلال الدين السيوطى718/2، 178- كنز العمال 169/9 و367/11، 722، 722، 725، 727 و536/13، 537، 538- شرح مسند أبى حنيفه ملاعلى القارى/245- فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوى474/4 و474/6- كشف الخفاء العجلونى 346/2- دفع الارتياب عن حديث الباب على بن محمد العلوى/37- التوفيق الربانى جماعه من العلماء /86، 87 - البدايه والنهايه ابن كثير263/3-265و340/7، 300- تاريخ ابن خلدون ق2ح174/2، 162- نحو إنقاذ التاريخ الإسلامى حسن بن فرحان المالكى /242.

4- (4) . علل الحديث،421/2.

5- (5) . الصلاه و الجهاد و السير، ص 428، 2601.

حَائِطٍ يُصْلِحُهُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ قَالَ يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ. (1)

وفى الكامل لابن الأثير (2) نقل ما جرى بين معاويه ورسل على عليه السلام :

أما الجماعه التى دعوتم إليها فمعنا هى وأما الطاعه لصاحبكم فإنا لا نراها لأن صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثأرنا وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن لا نرد عليه ذلک فليدفع إلينا قتله عثمان لنقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعه والجماعه فقال شبث بن ربعى أيسرک يا معاويه أن تقتل عمارا فقال وما يمنعنى من ذلک لو تمكنت من ابن سميه لقتلته بمولى عثمان فقال شبث والذى لا إله غيره لا تصل إلى ذلک حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض الفضاء عليک فقال معاويه لو كان ذلک لكانت عليک أضيق وتفرق القوم عن معاويه وبعث معاويه إلى زياد بن خصفه فخلا به وقال له يا أخا ربيعه إن عليا قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قتله صاحبنا وإنى أسألک النصر عليه بعشيرتک ثم لک عهد الله وميثاقه أنى أوليک إذا ظهرت أى المصريين أحببت فقال زياد أما بعد فإنى على بينه من ربى وما أنعم الله على فلن أكون ظهيرا للمجرمين وقام فقال معاويه لعمرو بن العاص ليس نكلم رجلا منهم فيجيب.

مصادر قتل حجر بن عدى رضوان الله تعالى عليه

راجع ما جاء عن حجر رضوان الله تعالى عليه فى هذه المصادر. (3)

1- (1) . مسلم كتاب الفتن، ح 5193، 5194.
2- (2) . الكامل، 173/3.
3- (3) . الأغانى الأصفهانى137/17-158- التاريخ الكبير البخارى72/3 - تاريخ الطبرى279/5- التمهيد ابن عبد البر45/24- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم2111/5 -2136- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى108/5و5/6 - المنتظم (حتى752ه-) ابن الجوزى241/5-246- العبر فى خبر من غبر الذهبى57/1- تاريخ اليعقوبى 230/2-231- الكامل

ابن الأثير 3/326-342و 420 و 4/38 و 49 و73- شذرات الذهب ابن العماد1/57- الفتنه ووقعه الجمل الضبى143- فتوح البلدان البلاذرى299و401- العواصم من القواصم المالكى219- تاريخ خليفه بن خياط 194و213- الطبقات ابن خياط 27- السيره الحلبيه الحلبى3/162- وسيله الإسلام ابن قنفذ القسنطينى/80- الروض الأنف أبى محمد المعارفى المدخله3/366و4/184- كنز العمال للمتقى الهندى11/205- البدايه والنهايه لابن كثير8/141- الكامل لابن الأثير3/ 487- الاستيعاب ابن عبد البر1/358- شرح نهج البلاغه ابن أبى الحديد3/181- نصر بن مزاحم المنقرى وقعه صفين تحقيق عبد السلام هارون ص 103و104- أسد الغابه4/217-218- المنتخب من الصحاح السته محمد حياه الأنصارى/121- مفهوم التقيه فى الفكر الإسلامى هاشم الموسوى/33- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهران1/234و383و389- مشاهد ومزارات آل البيت عليهم السلام فى الشام هاشم عثمان/112- أبناء الرسول فى كربلاء خالد محمد خالد/66- على خطى الحسين عليه السلام الدكتور أحمد راسم النفيس/21و48و61و129- ابن تيميه فى صورته الحقيقيه صائب عبد الحميد/24- مساحه للحوار أحمد حسين يعقوب/254- نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب/104و126- ثم اهتديت الدكتور محمد التيجانى/128و144- لأكون مع الصادقين الدكتور محمد

وقد حمل ابن قيم الجوزيه (1) على التأويل شر حمله فقال:

فما امتحن الإسلام بمحنه قط إلا وسببها التأويل فإن محنته إمّا من المتأولين وإمّا أن يسلط عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التنزيل وتعللوا بالأباطيل فما الذى أراق دماء بنى جذيمه [أى على يد خالد بن الوليد ولم يصرح باسمه ترقيعاً لرتبه الصحبه] وقد أسلموا غير التأويل حتى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وتبرأ إلى الله من فعل المتأول بقتلهم وأخذ أموالهم ! وما الذى أوجب تأخر الصحابه رضى الله عنهم يوم الحديبيه عن موافقه رسول الله صلى الله عليه وسلم غير التأويل حتى اشتد غضبه لتأخرهم عن طاعته حتي رجعوا عن ذلک التأويل؟ وما الذى سفک دم أمير المؤمنين عثمان (2) ظلماً وعدواناً، وأوقع الأمه فيما

1- (1) . فى إعلام الموقعين 251/4.
2- (2) . لا تقولوا عبد الله بن سبأ لأن أم المؤمنين عائشه هى التى ألبت عليه وغيرها من الصحابه وإن شئت راجع إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه259/1 قال هناک: (بعضا على اجتهاده من غير ذم ولا طعن فلما كانت خلافه عثمان اختلفوا فى مسائل يسيره صحب الاختلاف فيها بعض الكلام واللوم كما لام على عثمان فى أمر المتعه [فإذن تستنتج أن متعه الحج لم تكن حراماً لأن اللوم وقع زمان عثمان من على عليه السلام] وغيرها ولامه عمار بن ياسر وعائشه فى بعض مسائل قسمه الأموال والولايات) فيكون عبد الله بن سبأ هو عمار وعائشه هى عائشه أم المؤمنين، وعمار من اليمن واليمن فيها سبأ وفيها شيعه على عليه السلام واسم أخيه عبد الله واسم ابنه عبد الله هذا هو التأريخ، فيكون عمار هو ابن السوداء واليهودى الذى أسلم وضحک على الأصحاب الذين لم يذكر التأريخ أن أحداً منهم قد خولط ولكن التأريخ يذكر أنهم قد ضحک عليهم، والدليل على ما ذكرت لک تجده فى منهاج السنه النبويه ابن تيميه334/4:(وإذا كان ذلک فإذا ثبت أن شخصا من الصحابه إما عائشه وإما عمار بن ياسر وإما غيرهما كفر آخر من الصحابه كعثمان أو غيره أو أباح قتله على وجه التأويل كان هذا من باب التأويل المذكور ولم يقدح ذلک فى إيمان واحد منهما ولا فى كونه من أهل الجنه...). فتبين أن الذى كفر عثمان من مثل عمار وعائشه ولكن نسى ابن تيميه أنه نقل فى أحد كتبه أن عماراً لم يكفر أهل

صفين مع أنهم قاتلوه فكيف يكفر عثمان؟ إلا إذا ارتكب عثمان ما يوصل غيره على هذه النتيجه وهى التكفير!! نعم قال فى منهاج السنه النبويه ابن تيميه246/5- (أقبل رجل على عمار بن ياسر فقال: كفر والله أهل الشام فقال عمار: لا تقل ذلک فقبلتنا واحده ونبينا واحد ولكنهم قوم مفتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق ... وقال: لا تقولوا كفر أهل الشام قولوا فسقوا قولوا ظلموا، ولذا ينقل عن محمد بن نصر أنه قال: وهذا يدل على أن الخبر الذى روى عن عمار ابن ياسر أنه كفر عثمان بن عفان خبر باطل لا يصح لأنه إذا أنكر كفر أصحاب معاويه وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقاتلون فى دعم عثمان فهو لتكفير عثمان أشد إنكارا وقال ابن تيميه: قلت والمروى فى حديث عمار أنه لما قال ذلک أنكر عليه على رضى الله عنه وقال: أتكفر برب آمن به عثمان وحدثه بما يبين بطلان ذلک القول فيكون عمار إن كان قال ذلک متأولا فقد رجع عنه حين بين له على رضى الله عنه أنه قول باطل) فعلى

أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل وما الذى سفک دم على رضى الله عنه وابنه الحسين وأهل بيته رضى الله تعالى عنهم غير التأويل وما الذى أراق دم عمار بن ياسر وأصحابه غير التأويل وما الذى أرق دم ابن الزبير وحجر بن عدى وسعيد بن جبير وغيرهم من سادات الأمه 1 غير التأويل.

مصادر مقتل محمد بن أبى بكر رضوان الله تعالى عليه

2

أمسک معاويه ابن خديج بمحمد بن أبى بكر رضوان الله تعالى عليه فقال له: أتدرى ما أصنع بک أدخلک جوف حمار ثم أحرقه عليک بالنار فقال محمد: إن فعلت بى ذلک فلطالما فعلتم ذلک بأولياء الله وإنى لأرجو أن يجعلها عليک وعلى أولياءک ومعاويه وعمرو ناراً تلظى كلما خبت زادها الله سعيرا فغضب منه وقتله ثم ألقاه فى جيفه حمار ثم أحرقه بالنار، فلما بلغ ذلک عائشه جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت فى دبر الصلاه تدعو على معاويه وعمرو وأخذت عيال محمد إليها فكان القاسم بن محمد بن أبى بكر فى عيالهم... ولما بلغ معاويه [بن أبى سفيان] قتله أظهر الفرح والسرور، وبلغ عليا قتله وسرور معاويه فقال: جزعنا عليه على قدر سرورهم لا بل يزيد أضعافاً... وفى حياه الحيوان: ذكر ابن خلكان وغيره أن على بن أبى طالب ولى محمد بن أبى بكر مصر فدخلها سنه سبع وثلاثين، وأقام بها إلى أن بعث معاويه ابن أبى سفيان عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام (إلى أن قال) فأمر معاويه (ابن خديج) وكان من عسكر عمرو بن العاص فدخلوا على (محمد) وربطوه بالحبال، وجروه على الأرض، وأمر معاويه أن يجر فى الطريق، وأمر به أن يحرق بالنار فى جيفه (حمار). ووجد عليه على بن أبى طالب وجداً عظيما. وقال: كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا ولابنى أخا. وذلک لأنه عليه السلام كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاه أبى بكر ورباه.. وما يدل على أنه هو القاتل ما جاء فى التاريخ الصغير (الأوسط) 3 حيث دخل معاويه على عائشه فقالت: يا معاويه قتلت حجراً وأصحابه أما خشيت أن أخبأ لک رجلا فيقتلک بقتل أخى؟ قال لا إنى فى بيت أمان... .

ص:230

فی مالک الأشتر رضوان الله تعالی علیه

جاء فی تاریخ الطبری: (1) فخرج الاشتر من عند علی [صلوات الله تعالی علیه] فأتی رحله فتهیأ للخروج إلی مصر وأتت معاویه عیونه فأخبروه بولایه علی للأشتر فعظم ذلک علیه، وقد کان طمع فی مصر فعلم أن الأشتر إن قدمها کان أشد علیه من محمد ابن أبی بکر فبعث معاویه إلی الجایستار - رجل من أهل الخراج - فقال له: ان الأشتر قد ولی مصر فان أنت کفیتنیه لم آخذ منک خراجا ما بقیت فاحتل له بما قدرت علیه فخرج الجایستار حتی أتی القلزم وأقام به وخرج الأشتر من العراق إلی مصر فلما انتهی إلی القلزم استقبله الجایستار فقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج فنزل به الأشتر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتی إذا طعم أتاه بشربه من عسل قد جعل فیها سما فسقاه إیاه فلما شربها مات وأقبل معاویه یقول لأهل الشام إن علیاً وجه الأشتر إلی مصرفا فادعوا الله أن یکفیکموه، قال: فکانوا کل یوم یدعون الله علی الأشتر وأقبل الذی سقاه إلی معاویه فأخبره بمهلک الأشتر فقام معاویه فی الناس خطیباً فحمد الله وأثنی علیه وقال: أما بعد فإنه کانت لعلی ابن أبی طالب یدان یمینان قطعت إحداهما یوم صفین یعنی عمار بن یاسر وقطعت الأخری الیوم یعنی الأشتر. وقال البخاری (2) فی ترجمته: بعث علی علیه السلام الأشتر أمیراً علی مصر حتی بلغ قلزم فشرب شربه من عسل فکان فیها حتفه فقال: عمرو بن العاص إن لله جنودا من عسل. وقال صاحب معرفه الثقاه (3) فیه: مالک بن الأشتر النخعی کوفی تابعی ثقه. وفی الجرح والتعدیل: (4) (910) مالک بن الحارث الأشتر النخعی روی عن علی رضی الله عنه. وفی تاریخ مدینه دمشق لابن عساکر (5) نقلا عن کتاب العجلی المتقدم. مالک الأشتر النخعی کوفی تابعی ثقه... .

وقد أوردت مصادر عده کما تقدم لتری ذکر الرجل بنفسک فهناک من یسکت وهناک

1- (1) .تاریخ الطبری، 71/4.
2- (2) . التاریخ الکبیر311/7.
3- (3) . 259/2 للحافظ العجلی دراسه وتحقیق عبد العلیم عبد العظیم البستوی الطبعه الأولی الناشر مکتبه الدار بالمدینه المنوره.
4- (4) . الجرح و التعدیل، الرازی207/8.

5- (5) . تاريخ مدينه دمشق، 377/56.

من يشوش وهناک من يجمل کل ذلک لأنه کان من أصحاب على صلوات الله تعالى عليه. (1)

مصادر مقتل عمرو بن الحمق رضوان الله تعالى عليه

أما أول رأس أهدى فى الإسلام فهو عمرو بن الحمق أهدى إلى معاويه بالشام ويقترن اسم هذا الصحابى الجليل برجالات عرفوا بالتدين والولاء لمحمد وآله صلوات الله تعالى عليه وآله کمحمد بن أبى بکر ومالک الأشتر وصعصعه بن صوحان العبدى ورفاعه بن شداد ورشيد الهجرى وسعيد بن جبير وميثم التمار، وارتباطهم من حيث کونهم من المنکل بهم من قبل الأمويين وأتباعهم، فهب أنهم قالوا فى قسم منهم أنهم شارکوا فى قتل عثمان ولکن لم يعطوا مبرراً واحداً تستباح به حرمات غيرهم، إلا أن أحدهم قد برر جواز قتل واحد من الصحابه مثلاً للحفاظ على صلاح المجموع، وأما المصادر التّى تعرفک على شخصيه هذا الصحابى والمجاهد المحتسب تجدها هنا. (2) واتهموه بأنه قد طعن عثمان تسع طعنات، والصقوا تهمه النهب والسلب بمن ثار، والواقع أنهم ثاروا لأنه تصرف بالأموال بغير حق فکيف ينهبوه؟ وعلى کل حال مناقشه هذه الواقعه تحتاج إلى عرض خاص.

1- (1) . تاريخ مدينه دمشق ابن عساکر388/56 - معجم البلدان الحموى454/1 - ذکر أخبار إصبهان الحافظ الاصبهانى318/2.
2- (2) . زاد المعاد ابن قيم الجوزيه404/2- الأوائل ابن أبى عاصم108- السنه عبد الله بن أحمد558/2- جمهره خطب العرب أحمد زکى صفوت321/1و383/1و441و146/2و439/2- صبح الأعشى فى صناعه الإنشا القلقشندى302/1- الأغانى الأصفهانى141/17و147- الجامع للأزدى54/2- التاريخ الصغير (الأوسط) البخارى105/1- مشاهير علماء الأمصار ابن حبان55- المغنى فى الضعفاء الذهبى308/1- الکاشف الذهبى75/2- الاستيعاب ابن عبد البر716/2 و1173/3- دلائل النبوه الأصبهانى173- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم 2989/6-بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم3672/8 و3718 و4481/10- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى109/5- طبقات الشافعيه الکبرى السبکى120/10- التحفه اللطيفه فى تاريخ المدينه الشريفه السخاوى43/1- مسائل الإمام أحمد د.فضل الرحمن دين محمد330- تاريخ اليعقوبى230/2- الکامل ابن الأثير68/3و288-290و328-330- تاريخ

خليفه بن خياط خليفه بن خياط 212- مقتل الشهيد عثمان المالقى142و225- الأوائل الطبرانى106- الإمامه والسياسه ابن قتيبه1/146- السيره الحلبيه3/157- الخصائص الكبرى السيوطى2/36و2/241- كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الباقلانى526- عثمان بن عفان ذو النورين لمحمد رضا159- أبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام الشيخ محمد السماوى173- أصل الشيعه وأصولها الشيخ كاشف الغطاء318- كذبوا على الشيعه سيد محمد رضوى331- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهران1/234-240و2/36- مساحه للحوار أحمد حسين يعقوب253- نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب104- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى222- معالم الفتن سعيد أيوب1/418و2/226- السيف والسياسه صالح الوردانى133- إمتاع الأسماع المقريزى4/242و11/348و12/22114/106- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل الزمخشرى1/356).

مصادر حادثه سم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

(1)

علماً أنه من أتباع بنى أميه وكان بيده لواء معاويه يوم صفين وكان أخوه مهاجر مع على صلوات الله تعالى عليه وغزا عبد الرحمن الروم غير مره... جاء فى أعيان الشيعه السيد محسن الأمين: (2)

قال ابن الأثير فى الكامل70/3: إن سعيد بن العاص والى الكوفه من قبل عثمان كان قد تنازع مع جماعه من أهل الكوفه فكتب فيهم إلى عثمان فكتب إليه عثمان أن يلحقهم بمعاويه بالشام فتنازعوا معه فكتب إلى عثمان فيهم فأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفه ففعل فأطلقوا ألسنتهم فضج سعيد منهم إلى عثمان فكتب إليه أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ففعل فكان فيهم الأشتر وثابت بن قيس الهمدانى وكميل بن زياد وزيد بن صوحان وأخوه صعصعه وعمرو بن إسحاق وجندب بن زهير وجندب بن كعب وغيرهم... .

كل ذلک بسبب ميل أهل الشام إلى عبد الرحمن بن خالد، فشقّ ذلک على معاويه وأسرّها فى نفسه. وروى: أن عبد الرحمن بن خالد كان مريضا، فدخل عليه ابن أثال النصرانى فسقاه سما، وروى الطبرى وغيره أنه قد أمر معاويه ابن أثال أن يحتال فى قتله، وضمن له أن هو فعل ذلک أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جبايه خراج حمص، فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص، دس إليه ابن أثال شربه مسمومه، فشربها فمات، وولاه معاويه خراج حمص، ووضع عنه خراجه.

وفى أعيان الشيعه السيد محسن الأمين: (3)

خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيره بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى. هو حفيد خالد بن الوليد الصحابى المشهور الذى اسلم قبل الفتح. وكان المهاجر والد خالد كما فى خزانه الأدب202/2 عن الأصفهانى فى الأغانى مع على عليه السلام بصفين وكان خالد على رأى أبيه هاشمى المذهب ودخل مع بنى هاشم الشعب يعنى أيام ابن الزبير حين حصرهم فيه وأراد إحراقهم إن لم يبايعوه فأضطغن ذلک ابن الزبير عليه يعنى حبه لبنى هاشم فألقى عليه زق خمر وصب بعضه على رأسه وشنع عليه بأنه

1- (1) . نظريه عداله الصحابه لأحمد حسين يعقوب49- شيخ المضيره175- أزمه الخلافه والإمامه لأسعد وحيد القاسم130- الاستيعاب396/2- أسد الغابه289/3- الطبرى128/6- على خطى الحسين عليه السلام الدكتور أحمد راسم النفيس54- شذرات الذهب ابن العماد55/1 - معالم الفتن سعيد أيوب232/2.
2- (2) . اعيان الشيعه، 104/7.
3- (3) . نفس المصدر، 299/6.

وجده ثملا من الخمر فضربه الحد وكان عمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاويه فى صفين ولهذا كان خالد بن المهاجر أسوأ الناس رأيا فى عمه ثم أن معاويه لما أراد أن يظهر العهد ليزيد قال لأهل الشام إنى قد كبرت سنى ودق عظمى واقترب اجلى وأريد أن استخلف عليكم فمن ترون فقالوا عبد الرحمن بن خالد فسكت وأضمرها ودس إلى ابن أثال الطبيب فسقاه سما فمات وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر خبره وهو بمكه فقال له عروه بن الزبير أتدع ابن أثال يفنى أوصال عمک بالشام وأنت بمكه مسبل إزارک تجره وتخطر فيه متخايلا فحمى خالد ودعا مولى له يدعى نافعا فاعلمه الخبر وقال له لا بد من قتل ابن أثال فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن أثال يمسى عند معاويه فجلس له فى مسجد دمشق إلى اسطوانه وجلس غلامه إلى أخرى فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله وثار به من كان معه فحملاً عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقا ضيقا ففاتا القوم فبلغ معاويه الخبر فقال هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذى دخل فيه فأتى به فقال له معاويه لا جزاک الله من زائر خيراً قتلت طبيبى فقال خالد قتلت المأمور وبقى الآمر فقال عليک لعنه الله والله لو كان تشهد مره واحده لقتلتک به أمعک نافع قال لا قال بلى والله ما اجترأت إلا به ثم أمر بطلبه فأتى به فضربه مائه سوط وحبس خالدا وألزم بنى مخزوم ديه ابن أثال اثنى عشر ألف درهم... .

مصادر حديث يكون عليكم أئمه

ورد هذا الحديث فى المصادر المذكوره فى الهامش فراجع. (1)

مصادر تتحدث عن بسر بن أرطاه

اختلف فى صحبته ونقلوا له عنه صلى الله تعالى عليه وآله فى جامع الترمذى وسنن أبى داود

1- (1) . (إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه391/4- منهاج السنه النبويه ابن تيميه116/1و460/4 قال ابن تيميه هنا: (قالوا ومعاويه كانت رعيته تحبه وهو يحبهم ويصلون عليه)، ولازم كلامه وعلى عليه السلام كان ليس مرغوباً عند الرعيه كما يتضح من قوله فى منهاج السنه13/6: (ولم يقتل عمر رضى الله عنه رجل من المسلمين لرضا المسلمين عنه) ومعنى كلامه أن عليا عليه السلام قتل المسلمين لعدم رضاهم عنه فهنيئاً للمسلمين الذين

رضوا عن عمر ومعاويه ولم يرضوا بعلى - منهاج السنه النبويه ابن تيميه151/5- مجلس إملاء فى رؤيه الله تبارک وتعالى أبى عبد الله الدقاق/111- الفتن نعيم بن حماد151/1- مسند ابن المبارک/149- ذم الثقلاء ابن المرزبان/16- السنه ابن أبى عاصم509/2- تعظيم قدر الصلاه المروزى908/2- رياض الصالحين النووى/181- مسند أبى عوانه الأسفرائينى424/4-426- الجامع للأزدى325/2- مسند البزار414/1- مسند الشاميين الطبرانى 368/1- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا175/2- تهذيب الرياسه القلعى/116- كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفرالماوردى،223- شرح العقيده الطحاويه ابن أبى العزالحنفى/429و437- فضائح الباطنيه الغزالى/206- السنن الوارده فى الفتن أبو عمرو الدانى151/1- الدرارى المضيه الشوكانى /505- كنز العمال للمتقى الهندى8/6و14و33- زياده الجامع الصغير للسيوطى/205- فلک النجاه على محمد فتح الدين الحنفى/212- لأكون مع الصادقين الدكتور محمد التيجانى/38- الخدعه صالح الوردانى/87- عقائد السنه وعقائد الشيعه صالح الوردانى/127).

والنسائی ولذلک أثبت ابن حبان والدار قطنی وغیرهما له الصحبه، قال الواقدی: قبض رسول الله صلی الله علیه[وآله] وسلم وبسر صغیر لم یسمع منه وحکی ابن عبد البر عن احمد بن حنبل وابن معین نحو هذا وقالوا خرف فی آخر عمره... وأما أهل الشام فیقولون سمع منه صلی الله علیه وآله نقل عن ابن عبد البر فی الاستیعاب وقال سبط ابن الجوزی: «ولا أعلم أحدا من الصحابه خرف واختلط و الله أعلم إلا ما ذکر عن بسر بن أرطاه فیما تقدم علی القول بأنه صحابی»، وقال بن معین: بسر بن أرطاه رجل سوء، والبیهقی فی المعرفه: أهل المدینه ینکرون سماع بسر منه صلی الله علیه[وآله] وسلم، وقال فیه: وذلک لما اشتهر من سوء فعله فی قتال أهل الحره وقال بعض: لا تقبل روایه من رضی ما وقع عام الحره وکان من أعوانها. أقول: سبب ارتضائه أنه کان ضد علی علیه السلام وعلی کل حال راجع. (1) وکتعلیق علی ما ذکره أقول أیضاً: ینزهون الصحابه من الخرف ولکن النبی صلوات الله تعالی علیه وآله عندهم هجر.

وللاطلاع علی أفعال بسر راجع المصادر المشار إلیها فی الهامش. (2)

مصادر تتحدث عن سمره بن جندب

نقل فی المنتظم (حتی752ه-) ابن الجوزی: (3) عن سمره بن جندب قوله: «و الله لو أطعت الله کما

1- (1) . تاریخ ابن معین(روایه الدوری)448/2- شرح فتح القدیر ابن الهمام267/5- من رمی بالاختلاط سبط ابن الجوزی 55و60- جامع التحصیل العلائی149- تحفه التحصیل لأبی زرعه العراقی36.
2- (2) . الأغانی15/5و285/16و293- مولد العلماء ووفیاتهم ابن زبر الربعی139/1- التاریخ الصغیر (الأوسط) البخاری86/1- الاستیعاب ابن عبد البر88/1و157و699/2و895/3و943و1009- تصحیفات المحدثین العسکری577/2- البدء والتاریخ مطهر بن طاهر المقدسی229/5- المنتظم (حتی752ه-) ابن الجوزی162/5- التحفه اللطیفه فی تاریخ المدینه الشریفه السخاوی214/1- العبر فی خبر من غبر الذهبی63/1- مسائل الإمام أحمد د.فضل الرحمن دین محمد119- تاریخ الیعقوبی197/2- الکامل ابن الأثیر193/3و250و263- تاریخ خلیفه بن خیاط 198و200- شرح فتح القدیر ابن الهمام267/5- فلک النجاه علی محمد فتح الدین الحنفی58-

تاريخ الطبرى139/5- قال صاحب نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب48و49:[راجع نتائج معركه الحره فى كل كتب التاريخ وتأكد من صحه هذه النتائج وراجع على سبيل المثال الإمامه والسياسه لابن قتيبه. وراجع مروج الذهب للمسعودى26/3]- خلاصه المواجهه أحمد حسين يعقوب148- أين سنه الرسول وماذا فعلوا بها؟ أحمد حسين يعقوب176 قال المؤلف: [كان بسر بن أرطأه من أصحاب مسيلمه الكذاب أسلم وولاه عمر القضاء على البصره] - الاستيعاب120/1- أزمه الخلافه والإمامه أسعد وحيد القاسم118و215- الانحرافات الكبرى سعيد أيوب475- معالم الفتن سعيد أيوب368/1و142/2و254و313و435- الاستيعاب157/1- الطبرى80/6-البدايه والنهايه لابن كثير7/322- الخدعه صالح الوردانى83- السيف والسياسه صالح الوردانى131، 132- الصحابه فى حجمهم الحقيقى الهاشمى بن على56).

3- (3) . المنتظم، 266/5.

أطعت معاويه ما عذبنى أبدا»، والظاهر أن كلامه المنقول هناک سببه أن معاويه عزله عن الإماره..

وفى أخلاق سمره بن جندب جاء فى الفائق للزمخشرى: (1)

كانت لسمره بن جندب عضد من نخل فى حائط رجل من الأنصار ومع الرجل أهله فكان سمره يدخل إلى نخله فيشق على الرجل فطلب إليه أن يناقله فأبى فأتى النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم وذكر له ذلک فطلب إليه رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى قال: فهبه له ولک كذا وكذا أمرا أرغبه فيه فأبى فقال: أنت مضاره وقال للأنصارى: أذهب أنت فاقلع نخله.

وفى الخصائص الكبرى السيوطى: (2)

أخرج البيهقى من طريق أبي نضره عن أبى هريره أن النبى قال لعشره فى بيت من أصحابه آخركم موتاً فى النار فيهم سمره بن جندب قال أبو نضره فكان سمره آخرهم موتاً، وأخرجه من وجه آخر عن أبى هريره... فكان إذا أراد الرجل أن يغيظ أبا هريره يقول مات سمره فإذا سمعه غشى عليه وصعق ثم مات أبو هريره قبل سمره.

ونقل صاحب مفاهيم القرآن الشيخ جعفر السبحانى:

فقد عمد سمره بن جندب الذى أدرک عهد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ثم انضمّ بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم إلى بلاط معاويه بالشام، عمد إلى تحريف الحقائق مقابل أموال أخذها من الجهاز الأموى، الحاقد على أهل البيت. فقد طلب منه معاويه بإصرار أن يرقى المنبر ويكذب نزول هذه الآيه فى شأن على عليه السلام ، ويقول للناس أنها نزلت فى حق قاتل على: (أى عبد الرحمن بن ملجم المرادى)، ويأخذ فى مقابل هذه الأكذوبه الكبرى، وهذا الاختلاق الفضيع الذى أهلک به دينه، مائه ألف درهم.

وفى مقاتل بن عطيه102: [سمره بن جندب (عن أبى حنيفه: أقلد جميع الصحابه ولا أستجيز خلافهم إلا ثلاثه: أنس بن مالک، أبو هريره، سمره بن جندب، مختصر جاء فى كتاب المؤمل لابن شامه وفى الروض النضير فارس حسون كريم279:[ولاه معاويه فأسرف هذا السفاح فى القتل إسرافا لا حدود له. فهذا أنس بن سيرين يقول لمن سأله: هل كان سمره قتل أحدا؟

وهل يحصى من قتل سمره بن جندب؟ استخلفه زياد على البصره وأتى الكوفه، فجاء وقد قتل ثمانيه آلاف من الناس (وفى روايه: من الشيعه)، فقال له - يعنى زيادا -: هل تخاف أن تكون قتلت أحدا بريئا، فرد عليه قائلا: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت... وقال أبو سوار العدوى: قتل سمره من قومى فى غداه

1- (1) . الفائق، 442/2- الشوكانى الدرارى المضيه329.
2- (2) . الخصائص الكبرى، 245/2.

سبعه وأربعين رجلا قد جمع القرآن... وأغار سمره بأمر معاويه على المدينه، فهدم دورها وجعل يستعرض الناس على التهمه والظنه، فما بلغه عن أحد يقال له: إنه ساعد على عثمان إلا قتله... .

وفى الكامل لابن الأثير: (1)

قال ابن سيرين قتل سمره فى غيبه زياد هذه ثمانيه آلاف فقال له زياد أتخاف أن تكون قتلت بريئا فقال لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت، وقال أبو السوار العدوى قتل سمره من قومى فى غداه واحده سبعه وأربعين كلهم قد جمع القرآن وركب سمره يوماً فلقى أوائل خيله رجلا فقتلوه فمر به سمره وهو يتشحط فى دمه فقال ما هذا فقيل أصابه أوائل خيلک فقال إذا سمعتم بنا قد ركبنا... .

وفى فلک النجاه قال على محمد فتح الدين الحنفى: (2)

فى النصائح الكافيه ذكر أبو جعفر الطبرى بإسناده: وقد قتل (سمره) ثمانيه آلاف من الناس، وفيه: قتل سمره سبعه وأربعين رجلا كلهم قد جمع القرآن. قال العلامه وحيد الزمان فى المشرب الوردى: ومن أقوى الشبه المؤثره على الإقدام لقبوله وهى كونه من مرويات سمره الذى جد واجتهد فى الفتنه ومخالفه أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب، وعدوانه لا إراده لوجه الله بل لأغراض تقدح فى عدالته (لا يسع المقام ذكرها)، وقد نقلت عنه أشياء منكره، ومن ثم اختلف الأئمه فى توثيق من على مذهب سمره ومعاويه. وقال أيضا: وفى نفسى من سمره شىء لا أعتمد على روايته].

وقال فى إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه: (3)

ومن ذلک أن سمره بن جندب لما باع خمر أهل الذمه وأخذه فى العشور التى عليهم فبلغ عمر فقال قاتل الله سمره أما علم أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها.

وللمزيد عن سمره راجع هذه المصادر. (4)

أما المصادر فقد استوعبها الشيخ على الكورانى فى كتابه تدوين القرآن (5) فمن أراد مزيد

ص:237

1- (1) . الكامل، 318/3.
2- (2) . فلک النجاه، 58.
3- (3) . اعلام الموقعين،209/1.
4- (4) . راجع شرح النهج:361/1- تاريخ الطبرى80/6و122و132و280- نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب55و111- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى151و251- معالم الفتن سعيد أيوب219/2و224و252- منهج فى الانتماء المذهبى صائب عبد الحميد250 وما بعدها - إمتاع الأسماع المقريزى406/4و133/8و223/12).
5- (5) . تدوين القرآن، من ص365 ولغايه ص404.

اطلاع فليذهب هناک.

ومع ذلک هناک ملاحظاتان التی أود أن أبديها هنا فتابع.

الملاحظه الأولی:

من خلال ما جاء فی آثار الذين منعوا من تدوين السنه أنهم منعوا من روايتها فضلاً عن تدوينها، وهو أمر مهم جداً، ففرق بين منع التدوين والسماح بالروايه وبين المنع من الروايه والتدوين، وهذا هو الكتمان بعينه.

الملاحظه الثانيه: فی مشروعيه الاستخاره علی تحريم أمر واجب:

الواقع أن ما ورد من أن عمر بن الخطاب قد جلس شهراً يستخير الله تعالی فی هذا الأمر (1) لا يصح وليس له أی وجه شرعی لما يأتی:

1. حديث الأريكه الذی مر ذكره فی أصل البحث.

2.روی أبو داود فی سننه176/2، 215:

.. عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شیء أسمعه من رسول الله صلی الله عليه [وآله] وسلم أريد حفظه، فنهتنی قريش، وقالوا أتكتب كل شیء تسمعه، و رسول الله صلی الله عليه [وآله] وسلم بشر يتكلم فی الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلک ل رسول الله صلی الله عليه [وآله] وسلم فأومأ بإصبعه إلی فيه فقال: أكتب، فوالذی نفسی بيده ما يخرج منه إلا حق.

رواه أحمد فی مسنده192/2 بتفاوت يسير، وروی الحاكم فی مستدركه105/1و528/3 مثل ذلک والهيثمی فی مجمع الزوائد151/1 كذلک.

3. آيات القرآن الكريم الكثيره التی وردت بهذا الصدد منها: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوی (النجم:3)، وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر: من الآيه7)، مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ وَ مَنْ تَوَلّی فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (النساء:80)، وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (آل عمران:132)، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ (النساء: من الآيه59)، وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (المائده:92)، وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (الأنفال: من الآيه1)، (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ (الأنفال: من الآيه46)، قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا

1- (1) . جاء ذلک فی کنز العمال291/10.

اَلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (النور:54)، وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (النور: من الآيه56)، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ (محمد:33)، (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ (المجادله: من الآيه13)، وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (التغابن:12). ولا أظن عاقلاً يصدق أن الله تعالى يأتى بنبى له يرشد الناس ثم يرضى بتضييع ما بلغ به فتأمّل.

فإن قيل: إنه اجتهاد منه والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد رجعنا إلى إخضاع قاعده تأول فأخطأ إلى القاعده نفسها فتأكل نفسها بنفسها لأنها خرجت من غير معصوم.

ثم إن الاجتهاد لو تنزلنا وقبلنا ذلک فإنه يقبل فى النص ولا يقبل فى قبال النص، ففى الحاله الثانيه يكون مصداقاً لمحو النص، وهذا أيضاً من الكتمان المنهى عنه. وفى هذه الحال يكون كل تغيير للسنه النبويه المطهره كتماناً من تقديم أهل الكساء إلى آخر ما قام به رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله.

مصادر الوصيه فى آل البيت

من يدعى أن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله لم يوصِ فقد أخطأ، فقد وردت الوصيه عن طريق حديث مسلم، واللطيف أنه لم يقل (بأهل بيتى) بل (فى أهل بيتى) وفرق بين اللفظين كبير وذلک من جهتين:

الجهه الأولى: على الأول يكون معناه أنه طلب من المسلمين التلطف والاهتمام بهم ولا مانع من أن يوصى بغيرهم وأما لفظ (فى) فمعناه حصر الوصيه فيهم وليس لغيرهم أن يدخلوا فى هذا الأمر وهو أمر الوصيه كائنه ما تكون.

الجهه الثانيه: أن التذكير بالله والطريق الصحيح المؤدى إليه منحصر فيهم.

النتيجه أنه صلوات الله تعالى عليه وآله لما أوصى المسلمين بالأنصار قال أوصيكم بالأنصار وبالعباس و بالنساء ولكن عندما وصل إلى لآل عليهم أفضل الصلاه والسلام أوصى فيهم ولم يكتفِ بأن يوصى لهم.

وقد وجدت مؤيداً لما ذهبت إليه وهو ما جاء فى شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: (1) (فأما كيفيه الاحتجاج على الأنصار، فقد ذكرها على عليه السلام، وهى أنه لو كان صلوات الله وسلامه عليه ممن يجعل الإمامه فيهم، لأوصى إليهم ولم يوص بهم. وإلى هذا نظر عمرو بن سعيد بن العاص، وهو المسمى بالاشدق، فإن أباه لما مات خلفه غلاما، فدخل إلى معاويه فقال: إلى من أوصى بک أبوک؟ فقال: إن أبى أوصى إلىَّ ولم يوصِ بى، فاستحسن معاويه منه ذلک، فقال: إن هذا الغلام لأشدق، فسمى الأشدق.. وعن كتاب (مجلسان من إملاء النسائى): (2) أخبرنا أبو على محمد بن يحيى المروزى ثنا شاذان بن عثمان ثنا أبى أنبا شعبه عن هشام بن زيد قال: سمعت أنس بن مالک يقول: مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم قالوا: ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم منا فدخل على النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم وأخبره بذلک فخرج النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم وقد عصبوا على رأسه حاشيه برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلک اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم). (3)

وجاء فى كنز العمال المتقى الهندى (4) عن عبد الله بن عمر قال: كتب أبو بكر الصديق إلى عمرو بن العاص، إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم شاورنا فى الحرب، وعليک به، قال: وكتب إليه، أما بعد فقد عرفت وصيه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بالانصار بعد موته: إقبلوا من محسنهم، وتجاوزا عن مسيئهم. (البزار طب عق) وسنده حسن.

1- (1) . شرح النهج البلاغه، 4/6.
2- (2) . مجلسان من إملاء النسائى، ص 47.
3- (3) . كذلک ورد فِى السنن الكبرى النسائى ج5ص91/ ح8346 - مسند أبِى يعلى الموصلى ج7ص73/ح3998 - شرح نهج البلاغه ابن أبِى الحديد ج6ص4: قال هناک: (قد ذكرنا فيما تقدم طرفا من أخبار السقيفه، فأما هذا الخبر الوارد فِى الوصيه بالانصار، فهو خبر صحيح، أخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى فِى مسنديهما، عن أنس بن مالک...) ثم أورد الحديث..- الجامع الصغير جلال الدين السيوطى ج1ص153، 154/](1009) استوصوا بالأسارى خيرا.(1010) استوِصوا

بالأنصار خيرا.(1011) استوصوا بالعباس خيرا، فإنه عمى وصنو أبِى. (1012) استوصوا بالنساء خيرا.]- كنز العمال المتقى الهندى ج12ص4/ح 33698، قال: وأخرجه البخارى فِى كتاب المناقب (43/5)- كنز العمال المتقى الهندى ج12ص8/(33717)...
4- (4) . كنزالعمال، ج3ص789: (8766).

كما جاء فى فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوى (1) - (استوصوا) قال الطيبى: الأظهر أن السين للطلب مبالغه أى اطلبوا الوصيه من أنفسكم فى حقهم بخير (بالأنصار خيرا)... وأخذ منه أن الخلافه ليست فيهم وإلا لأوصاهم ولم يوص لهم)، أقول: بل لأوصى لهم وليس بهم ثم أكمل قائلاَ: (وقول ابن حجر لا دلاله فيه إذ لامانع من ذلک فيه تحامل لا يخفى)... وفى ح/ (1011) (استوصوا بالعباس) أبى الفضل ذى الرأس الجزل والقول الفصل (خيرا فإنه عمى وصنو..) بكسر فسكون (أبى) فهو أب مجازا وهو شقيق والده عبد الله بن شيبه الحمد ووصى عمه (2) من بعده كان رئيساً فى قريش قبل الإسلام، إليه عماره المسجد الحرام والسقايه أسر ببدر لقول المصطفى صلى الله عليه [وآله] وسلم من لقيه فلا يقتله فإنه خرج مستكرها وفادى نفسه... وإسناده ضعيف لكن يعضده ما جاء عن ابن عباس بلفظ استوصوا بعمى العباس خيرا فإنه بقيه آبائى (3) وإنما عم الرجل صنو أبيه ورواه الطبرانى وفيه كما قال الهيتمى عبد الله بن خراش ضعيف وبقيه رجاله وثقوا. وفى ح/ (1012) (استوصوا بالنساء خيراً) أى اطلبوا الوصيه والنصيحه لهم من أنفسكم أو اطلبوا الوصيه من غيركم بهن (أو اقبلوا) وصيتى فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن... .

وعن عمر بن الخطاب أوصى الخليفه من بعده ولكن (ب-) ولم يوص (ل-)..

السنن الكبرى النسائى: (4) أخبرنا محمد بن منصور قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال: سمعت عمرو بن ميمون يقول أوصى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال: أوصى الخليفه من بعدى بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين الاولين الذين أخرجوا من ديارهم..- الآيه - أن يعرف لهم هجرتهم ويعرف لهم فضلهم، وأوصيه بالانصار الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم - الآيه - أن يعرف لهم فضلهم وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل ذمه محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يوفى لهم بعدهم وأن لا يحمل عليهم

1- (1) . فيض القدير، ج1ص1010/642.
2- (2) . يتضح من كلام الشارح أن الوصيه أمر متعارف بينهم فى ذلک الحين فمن هو وصى النبى صلوات الله تعالى عليه وآله من بعده؟
3- (3) . انظر أخى القارئ إلى قوله صلوات الله تعالى عليه وآله: (بقيه آبائى..) ولم يقل أبى فإن كلمه (أب) تطلق على الأعمام والأجداد ويستفاد

منه أن (آزر) عم إبراهيم النبى عليه وعلى نبيه وآلهما الصلاه وآلآف التحايا والسلام.. جاء فى القرآن الكريم أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قالُوا نَعْبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ (البقره: من الآيه133)، وبعد أن نضم لذلک قاعده مستفاده من الآيه الكريمه: مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّهِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا (مريم: من الآيه58) و ذُرِّيَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آل عمران:34)، نصل إلى طهاره آباء المصطفين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين. هذا مع قرائن أخرى أعرض لها إن شاء الله العزيز فى التفسير.

4- (4) . السنن الكبرى، ج6ص11581/485.

فوق طاقتهم وأن يقاتل عدوهم من ورائهم... كما ورد ذلک فی کنز العمال المتقی الهندی... . (1)

مصادر نفی أبی ذر رضوان الله تعالی علیه

نفی أبی ذر رضوان الله تعالی علیه إلی الربذه، (2) وکان السبب اختلافه رضوان الله تعالی علیه مع معاویه لیس علی جمع الأموال کما یصورها المدافعون عن الثانی، بل فی تحریف الآیه الکریمه: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّ کَثِیراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَیَأْکُلُونَ أَمْوالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لاَ یُنْفِقُونَهاَ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ (التوبه:34)، فإن معاویه قرأها من دون واو قوله تعالی وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ لأنه أراد أن یغیر معنی الآیه الکریمه فإنها من غیر الواو تصیر الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ صفهً الأحبار والرهبان ومعها تکون عامه لیست خاصه بالمذکورین.

فأرادوا ترقیع ذلک لمعاویه فحرّفوا الکلام فقالوا: قال معاویه: هی خاصه بالمذکورین وقال أبو ذر: هی تعمهم ومن یکنز.. وألصقوا التهمه لشخصیهٍ مختلقهٍ أطلقوا علیها عبد الله بن سبأ وکان المقصود عمار بن یاسر.. للمزید راجع... .

مصادر سب أمیر المؤمنین علی علیه السلام

تجد فیها النهی عن سب علی بن أبی طالب أمیر المؤمنین صلوات الله تعالی علیه ومصادر تذکر من کان یسبه، وتجد هذا الأمر فی مصادر قتل أصحابه وشیعته علیه السلام . 3 وأی عداله لمن

1- (1) . کنزالعمال، ج12ص36039/678 - 36086/701.
2- (2) . البلاذری فی الأنساب48/5، 49، 88- شرح النهج ابن أبی الحدید ج1 ص 238، 239- الاستیعاب ج2ص422- ابن عبد ربه العقد الفرید ج2ص272- تاریخ الیعقوبی ج2ص147، 150- تاریخ الخمیس ج2ص271- الإمامه والسیاسه ج1ص32- مروج الذهب للمسعودی ج2ص338- شرح نهج البلاغه لأبن أبی الحدید ج20ص36- عثمان بن عفان ذو النورین لمحمد رضا/52-124- طبقات ابن سعد161/4- الإصابه60/7- صفه الصفوه238/1- حلیه الأولیاء156/1- ذیل المذیل/27- الذریعه316/1-

الكنى والأسماء28/1- تاريخ الأمم والملوک الطبرى615/2- الكامل لابن الأثير11/3- أضواء على عقائد الشيعه الإماميه للسبحانى42- كذبوا على الشيعه سيد محمد رضوى327- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهران234/1 وما بعدها-298- الخلافه المغتصبه إدريس الحسينى104- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى96- حقيقه الشيعه الاثنى عشريه أسعد وحيد القاسم63- أزمه الخلافه والإمامه أسعد وحيد القاسم100- الانحرافات الكبرى سعيد أيوب457- معالم الفتن سعيد أيوب413/1- السيف والسياسه صالح الوردانى95 - الصحابه فى حجمهم الحقيقى الهاشمى بن على53- التمهيد لابن عبد البر151/17- تفسير ابن كثير353/2- المنتظم (حتى752ه-) ابن الجوزى346/4- الكامل لابن الأثير10/3- وكذب المالقى فى كتابه مقتل الشهيد عثمان83 حيث ادعى بأن أبا ذر رضوان الله تعالى عليه هو أراد التسيير إلى الربذه تغطيه لمعاويه وكأن الله جل جلاله لا يعلم بالأمر.

سبه عليه السلام وقاتله خاصه بعد حديث:

«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» كما مر فى صفحه41.

مصادر تتبع الشيعه

حينما أوردت المصادر التى تحدثت عن التضييق على أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم وكذلك على أصحابهم وهنا على شيعتهم ليس ذلك لكسب العطف أو المؤيدين إنما كى تكون على علم بحقائق الأمور هذا من جهه ولارتباط هذه المسأله بأصل غايه تأليف هذا الكتاب. فانظر إلى هذه المآسى وضع نفسک مكان من وقع عليه الحيف والظلم وليس مهماً أن تتحول من مذهب إلى آخر إنما المهم أن يتوفق الإنسان إلى الحكم بالحق فيتحول إلى صاحب بصيره.. وعلى المنصف أن يلاحظ مسأله مهمه وهى أن من هؤلاء من كان من أهل البيت عليهم السلام أو من الصحابه أو من خيره التابعين فافهم.. وعلى كل حال لو أردت أن تحكم على تتبع الشيعه فلا تبعد عنک كتب المستبصرين وكما ذكرت قد تكتفى بما صنعوا بآل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فمن باب أولى أن فعلهم بأتباعهم يكون مشابهاً إن لم يكن أسوأ.. وإليک هذه المجموعه من المصادر. (1)

مصادر حديث البيعه لإمام

كما جاء بلفظ: من مات وليس فى عنقه بيعه لإمام لقى الله يوم القيامه لا حجه له، أو بلفظ: ومن مات وليس فى عنقه بيعه مات ميته جاهليه... راجع هنا لتطلع (2) فما حكم من تخلف عن

1- (1) . الشيعه فى مصر للوردانى - تصحيح اعتقادات الإماميه الشيخ المفيد ص109- الاحتجاج الشيخ الطبرسى17/2- البحار179/33، 192، 522، 125/44، 163/42، 290/49- شجره طوبى الشيخ محمد مهدى الحائرى 101/1، 121، 375/2- الغدير الشيخ الأمينى6/11، 28، 69- أمان الأمه من الاختلاف الشيخ لطف الله الصافى/39 - نهج السعاده الشيخ المحمودى543/2، 639، 189/7، 365/8 - الإمام على عليه السلام أحمد الرحمانى الهمدانى/468- أضواء على الصحيحين الشيخ محمد صادق النجمى/52- الإمامه والسياسه ابن قتيبه الدينورى تحقيق الشيرى180/2- ترجمه الامام الحسن عليه السلام ابن عساكر/128- كشف الغمه ابن أبى

الفتح الإربلى89/2 - مجموعه الرسائل الشيخ لطف الله الصافى18/2- كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصارى/188- مستدرک سفينه البحار الشيخ على النمازى215/2، 191/9، 657- الإمام جعفر الصادق عليه السلام عبد الحليم الجندى/255- الكنى والالقاب الشيخ عباس القمى331/2- دراسات فى الحديث والمحدثين هاشم معروف الحسينى/336- الهدايه الكبرى الحسين بن حمدان الخصيبى/227- أضواء على عقائد الشيعه الإماميه الشيخ السبحانى). هذا بالإضافه إلى كتب المستبصرين فتابع هناک للتأكد من صحه المعلومات.

2- (2) . منهاج السنه لابن تيميه111/1، 561-412/4- مجموع الفتاوى

بیعه علی علیه السلام أو نکث؟

مصادر حدیث افتراق الأمه

هذا الحدیث ورد فی کتب العامه بهذا الکم وأکثر کما ورد فی کتب الخاصه أیضاً، فلماذا یحمل السلفیون علی الشیخ المفید رحمه الله ولماذا هذا العداء الخاص له؟ وعلی کل حال راجع هذه المصادر لتتعرف. (1)

علی أنّه من الواضح أنّه لا یحق لأحد أن یحکم بخطأ غیره إلا إذا کان معصوماً، وبخلافه یحمل علی الطرفین الخطأ والصواب فلا یحقّ له أن یکون متبوعاً، و لا یحقّ له الحکم بتجاوز الحرمات الثلاث. وادعاء العصمه ما لم یکن مدعماً بدلیل أیضاً لیس بشیء، أما نحن فلا ندعی أن أئمتنا معصومون فقط، بل الدلیل قائم علی ذلک من خلال القرآن الکریم.

1- (1) . مسند أحمد3/79- المستدرک الحاکم النیسابوری3/547- السنن الکبری البیهقی8/187- مجمع الزوائد الهیثمی1/179، 189 و6/233، 234و7/259- مسند سعد بن أبی وقاص لأحمد بن إبراهیم الدورقی/148- سؤالات الآجری لأبی داود سلیمان بن الأشعث2/278 - السنن الکبری النسائی5/158- خصائص أمیر المؤمنین علیه السلام النسائی/136 - مسند أبی یعلی2/499و7/32 - مسند الشامیین الطبرانی2/143- مسند ابن حبان1/178- کتاب الغرباء محمد بن الحسین الآجری/25- المعجم الصغیر الطبرانی1/256- المعجم الأوسط الطبرانی5/137و8/22- فوائد العراقیین ابن عمرو النقاش/46- نظم درر السمطین الزرندی الحنفی/243- منهاج السنه ابن تیمیه6/310- مجموع الفتاوی ابن تیمیه3/345- السنه ابن أبی عاصم1/32- اعتقاد أهل السنه اللالکائی1/101، 103- یقظه أولی الاعتبار القنوجی/199- مصباح الزجاجه البوصیری4/179- الفردوس بمأثور الخطاب إلکیا2/64- کشف الخفاء العجلونی1/168، 369 أو1/150، 309- تفسیر ابن کثیر2/433، 466و4/538- تفسیر البیضاوی2/470- تفسیر أبی السعود3/206- روح المعانی الألوسی4/23و8/68- الخصائص الکبری السیوطی2/248- التنبیه والرد علی أهل الأهواء الملطی/13- التبصیر فی الدین الإسفراینی/15- کتب ورسائل وفتاوی ابن تیمیه فی العقیده3/345- الفرق بین الفرق عبد القاهر البغدادی/4- افتراق الأمه الصنعانی/50أو96- الموافقات الشاطبی4/177- کتاب التقریر والتحبیر ابن أمیر الحاج3/423-

إيقاظ الهمم الفلانى/10- تحفه الأحوذى المباركفورى334/7- المعجم الكبير الطبرانى273/8و51/18- كنز العمال للمتقى الهندى210/1، 377و220/2و66/11، 309- نظم المتناثر من الحديث المتواتر للشيخ محمد بن جعفر/27 أو46- زياده الجامع الصغير للسيوطى/91- إلزام النواصب بإمامه على عليه السلام لابن راشد/73- سفينه النجاه التنكابنى/54- شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى413/3و602/7- مناظرات فى العقائد عبد الله الحسن205/2- صحيح شرح العقيده الطحاويه السقاف/629- ثم اهتديت التيجانى/74، 79- لقد شيعنى الحسين عليه السلام الحسينى/93- دعوه إلى سبيل المؤمنين طارق زين العابدين/16).

وعليه فاعلم أن هناک حادثه ثبتت فی کتاب الله تعالی، وهی حادثه المباهله ذکرها فی کتابه العزیز، حیث قال تعالی: فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ (آل عمران: من الآیه61)، (1) هذه الآیه المبارکه نزلت فی بیان أهل النبی صلوات الله تعالی علیه وآله، واعترف ابن قیم الجوزیه (2) بأنّ له صلی الله علیه وآله وسلم عندئذٍ عدّه نساء ومع ذلک کان المقصود بقوله تعالی: نِساءَنا هی فاطمه صلوات الله تعالی علیها، وأمّا أَبْناءَنا فهما الحسنان صلوات الله تعالی علیهما السلام، وأما أنفسنا أنفسنا فهوأمیر المؤمنین صلوات الله تعالی علیه.. والروایه علی ما جاءت فی مسلم (3) حینما أمر معاویه سعد بن أبی وقاص أن یسب علیاً صلوات الله تعالی علیه فامتنع، حیث جاء هناک:

أمر معاویه بن أبی سفیان سعداً فقال ما منعک أن تسب أبا التراب؟ فقال أمّا ما ذکرت ثلاثاً قالهن له رسول صلی الله علیه [وآله] وسلم، فلن أسبه، لأن تکون لی واحده منهن أحب إلیَّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلی الله علیه [وآله] وسلم یقول له خلّفه فی بعض مغازیه، فقال له علی یا رسول الله خلفتنی مع النساء والصبیان، فقال له رسول الله صلی الله علیه [وآله] وسلم أما ترضی أن تکون منی بمنزله هارون من موسی، إلاّ أنّه لا نبوه بعدی، وسمعته یقول یوم خیبر: لأعطین الرایه رجلاً یحبّ الله ورسوله ویحبّه الله ورسوله، قال فتطاولنا لها، فقال ادعوا لی علیاً، فأتی به أرمد فبصق فی عینه ودفع الرایه إلیه، ففتح الله علیه ولما نزلت هذه الآیه: فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ دعا رسول الله صلی الله علیه [وآله] وسلم علیاً وفاطمه وحسناً وحسیناً، فقال اللهم هؤلاء أهلی.

فالروایه واضحه لا تحتاج بیاناً إلاّ إلی من أقفل قلبه.

فثبت أنّ أمیر المؤمنین صلوات الله تعالی علیه هو نفس الرسول باتفاق جمیع أهل الملّه؛ لما ورد فی الأثر فی تفسیر هذه الآیه المبارکه، ولما کان النبی صلوات الله تعالی علیه وآله لم یکن بصدد إثبات نسبه فی المباهله، بل بصدد إثبات نبوته فالجمیع یعلم أنّه محمد بن عبد الله، ولکن الخلاف کان فی أنّه رسول الله تعالی صلوات الله تعالی علیه وآله لم یکن ذلک أمراً عشائریاً أو عرفیاً أو قبلیاً، کما یصورون، فبذلک یتضح أن کل وصف یثبت له صلی الله تعالی علیه وآله یثبت

1- (1) . منهاج السنه ابن تيميه123/7- معرفه علوم الحديث الحاكم49- تاريخ اليعقوبى82/2-مناهل العرفان محمد عبد العظيم الزرقانى291/2).
2- (2) . زاد المعاد633/3-هدايه الحيارى46.
3- (3) . مسلم120/7. وانظر كيف حرفوا كنيته عليه السلام من - أبا تراب - إلى - أبا التراب - .

لأمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه، إلاّ قوله تعالى: إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (يّس:3)، كما ثبت من القرآن الكريم من قوله تعالى: وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ (الأحزاب: من الآيه40) ومن روايه مسلم كما اتضح. وقد قال الله تعالى للرسول الخاتم صلوات اللهتعالى عليه وآله: فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّکَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (النمل:79)، و فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّکَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (النمل:79)، فهو عليه السلام على الحق المبين، و فَلا يُنازِعُنَّکَ فِي الْأَمْرِ وَ ادْعُ إِلى رَبِّکَ إِنَّکَ لَعَلى هُدىً مُسْتَقِيمٍ (الحج:من الآيه67)، فهو أيضاً كذلک لا ينازع فى الأمر ولم يقل فى النبوه لئلاّ يتم التخصيص به، و إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَکَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللّهَ يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً (الفتح:10)، فهو كذلک، و وَ إِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم:4)، و إِنَّکَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (الزخرف: من الآيه43)، فيثبت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الصراط المستقيم من بعدُ، وإذا رجعت إلى قول إبليس عليه اللعن حيث قال فيما نقل عنه القرآن الكريم: لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ الْمُسْتَقِيمَ (الأعراف: من الآيه16)، عندما توفى النبى صلوات الله تعالى عليه وآله كان الصراط المستقيم أو الذى على الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام فقعد إبليس أزاءه وبدأ يحرف الناس عنه إلى غيره، فحصلت الفلته ثم التعيين، ثم الشورى، ثم قامت الحروب ضده وضد من بعده لحد الآن، فلا تعجب ولا تكن ممن ينطبق عليه قوله تعالى: إِنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (النمل:80) فاسمع من أمير المؤمنين عليه السلام كما لو أردت أن تسمع من الرسول صلوات الله تعالى عليه وآله وإلا فسوف يخصمک كل منهما: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (الزمر:31) لانطباق الآيه الكريمه عليهما بالسواء، فمن هنا تأتى روايات البخارى حيث نقل أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: (1)

«يرد على الحوض رجال من أصحابى فيحلؤون [فيجلون] عنه فأقول يا ربّ أصحابى، فيقول إنّک لا علم لک بما أحدثوا بعدک إنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى..» وفيه كذلک عن النبى صلى الله عليه[وآله] وسلم قال:

بينا أنا قائم فإذا زمره حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هلم فقلت: أين؟ قال: إلى النار و الله، قلت: وما شأنهم، قال: إنّهم ارتدوا بعدک على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمره حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار و الله، قلت ما شأنهم

قال: إنّهم ارتدوا بعدک على أدبارهم القهقرى. فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم..

ص:247

1- (1) . صحيح البخارى208/7.

وذكر أنّ النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: (1)

إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإنّى و الله لأنظر إلى حوضى الآن وإنّى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإنّى و الله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها..

أيّها القارئ دلنى بالله عليک على هذا الرجل الذى يخرج من بين النبى صلوات الله تعالى عليه وآله بين الصحابه لأتبعه، فإن كان علياً صلوات الله تعالى عليه فاتبعه خيراً لک وإلاّ فقل من هو... ؟.

انتبه لنفسک، وانظر من تبايع ولا يدخلنک هوس الشيطان، فالنبى صلوات الله تعالى عليه وآله قد بيّن ضّلال وارتداد قسم كبير من الصحابه ولم يبين ضّلال أهل البيت: (خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار و الله، قلت ما شأنهم قال: إنّهم ارتدوا بعدک على أدبارهم القهقرى. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)، وفى روايه مسلم:

«ولما نزلت هذه الآيه: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم علياً وفاطمه وحسناً وحسيناً، فقال اللهم هؤلاء أهلى.» ، فانظر ماذا تقدم لنفسک، واختر لنفسک من قوله تعالى: أَ فَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (الملک:22).

ولو جمعت بين الروايات التى وردت فى وجوب البيعه لإمام وروايات افتراق الأمه والروايات التى جاءت بصدّد بيان الفتن وما سيصيب المسلمين لشعرت بضروره وجود المعصوم ليكون الدال على الصراط، فقد تقاتل بنو أميه وبنو العباس على السلطه، (2) فمع من يجب أن يصطف المسلمون! أمع بنى أميه؟ أم مع بنى العباس؟ أم يعتزلون؟ وإن اعتزلوا فهل من إمام لهم حينئذٍ أم من غير إمام؟ فإن كان المعتزل من غير إمام، فهذا خلاف وجوب البيعه، وإن كان مع إمام، فإن كان غير معصوم، فكيف سيدله على الحقّ، وهو محتاج الدليل، وإن كان معصوماً ثبت المطلوب. فإن قيل هذه فتنه فيكون المعتزل ناجياً بمجرد الاعتزال

1- (1) . همان/209.
2- (2) . طبعاً لا يسع أحداً أن يقول: إن سبب النزاع هو عبد الله بن سبأ، فالقتال الذى حصل بين الطرفين كان من أجل السلطه ليس غير، وكلا الطرفين كان من غير أتباع آل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

نرجع إلي حديث ضروره البيعه لإمام.. وقد تعمد أو اشتبه من اعتزل أو قاتل علياً عليه السلام ، ومات إمّا محارباً إمامه أو لا إمام له، فعلى عليه السلام كما مرّ هو الذى على الصراط المستقيم، فإنّهم لم يتبعوا أقوال النبى صلوات الله تعالى عليه وآله فى وجوب البحث عن الإمام أيام الفتن ولو كانت الطاعه لا على التعيين لكان أهل الفتن كلهم على الحقّ، فلكل إمام، ولكن الأحاديث نصت على ضروره البحث عن الإمام والمقصود هنا، الإمام الحقّ، والإمام الحقّ لا يعنى الظنى، بل اليقينى، قال الله تعالى: وَ ما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (يونس: من الآيه36).

ملاحظه مهمه

قد تشكّل كثره المصادر عبئاً أثناء الطباعه والتحقيق فلذلک أرجو التحققَ باستخدام الاقراص. ثم إنّه قد يحصل خطأ من قبل البرنامج فى استخراج أرقام مجلدات المصادر فتنقلب مثلاً من 49 إلى 94 فأرجو المتابعه وهذا يحصل مع بعض الكتب الشيعيه فى برنامج المعجم الفقهى القديم، وأما الاختلاف فى الطبعات فهذا ممّا يخرج عن إمكان التصرف، والبحث فى أجهزه الكومبيوتر يسهل العثور على الهدف.

تم الكتاب بعونه تبارک وتعالى والصلاه والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ص:249

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة
نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.